رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ابن قتيبة

الناقد بين السابقين واللاّحقين

المؤلف

د. خضر موسى

فضاءات
للنشر والتوزيع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ابن قتيبة

الناقد بين السابقين واللاّحقين

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
2012 / 7 / 2904

حمود، خضر
ابن قتيبة الناقد بين السابقين واللاحقين، خضر محمود
عمان: دار فضاءات، 2013

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو اي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9957-30-373-0

فضاءات
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: 2013

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق

ابن قتيبة الناقد بين السابقين واللاحقين، خضر محمود- الأردن
دار فضاءات للنشر والتوزيع – المركز الرئيسي
عمان - شارع الملك حسين- مقابل سينما زهران
تلفاكس: 4650885 (6 - 962+) هاتف جوال: 911431- 777(962+)
ص.ب 20586 عمان 11118 الأردن
E.mail: Dar_fadaat@yahoo.com
Website: http://www.darfadaa.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

تصميم الغلاف: نضال جمهور
الصف الضوئي والإخراج الداخلي والطباعة: فضاءات للنشر والتوزيع

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن رأي دار فضاءات للنشر والتوزيع.

الإهداء

إلى... نور عيني

ونبض قلبي

ولدي الغالي

أنس

د. خضر موسى

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ابن قتيبة الناقد بين السابقين واللاّحقين

تمهيد

مع اختلاف التعريفات التي عُرّف بها النقد الأدبي، هناك عنصر مشترك بينها كلها وهو : أنه مجموعة الأساليب المتّبعة (مع اختلافها باختلاف النقاد) لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض وتفسير النّص الأدبي والإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد .

ومن النقد ما لا يهتم فيه الناقد بتحليل الأثر الأدبي، ولا بترجمة حياة مؤلّفه، ولا بمناقشة قضايا جمالية مجرّدة، وإنما يُقدّم في أسلوب جذاب حيّ انطباعه هو وتأثره هو نفسه بالأثر الأدبي الماثل أمامه .

كان للمتكلمين نشاط واسع في نقد الشعر والنثر، غير أن مسائل النقد اختلطت لديهم بمسائل البلاغة على نحو ما كان عند الجاحظ (255هـ) . فكانوا ينقدون الشعراء ويوازنون بينهم على أسس بلاغية، وربما كان هذا هو السّر في أنّ النقاد من العرب كانوا يخلطون بين النقد الأدبي والبلاغة من القرن الثالث الهجري حتى العصر الحديث .

ومن النقد ما كان يعتمد على الإحساس والذّوق البسيط لا على القواعد والمقاييس المضبوطة . كما حدث في نقد الشعراء في العصر الجاهلي وصدر الاسلام (130ق.هـ - 40هـ تقريباً) وإن كان النقد في صدر الاسلام (أوائل القرن السابع الميلادي حتى 40 هـ) يمتاز بالموازنة بين شعر الجاهليين، وشعر الشعراء في صدر الاسلام، أو بين شعراء صدر الاسلام بعضهم وبعضاً .

وفي أغلب عصر بني أمية (40 – 132 هـ) كان النقد غير معلّل، إذ قام على تفضيل الشعراء بعضهم على بعض من غير التعرض لأسباب التفضيل ولا تحليل الحقائق وجمعها وتعقيدها، أو يقوم على تقويم الشاعر بجزئية من جزئيات شعره لا بمجموعه .

وبعد القرن الثالث للهجرة، انحاز النقاد إلى لون آخر هو النقد اللّغوي والنحوي، فقد تركوا الموازنة بين الشعراء، والبحث في جودة الكلام وأسبابها، ومثال ذلك كتاب ((الموشح)) للمرزباني الذي وشحه بملاحظات على مادة الشعر نفسه .

فالنقد في العصر الجاهلي اعتمد على الذوق البدائي، يقول أحمد أمين : " على أنا نرى أنه (النقد) كان تابعاً للشعر فالشعر كان إحساساً اكثر منه عقلاً، وكان النقد كذلك، فالشاعر يهتاج للحوادث التي تقع حوله، فيقول في ذلك بعاطفته وشعوره، والناقد يزن ما قيل، ويصغي في نقده إلى عواطفه وشعوره، والعربي من طبعه أن يكون دقيق الحس مرهف الإحساس ". [1]

وفي العهد الأموي دار النقد حول تفضيل شاعر على شاعر، وميزة الشعراء بعضهم على بعض، وتخيرّ الألفاظ، وحسن الصياغة أو قبحها، وكل ذلك مبني على الذوق الفطري .

وفي آخر العهد الأموي ظهر النحو وجدّ بعض علمائه في وضع قواعده، وأخذ علماؤه ينقدون الشعر على نمطهم وأسلوبهم، ومن النقد النحوي إلى تأثر النقد الأدبي بالعلم في العصر العباسي وتحوّل الذوق الأدبي الفطري إلى قواعد وقوانين، وأصبح ذوقاً مثقفاً ثقافة علمية واسعة . فدخل النقد نمط التأليف ووضع الكتب التي لا تتعرض إلاّ للنقد وما يتصل به .

على كل حال كان النقد مستنداً إلى الذوق وحده في العصرين الجاهلي والأموي، وجاء العصر العباسي ليتحول النقد إلى علم وأصول، فكان من

أوائل النقاد ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات الشعراء) ، ثم ابن قتيبة الذي دعا إلى عدم التفريق في الوزن بين قديم ومحدث، فالشعر القديم قد يكون جيّداً وقد يكون رديئاً، والمحدث كذلك، وعلى رأيه كل قديم كان حديثاً في زمانه .كما فرّق بين الروح العلمية والذوق الأدبي، وان اشتغال الأديب بالمصطلحات الفلسفية لا يجدي، بل يضعف ذوقه، وإنما الذي يربّي ذوقه حفظ النماذج الأدبية وتقليدها.

فابن قتيبة كما يقول احسان عباس : " يكمّل دور الجاحظ في الدفاع عن العرب والرّد على الشعوبية، ويتخذ هذا الرّد صورة مباشرة في مثل " كتاب العرب وعلومها " وصورة غير مباشرة في مؤلفات يراد بها إبراز ما لدى العرب من مآثر، ولهذا ينحو ابن قتيبة منحى الجاحظ في اتخاذ الشعر العربي مصدراً للمعرفة ... وكان لا بد لابن قتيبة من أن يتأثر بالجاحظ فيروي كتبه، وينقل منها " [2]

وكما تأثر ابن قتيبة بالجاحظ فقد تأثر العلماء الذين جاءوا بعد ابن قتيبة بأدبه ونقده، وكان لنقد ابن قتيبة أثر فيهم وفي مؤلفاتهم وآرائهم . لذا كان لا بد لنا من إلقاء الضوء على إمام عالم جليل في التخطيط لما يكتب ويؤلف، شأنه في ذلك شأن أي عالم محدث أو مؤلف حاذق .

المؤلف

خضر موسى محمد حمود

---

(1) النقد الأدبي ، 449

(2) تاريخ النقد ، 104 – 105

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

ابن قتيبة (حياته ونتاجه)

حياته

هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي الدنيوري أبو محمد ويقال : القُتبي أو القتيبي وهو عجمي الأصل . قال ابن الأنباري : " فإنّه كان كوفياً ومولده بها، وإنما سمّي الدينوري لأنّه كان قاضي الدينور ... وكان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر، متقناً في العلوم، وله المصنفات المذكورة، والمؤلفات المشهورة ". [1] وقال عنه السيوطي : " عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي الكاتب، نزيل بغداد . قال الخطيب : " كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة ديّناً فاضلاً، ولي قضاء الدينور ". [2] وقال ابن خلكان : " أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي : كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد، ... وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته، وقيل إن أباه مروزي، وأمّا هو فمولده ببغداد، وقيل بالكوفة، وأقام بالدِّينور مدّة قاضياً فنسب إليها ". [3]

اتفق القدماء على أن ولادة ابن قتيبة كانت سنة (213 هـ) . قال السيوطي : " ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين . قال ابن خلكان : " وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين " .

---

(1) النزهة ، 159 – 160

(2) البغية ، 2/ 63

(3) وفيات الأعيان ، 3/ 43

اختلف القدماء في تاريخ وفاته ، ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة سبعين، وقيل سنة إحدى وسبعين، وقيل : سنة ست وسبعين ومائتين، والأخير أصح الأقوال . وكانت وفاته فجأة، صاح صيحة سمعت من بُعد ثم أُغمي عليه ومات . وقيل أكل هريسة فأصابه حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السّحر، ثم مات رحمه الله تعالى " . وذكر السيوطي أنه مات في سنة سبع وستين " . أمّا ابن النديم فذكر أنه " مات سنة سبعين ومائتين " [1]

كانت لابن قتيبة صلات بكتاب الدولة وسلاطينها، فقد اتّصل بالمتوكل بوساطة كاتبه ابن خاقان ما بين (209 - 363 هـ) . وله أثار تدلُّ على علاقته بكبار رجال الدولة، وذلك في رسالتين لم يذكر السلطان الذي خصّه في الأولى، بينما ذكر في الثانية أنها لمحمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي (253 هـ) . وقد ذكر ابن خاقان في مقدمة كتابه " أدب الكاتب " قال : " فالحمد لله الذي أعاذ الوزير أبا الحسن من هذه الرذيلة، وأبانه بالفضيلة، وحباه بخيم السلف الصالح، وردّاه رداء الإيمان، وغشّاه بنوره " . [2] ففي الرسالة الثانية كتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قال : " أمّا شكري للأمير على سالف معروفه فقد غار وأنجد . وأما ابتهالي إلى الله في جزائه عنّي بالحُسنى فاخلاص النّية عند مظانّ القبول . وأما أملي فأحياه على بُعد العصر بلاؤه عندي، إذ كان ما تقدّم منه شافعاً في المزيد، وفسحةُ وعده إياىّ عند مفارقتي له، إذ كان مؤذناً بالإنجاز ... كُن كيف شئت، فإني واحد أمري خالصة سريرتي، أرى ببقائك بقاء سروري، وبتمام النعمة عليك تمامها

---

(1) الفهرست ، 115

(2) أدب الكاتب ، 9

عندي، فإنه ليس في نعمة يجدّدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصة إلا اتصلت برعيته عامّة، وشملت المسلمين كافّة، وعظم بلاءُ الله عندهم فيها، ووجب عليهم شكره عليها؛ لأنّ الله جعل بنعمته تمام نعمته، وبسلامته هدوءهم واستقامتهم، وبتدبيره صلاح أمورهم وأمنهم . وبذّ به عن دينهم حفظ حريمهم، وبحياطته حقن دمائهم وأمن سبلهم، وبرعيته اتسامتهم وانتظامهم فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيداً بالنصر، معزّاً بالتمكين، موصول الطلب بالظفر، مدّة البقاء بالنعيم المقيم " . [1] إنّ طباع ابن قتيبة، وأخلاقه، وعقليته، تؤلف جماع شخصيته، على أنّ ذلك كلّه مشدود إلى عقيدته؛ لأنها تهذبّ الطباع، وتوجّه الأخلاق، وتعطي العقل حدوده، جاعلة من القرآن أعلاها مرتبةً . فكان منذ عنفوان شبابه طموحاً . جريئاً في الحقّ بحيث تصدّى لواقع فاسد في اصطناع الكتاب وتقريبهم، يقول : " فإني رأيت كثيراً من كتّاب زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدَّعة واستوطئوا مركب العجز، وأعنوا أنفسهم من كدّ النظر وقلوبهم من تعب التفكر، حين نالوا الدرك بغير سبب، وبلغوا البغية بغير آلة؛ ولعمري كان ذلك، فأين همة النفس، وأين الأنفة من مجانسة البهائم ؟ وأيّ موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسّره " . [2]

ومن جرأته تصدّيه للشعوبية بحزم وقوة في مؤلفه " كتاب العرب " ، وكذلك لأهل الأهواء، وأصحاب الرأي، وأصحاب النِّحل في عصره، كما نقد خصومه، ودفع آراءهم، وجرح رجالهم صراحة، ومع ذلك فقد كان ذا لسان عفيف تجاه غلط العلماء، أو عند مخالفتهم إيّاه، بحيث يذكر الغلط ويبيّن الصواب.

---

(1) عيون الأخيار ، 2/ 243 (2) أدب الكاتب ، 9 – 10

يقول ابن قتيبة : " ونحن نستحبُّ لمن قبل عنّا وائتم يكتبنا أن يؤدّب نفسه قبل أن يؤدّب لسانه، ويهذّب أخلاقه قبل أن يهذّب ألفاظه " . [1]

وكان ابن قتيبة ممن ينتصرون لمدرسة الحديث النبوي إذ كان من أهل السنة، ولا شك أنه كان على علم واطلاع بالحديث وروايته وحفظه، ولكنه فضل أن يكون أديباً على كونه محدّثاً؛ ولذلك لم يصبح عالماً متخصصاً بالحديث .

نتاجه

كثرت الأقاويل في عدد كتب ابن قتيبة، فالبعض يذكر أنها ثلاثة وستين اسماً، والبعض يرويها واحد وعشرين كتاباً، وآخرون يرون أنها أكثر من ثلاثمائة كتاب، وهذا مبالغ فيه إذا عرفنا أن البعض قد يأتي بالكتاب فيذكر أجزاءه على أنها كتب كما فعل ابن النديم يقول في كتاب " عيون الشعر " أنه يحتوي على عشرة كتب منها : المراتب، القلائد، المحاسن، المشاهد، الشواهد، الجواهر، المركب، المناقب، المعاني، المدائح " ويقول في عيون الأخبار، وكتاب عيون الأخبار يحتوي على عشرة كتب : السلطان، كتاب الحرب، السؤدد، الطبائع، العلم، الزهد، الإخوان، الحوائج، الطعام، التفقيه " .[2] ومن مؤلفاته :

1 - الشعر والشعراء : ألفّه كما يذكر في مقدمته في الشعراء، وأخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم وأحوالهم وقبائلهم وأسماء آبائهم، وعن أقسام الشعر وطبقاته، وكان أكثر قصده للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب .

---

(1) م . ن : 14 (2) الفهرست ، 115.

والبعض يذكره باسم " الشعراء " ، وآخر باسم " طبقات الشعراء " ، وآخر يذكره باسم " أخبار الشعراء " . قال ابن قتيبة في كتابه : " هذا كتاب ألّفتُه في الشعراء، أخبرتُ فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم، ومن كان يُعرف باللقب أو الكنية منهم، وعمّا يُستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذَتْه العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدّمون فأخذه عنهم المتأخرون، واخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها ويُستحسن لها إلى غير ذلك مما قدّمته في هذا الجزء الأوّل ... وقال : وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله – عز وجل – وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " .[1]

2 – المراتب والمناقب عن عيون الشعر .

3 – أدب الكاتب . قال ابن خلكان : " كان العلماء يقولون : كتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ؛ لأنّه طوّل الخطبة وأودعها الفرائد " وأوضح أنه : " يحوي من كل شيء وهو مُفنَّن " .

وأخبرنا أنّه ألفّه للوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكل . وذكره ابن خلدون قائلاً : وسمعنا شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (الأدب) وأركانه أربعة دواوين : أدب الكاتب لابن قتيبة، الكامل للمبرد، البيان والتبيين للجاحظ، النوادر لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربع فتبعٌ لها وفروع عنها " . [2]

---

(1) الشعر والشعراء ، 17 .

(2) أدب الكاتب ، المقدمة ، 9 .

وقد ذكر ابن خلكان أيضاً أنّ أبا محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيّد البطليوسي الأندلسي المتوفى (521 هـ) شرح هذا الكتاب شرحاً مستوفىً، ونبّه على مواطن الغلط فيه . وممّن ذكر الكتاب : القفطي، ابن الاثير، النديم، ابن الأنباري، السمعاني ابن العماد الحنبلي دون تعليق – وذُكر في دائرة المعارف الاسلامية أنّه محقق سنة 1900 . وذكره الخطيب البغدادي باسم " أدب الكتاب " . قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه " أدب الكاتب " : " أمّا بعد حمد الله بجميع محامده، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على نبيّه المصطفى وآله ، فإني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطّيرين، ولأهله كارهين، أمّا الناشئ منهم فراغب عن التعليم، والشادي تارك للإزدياد ، والمتأدب في عنوان الشباب ناسٍ أو متناسٍ؛ ليدخل في جملة المجدودين، ويخرج عن جملة المحدودين، فالعلماء مغمورون، وبكرّة الجهل مقموعون حين خوى نجم الخير . وكسدت سوق البرّ، وبارت بضائع أهله، وصار العلم عاراً على صاحبه ... ولو أنّ مؤلف حدّ المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعدّ نفسه من البُكم، أو يسمع كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته، لأيقن أنّ للعرب الحكمة وفصل الخطاب . فالحمد لله الذي أعاذ الوزير أبا الحسن من هذه الرذيلة، وأبانه بالفضيلة، ... وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم ومن الكتابة إلا بالاسم، ولم يتقدّم من الأداة إلاّ بالقلم والدّواة ، ولكنها لمن شدا شيئاً من الإعراب، فعرف الصَّدر والمصدر، والحال والظرف، وشيئاً من التصاريف والأبنية، وانقلاب الياء عن الواو، والألف عن الياء وأشباه ذلك . ولا بدّ من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين ، ... ومن النظر في جُمَل الفقه، ومعرفة أصوله، ومن دراسة

أخبار الناس ... ويستحبّ أن يدع في كلامه التقعير والتعقيب ... فهذا وأشباهه كان يستثقل والأدب غضّ والزمّان زمان، وأهله يتحلون فيه بالفصاحة، ويتنافسون في العلم ... ويستحبّ أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الإعراب، ليسلم من اللحن وقباحة التعبير ... وإنما يكره في (الكلام) وحشيّ الغريب وتعقيده ... ونستحبّ له أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب له، والاّ يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام، هذا منتهى القول فيما نختاره للكاتب؛ فمن تكاملت له هذه الأدوات وأمدّه الله بآداب النّفس من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر، وخفض الجناح، فذلك المتناهي في الفضل، العالي في ذرى المجد، الحاوي قصب السبق، الفائز بخير الدارين، إن شاء الله تعالى " .[1]

4 – معاني الشعر الكبير
5 – عيون الشعر
6 – المراتب والمناقب عن عيون الشعر
7 – ديوان الكتّاب
8 – إعراب القرآن
9 – معاني القرآن
10– مُشكِل القرآن
11 – غريب القرآن
12– الردّ على القائل بخلق القرآن
13 – القراءات
14 – آداب القراءة
15 – غريب الحديث
16 – مختلف الحديث
17 – اختلاف تأويل الحديث
18– مشكل الحديث
19 – المشتبه من الحديث والقرآن
20 – إصطلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث

---

(1) أدب الكاتب ، 5 – 20 .

21 – المسائل والجوابات
22 – جامع الفقه
23 – التفقيه
24 – دلائل النبوة
25 – معجزات النبي (صلى الله عليه وسلم)
26 – ادريس النبي
27 – خلق الإنسان
28 – الردّ على المشبّهة
29 – جامع النحو
30 – جامع النحو الصغير
31 – التسوية بين العرب والعجم
32 – فضل العرب على العجم
33 – الردّ على الشعوبية
34 – العرب وعلومها
35 – البلغة في شذور اللغّة
36 – تقويم اللّسان
37– الإشتقاق
38 –تعبير الرؤيا
39 – المعرفّة
40 – الأشربة
41 – القلم
42 – العلم
43 – الأنوار
44 – فرائد الدُرّ
45 – حكم الأمثال
46 – الحكاية والمحكي
47 – الخيل
48 – الرحل والمنزل
49 – الجراثيم
50 – النبات
51 – الميسر والقِداح
52 – آداب العشرة
53 – الجوابات الحاضرة
54 – الكلام
55 – العرب
56 – أرجوزة الظاء والضاد
57 – وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة إلى ولده
58 – المعارف وهو كتاب في التاريخ تناول فيه المؤلف مسألة مبدأ الخلق، وقصة الطوفان، وتاريخ الأنبياء والرسل، وسيرة الرسول الكريم (صلى الله

عليه وسلم) ومغازيه، والعرب الجاهليين، وأنساب العرب، وأخبار الصحابة والتابعين والخلفاء والولاة إلى عصر ابن قتيبة، ورواة الشعر، والفقهاء والمحدثين والقرآء وأصحاب الأخبار، والنحو . ونوادر الحوادث، ويتحدث عن أسر الملوك في جنوب الجزيرة وشمالها، وملوك الفرس قبل الاسلام . وقال عنه ابن خلكان : " إنّ هذا الكتاب يترجم للرواة وأشهر الخطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة " .[1]

أراؤه النقدية

أ. الطبع والتكلف :

قال ابن قتيبة : " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبيّنت على شعره رونق الطبّع ووشي الغريزة . وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحَّز " . والشعراء في الطبع مختلفون منهم كما يقول ابن قتيبة : " مَنْ يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيَّسر له المراثي ويتعذّر عليه الغزل . وقيل للعجاج: إنك لا تحُسن الهجاء فقال : إنّ لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم وأحساباً تمنعنا من أن نُظلَم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم " .[2]

وأخبرنا عن الشعر المتكلف بأنه هو الذي قُوم بالثقاف، ونُقِّح بطول التفتيش واعادة النظر . وأمثال ذلك ما جاء به زهير و الحطيئه، إذ قال عنهما الأصمعي بأنهما عبيد الشعر؛ لأنهم نقّحوا ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . وكان الحطيئة يقول : " خير الشعر الحوليّ المنقّح المحكك . وكان زهير يُسمّي كبرى قصائده الحوليّات " .[3]

---

(1) عيون الأخبار ، 1/ 16 – 33 (2) الشعر والشعراء ، 37 – 40

(3) م . ن ، 29

ويتضح التكلف في الشعر أيضاً في قِرانه، فإنك تجد البيت فيه مقروناً بغير جاره ومضموناً إلى غير لفقة . ومثال ذلك قول عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : وبمَ ذلك ؟ فقال : لأني أقول البيت وأخاه ولأنك تقول البيت وابن عمّه . لم يكن الطبع وحده يؤثر في اختلاف الشعر عند ابن قتيبة، وإنما هناك شروطاً تعين على قول الشعر، أو تُحبط المحاولات لقول الشعر، وهذا مردُّه إلى نفس الشاعر، وبدنه، وزمانه، وبيئته.

فابن قتيبة يتحدث عن نفسيّة الشاعر ومدى تألق الشعر عنده، فقد ورد عن أرطأة بن سهية قوله حين سأله عبد الملك بن مروان : هل تقول الآن شعراً ؟ فقال : كيف أقول، وأنا ما أشرب، ولا أطرب، ولا أغضب، وأنما يكون الشعر بواحدة من هذه . وأنا الذي أقول :

رَأَيْتُ المَرْءَ تَأكُلُهُ اللّيالي ... كَأكْلِ الأَرْضِ ساقِطَةَ الحَدِيدِ

ومَا تُبقي المنَّيةُ حين تَأْتي ... على نَفْس آبنِ آدمَ مِنْ مزَيدِ

وَاعلم أَنّها سَتكُرُّ حتّى ... تُوفي نَذْرهَا بِأَبي الوَلِيدِ " .[1]

وقيل لبعضهم : من أشعر الناس ؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب، وفي رواية : وعنترة إذا كلب" [2]

أمّا عن الزمان أو الوقت فإن له أثراً عند بعض الشعراء، فَهُمْ مختلفون في الوقت الذي يُسمح لهم بقول الشعر أو يمتنع عليهم فيه، ولذلك يقول ابن قتيبة: " وللشعر تارات يبعُد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريِّضه، ولا يُعرف لذلك سبب إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاءٍ، أو

---

(1) الشعر والشعراء ، 348 (2) العمدة ، 1/ 95

خاطر غمٍّ، وكان الفرزدق يقول : أنا أشعر تميم – عند تميم – وربّما أتت عليّ ساعة، ونزع ضرسٍ أسهل عليّ من قول بيت " . ويقول ابن قتيبة أيضا: " وللشعر أوقات يُسرع فيها أتيه ويسمح فيها أبيُّه، منها أوّل الليل قبل تغشيّ الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس، والمسير، ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب " . [1]

أما عن البيئة أو المكان فقد التفت ابن قتيبة إلى أثر المكان في تغّير أحوال الشاعر، وصرف العوارض عن طبعه بتغيير المكان . فهذا كثير عزّة يُسرع إليه أحسن الشعر إذا طاف في الرياض المعشبة لقوة الحسّ بالجمال ودواعيه في الطبيعة . قيل لكثيّر : يا أبا صخر كيف تصنع إذا عُسر عليك قول الشعر ؟ قال: أطوّف في الرِّباع المخليّة والرِّياض المعشية؛ فيسهل عليّ أرصنه، ويسرع إلي أحسنه " . [2]

ولأنواع الشعر الأربعة التي ذكرها ابن قتيبة على صلة بالطبع وأحواله عند الشعراء، فمنها ما حَسُن لفظه وجاد معناه، وما حسُن لفظه وخلا معناه من الفائدة، وما جاد معناه وقصرت ألفاظه، وما تأخّر معناه وتأخّر لفظه . فالطبع يزيد وينقص، ويسرع ويحرن، ويقوى ويضعف، فمن تدفق طبعه وقويت موهبته حسن لفظ شعره وجاد معناه . أما من غلبه التصنّع على الطبع كالعلماء الذين يتردّى طبعهم وموهبتهم الشعرية فيتأخّر لفظ شعرهم ومعناه . فأشعارهم رديئة الصنعة؛ لأن طبعهم لم يغلب علمهم بالشعر سوى ما كان من خلف الأحمر الذي كان أجودهم طبعاً . قال ابن قتيبة : وكان

---

(1) م . س ، 31 – 32 (2) الشعر والشعراء ، 1/ 79

(خلف الأحمر) عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار، وشاعراً كثير الشعر جيّده، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه " . [1]

فقول ابن قتيبة أن خلفاً أجودهم طبعاً أي أكثرهم قولاً للشعر؛ لأنه فاضل بينهم في الطبع بصيغة التفضيل (أجود) فقد جعلهم شركاء في الطبع .

ب. **جودة المعاني الشعرية :**

ورد في مقاييس ابن فارس عن الجودة قوله : " جود : الجيم والواو والدال أصل واحد، وهو التسمُّح بالشيء ، وكثرة العطاء . يُقال : رجل جواد بيِّن الجود، وقوم أجواد . والجود : المطر الغزير . والجواد : الفرس الذّريع والسريع، والجمع أجياد . قال الله تعالى : " إذ عُرضَ عليه بالعشيِّ الصَّافناتُ الجياد " . [2]

أما ابن قتيبة فقد استخدم مصطلح الجودة بالصيغتين الاسمية والفعلية، وكانت موادّه كالآتي : أجاد، وأجود، وجاد، وجودة، وجيّد، ومجيد، ويجيد، ويستجاد، ويستجيد . وورد في لسان العرب أن الجيد في لغة العرب نقيض الرديء : وأجاد القول : أتى بجيدِّه . ورجل مجيد : أي يجيد كثيراً .

والجودة عند ابن قتيبة مختصة بالمعنى الشعرّي أكثر من اللفظ، ولو كان ابن قتيبة قد أسند إليها اللفظ والمعنى معاً، فقال : " وليس كل الشعر يحفظ ويختار على جودة اللفظ والمعنى " . إنّما أراد جودة المعنى وحسن اللفظ ، ولما عطف غلّب المعنى على اللفظ . ويدلنا على ذلك تفصيل القول

---

(1) م . ن . ، 532 (2) مقاييس اللغة ، 1/ 493

عنده حين تناول أضرب الشعر : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه وحلا، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه " . وهذا يؤكد أن الجودة قرينة المعنى الشعري، وأنها إذا أطلقت على اللفظ كانت دالة على أن جودة المعنى تعود إلى حسن اللفظ أو الصياغة . فالجودة تكون لمعاني الأشعار على اختلاف أسبابها . أورد ابن قتيبة مصطلح الجودة في أشكال كثيرة منها قوله في شعر امرئ القيس،

ويُستجاد من قوله :

فإنَّك لَمْ يَفْخَر علَيْكَ كَفاخرٍ ضعيفٍ ولَمْ يَغْلبكَ مِثل مغلَّبِ [1] .

ولفظة يستجيد في حديثه عن زهير بن أبي سُلمى، قال ابن قتيبة " وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر وكان يقدّم زهيراً ويستجيد قوله :

قَدْ جَعلَ المُبتغونَ الخَيرَ في هَرِمٍ وَالسائلون إلى أبوابه طُرقاً
مَنْ يَلْقَ يَوْماً على علاّتهِ هَرِماً يَلْقَ السَّماحةَ فيهِ والنَّدى خُلُقاً [2]

وتناول لفظة أجود في حديثه عن شعر سلامة بن جندل قال : " وكان سلامة بن جندل أحد من يصف الخيل فيحسن وأجود شعره قصيدته التي أوّلها :

أَوْدَى الشَّبابُ حَميداً ذُو التَّعاجيبِ وَلَّى وَذلكَ شَأْوٌ غيرُ مطلوبِ [3]

وأورد لفظة جيّد في حديثه عن النابغة الذبياني حيث يقول : " ومن جيّد شعره قوله :

ولَستَ بِمُستبقٍ أَخا لا تَلُمُّه على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهذَّبِ .[4]

---

(1) الشعر والشعراء ، 67 (2) م . ن . ، 69
(3) م . ن . ، 166 (4) م . ن . ، 94

وقد استخدم لفظة أجود في حديثه عن أبي النجم العجلي الراجز حين وصف أرجوزته اللامية بأنها أجود أرجوزة للعرب . قال : " وأنشد أبو النجم هشام بن عبد الملك أرجوزته التي أولها : الحمدُ للهِ الوَهوبِ الْمُجزلِ

وهي أجود أرجوزة للعرب " . [1]

وكذلك في حديثه عن عنتره بن شداد قال : " وأما الشعر فستعلم فكان أوّل ما قال قصيدة : هَلْ غادَر الشعراءُ من متردِّمِ

وهي أجود شعره وكانوا يسمّونها المذهبة " . [2]

وقد استخدم هذه الصيغة (أجود) في المقارنة بين قصيدتي الشمّاخ في صفة القوس .

وَذاقَ فَأُعطْتهُ من الليِّنِ جانباً كَفى . ولَها أَنْ يُغْرِق السَّهمَ حاجِزُ
إذا أَنْبضَ الرَّامونَ عَنْها تَرنَّمت تَرنُمُ ثَكْلَى أَوْجقْها الجَنائِزُ [3]

وقصيدة المتنخِّل . قال الأصمعي : " ما قيلت قصيدة على الزّاي أجود من قصيدة الشمّاخ في صفة القوس، ولو طالت قصيدة المتنخل كانت أجــود وهي التي يقول فيها :

يا لَيْتَ شعري وَهَمُّ المَرْءِ يُنْصبُهُ وَالمرْءُ لَيْسَ لَهُ في العَيْشِ تَحريزُ
هل أَجزينَّكُما يَوْماً بِقرضكما وَالقَرْضُ بالقرضِ مجزِيٌّ وَمَجْلوزُ

أي مربوط " . [4]

---

(1) م . ن . ، 401
(2) م . ن . ، 150
(3) الشعر والشعراء ، 195
(4) م . ن . ، 438

وفعل (يجيد) عند ابن قتيبة ينصرف إلى المعاني الشعرية التي يتناولها الشاعر ويجيد فيها بسبب تفوقه أو إحسانه في أحد ضروب الشعر، كما ورد في قوله عند حديثه عند العماني الراجز " كان العماني يجيد وصف الفرس " .[1] فهو يشير إلى المعاني المرتبطة بوصف الفرس .

ويطفو على السطح مفهوم المنافسة بين الشعراء لاظهار مدى الجودة وصحة أشعارهم، وقوة طبعهم، فهذا التنافس ضرب من البحث عن أشد الشعر قوة، وفي المعاني المشتركة والبحث عن أجودها، وأحسنها صيغاً .

ج. **الحِسُّ الجمالي :**

ورد في مقاييس ابن فارس في قوله عن الحَسن : " الحاء والسين والنون أصل واحد . فالحُسن ضدّ القُبح . يقال : رجل حسنٌ وامرأة حسناءُ وحسّانة . قال :

دارّ الفتاةِ التي كُنّا نقولُ لَها يا ظَبْيةً عْطُلاً حُسّانة الجِيدِ

والمحاسن من الانسان وغيره : ضد المساوئ . والحسن من الذراع : النصف الذي يلي الكوع، وأحسبه سمّي بذلك مقابلة بالنصف الآخر؛ لأنهم يسمّون النصف الذي يلي المرفق القبيح، وهو الذي يقال له كسرُ قبيح . قال :

لَو كُنْتَ عَيْراً كُنْتَ عَيْرَ مَذَلَّةٍ وَلَوْ كُنْتَ كِسْراً كُنْتَ كِسرَ قَبيحِ " [2]

نظر ابن قتيبة إلى جمال الشعر، معبّراً عن الحسّ بالجمال والشعور به حين استخدم ألفاظ الحُسن المختلفة بقوله : أحسن، واستحسن، وحَسَن، وحَسُن،

---

(1) م. ن . ، 509 (2) مقاييس اللغة ، 2/ 57 – 58

وحُسن، ومُحسن، ومُحسِن، ويُستحسن له .فالإحسان أو الحسن صفة جمالية تتعلق بالجمال والتناسق والاستواء ، وما يُجمع أكثر الناس على حسنه، ويلعب الذوق دوراً في مقياس الحسن شعراً وجماله .

ورد قول ابن قتيبة (أحسن) في حديثه عن النابغة قال : " وقال النابغة في العفّة وهو أحسن ما قيل فيه :

رِقاقَ النِّعالِ طَيّبٌ حجُزاتُهمْ يُحيَّوْنَ بِالريَّحانِ يَوْمَ السَّباسِبِ .

وقد جاء بلفظةِ (أحسن) ليدل على التفاضل في الحسن بين بيت النابغة وبيت عديّ بن زيد الذي يجمعهما زمن واحد. والذي أخذه من النابغة.

وقد حاز النابغة فضل السبق على عديّ بن زيد . قال عديّ :

أجَلْ أنَّ الله قَدْ فَضَّلكّم فَوقَ مَنْ أحكي بِصُلبٍ وَإزارِ .

فالصُّلب الحَسَبُ والإزار العفاف . [1]

وقد قارن بين شاعرين في وصفهما نحول البدن، فقال في عمر بن أبي ربيعة : " ويستحسن له قوله في نحول البدن :

رَأَتْ رَجُلاً أَمّا إذا الشَّمسُ عارَ ضَتْ فَيَضْحى وَأَمَّا بِالعشِّي فَيخْصَرُ

قليلاً عَلى ظَهرِ المَطيَّةِ شَخْصُهُ خَلا ما نبى عَنْه الرِّداءُ المُحَبَّرُ

وقال عن المجنون : " وأحسن منه (عمر بن أبي ربيعة) قول المجنون في نحول البدن :

ألا إنما غادَرْتِ يا أُمَّ مالِكِ صَدىً أَينْما تَذْهبُ بهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ ".[2]

---

(1) الشعر والشعراء ، 87 (2) م . ن . ، 369

وقد أطلق ابن قتيبة مصطلح (أحسن) ليدل على العمـــوم والإطـــلاق فـــي التفوق بالحسن في قول متمّ بن نويرة . قال : " وهذه القصيدة من أحسن ما قال وفيها يقول :

أبى الصَّبرُ آياتٌ أَرَاها وَأَنَّني أرى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطعا

وإِني متى ما أَدْعُ باسْمكَ لا تُجبْ وكُنت جديراً أَنْ تُجيبَ وتَسمعا " .[1]

وكذلك أورد هذا المصطلح في قول المجنون :

وأَدْنَيتني حتّى إذا ما سَبَيتْني بِقَوْلٍ يُحلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأَباطحِ

قال فيه : " ولم يقل أحد من الشعراء في معنى قوله شيئاً أحسن منه " .

ونحو قوله هذا قول ابن الأحنف :

أَشكو الذّينَ أذاقوني محبتهمْ حتى إذا أيقظوني بالهوى رقدوا [2]

وقد ورد قوله (يُستحسن) في كثير من المواقع أذكر منها قوله في زهير بن أبي سُلمى : " ويُستحسن قوله :

يطعنهم ما آرتموا حتى إذا طُعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

ويستحسن أيضاً قوله :

هو الجواد الذي يعطيك نائلهُ عفواً ويظلمُ أحياناً فَيَظْلِمُ

وقد بيّن ابن قتيبة أن لزهير السبّق في هذا المعنى لا ينازعه فيه أحد غيـــر واحد هو كثير عزة حين قال مادحاً عبد العزيز بن مروان :

رأيتَ ابن ليلى يعتري صلبَ مالهِ مسائلُ شتى من غني ومصرمِ

مسائل أن توجد لديه تجد بها يداه وان يظلم بها يتظلّمُ [3]

---

(1) م . ن . ، 210 (2) م . ن . ، 379

(3) الشعر والشعراء ، 71

ونرى ابن قتيبة قد أورد لفظه (حَسَن) في حديثه عن النابغة حين قـال : " ومن حَسَن الدعاء قول النابغة الذبياني :

أغيركَ معقلاً أبغي وحصناً فأَعيتني المعاقلُ والحصونُ

وجئتكَ عارياً خلقاً ثيابي على خوف تظنُّ بيَ الظنونُ " . [1]

وقد أسند ابن قتيبة الحَسنَ إلى التشبيه في حديثه عن حُميد بن ثور الهلالـي في قوله واصفاً فرخ قطاة :

كأنَّ على أشداقهِ نور حنوةٍ إذا هو مدَّ الجيدَ منهُ ليطعما [2]

وقد أطلق مفهوم (الحُسن) على وجه العموم حين وصـف الـشاعر النمر بن تولب بحُسن الشعر إذ قال : " وكان شاعراً جواداً ويسمّى الكـيِّس لحُسن شعره ... وهو القائل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

إنا أتيناكَ وقدْ طالَ السفرْ نقودُ خيلاً ضمراً فيها عَسَرْ

نطعمها الشّحم إذا عزَّ الشجرْ والخيل في إطعامها اللحمَ ضرر[3]

وكذلك يقول عن طفيل بن كعب الغنوي : " وكان يقال له في الجاهلية المُحبِّر لحُسن شعره . [4]

وكان يصف بعض الشعراء بالمُحسن كقوله في أبي دهبل الجمحي " وكـان شاعراً مُحسناً وأكثر أشعاره في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق والي اليمن

---

(1) م . ن . ، 108 (2) م . ن . ، 147

(3) م . ن . ، 191 (4) الشعر والشعراء ، 295

وفيه يقول :

تحملهُ الناقةُ الأدماءُ معتجراً بالبردِ كالبدرِ جلّى ليلةَ الظلمِ

وكيفَ أنساكَ لا أيديكَ واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليتَ من قدمِ[1]

وكذلك قوله في ابن الرّقاع : " وكان شاعراً محسناً وهو أحسن من وصف ظبية وصفاً فقال :

كالظبيةِ البكرِ الفريدةِ ترتعي من أرضها قفراتها وعهادها

خضبتْ لها عقدُ البراقِ جبينها منْ عركها علجانها وعرادها

كالزين في وجه العروس تبدلت بعد الحياء فلا عبتْ أرآدها

تزجي أغن كأنَّ إبرة روقهِ قلمٌ أصابَ من الدَّواةِ مدادها[2]

وقوله في الأعور الشَّنيُّ : " هو بشر بن منقذ من عبد القيس وكان شاعراً محسناً، وهو القائل :

لا تأمننَّ امرءاً خانَ امرءاً أبدا إن من الناسِ ذا وجهينِ خوَّانا [3]

وقوله في صريع الغواني : " هو مسلم بن الوليد من أبناء الأنصار وكان مدّاحاً مُحسناً ... ومم يُستحسن له من شعره قوله في الوداع :

وإني واسماعيلَ يومَ وداعهِ لكالغمدْ يومَ الروع زايلهُ النصلُ

فإنْ أغشُ قوماً بعده وأزرهم فكالوحشِ يُدنيها من الأنسِ المحلُ [4]

واستخدم لفظة (استُحسن) حين تحدّث عن الراعي النميري قال : " واستُحسن له قوله في الاعتذار من ترك الزيارة :

---

(1) م . ن . ، 408 (2) م . ن . ، 410

(3) م . ن . ، 425 (4) م . ن . ، 564

إنّي وإياكَ والشكوى التي قصرتْ خطوي ونأيكِ والوجدَ الذي أجدُ
كالماءِ والظالعِ الصَّديانِ يرقبهُ هو الشفاءُ لهُ والريُّ لو يردُ

واستُحسن له قوله في النساء :

تحدثهنَّ المضمراتِ وفوقنا ظلال الخدور والمطي جوانح
يناجيننا بالطرفِ دونَ حديثنا ويقضينَ حاجاتٍ وهنَّ نوازحُ"[1]

د. التمثّل بالشعر

ورد في مقاييس ابن فارس : " مثل : الميم والثاء واللام أصل صحيح يدلُّ على مناظرة الشيء للشيء . وهذا مثل هذا، أي نظيره . والمثل والمثال في معنىً واحد . وربّما قالوا مثيل كشبيه . والمثلُ المضروب مأخوذ من شَبه وشِبه؛ لأنّه يَذكر مورى به من مثله في المعنى " [2]

وتمثّل الشاعر إذا أنشد بيتاً ثم آخر ثم آخر، وهي الأمثولة، وتمثّل بهذا البيت وهذا البيت بمعنى، ويقال : تمثّل فلانٌ : ضرب مثلاً، وتمثّل بالشيء ضربه مثلاً .

فالتمثّل بالشعر يدلّ على اختيار واستمرارية ذلك الشعر . وقدرته على اكتناه الحياة وقوة التعبير عنها، وإذا تمثّل ناقد بالشعر فإنه يدخله في باب الاستجادة أو الاستحسان .

وقد يورد ابن قتيبة بيتاً من الشعر لشاعر يكون هذا البيت قد عُرف للناس أكثر من قائله، فإذا أراد أن يبين منزلة الشاعر أشار إليه بقوله : وهو القائل كذا ..

---

(3) الشعر والشعراء ، 266 (1) مقاييس اللغة ، 5/ 296

وقد تحدث عن الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد البكري وقال : " ويتمثّل من شعره بقوله :

وتردُّ عنكَ مخيلةَ الرجلِ العريض موضحةٌ عن العظمِ
بحسامِ سيفكَ أو لسانكَ والكلم الأصيلِ كارغبِ الكلمِ

وبقوله :

لنا يومٌ وللكروانِ يومٌ تطيرُ البائساتُ ولا نطيرُ [1]

وقوله في النمر بن تولب : ومما يتمثل به من شعره قوله :

ومتى تصبكَ خصاصةٌ فآرج الغنى وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ
لا تغضبنَّ على امرئٍ في مالهِ وعلى كرائمِ صلبِ مالكِ فاغضبِ[2]

وقوله في جران العود: " وممّا يتمثّل به من شعره قوله :

فلا تأمنوا مكر النساءِ وامسكوا عرى المال عن أبنائهنَّ الأصاغرِ
فإنكَ لمْ ينذرك أمراً تخافهُ إذا كنتَ منهُ جاهلاً مثلُ خابرِ

وقوله في القُطامي : " ويتمثّل من هذه القصيدة بقوله :

ومعصيةُ الشفيقِ عليكَ مما يزيدكَ مرةً منهُ استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منهُ وليسَ بأنْ تتبعهُ اتباعا [3]

وقوله في أبي نواس الحسن بن هانئ : " ويتمثل من شعره بقوله :

ترى المعافى يعذلُ المبتلى ولا يلوم المُبْتَلى المُبْتَلِى [4]

---

(1) الشعر والشعراء ، 104 – 105 (2) م . ن . ، 191
(3) م . ن . ، 482 – 483 (4) م . ن . ، 555

وانظر إلى الحجاج بن يوسف الثقفي وقد تمثّل عند موت ابنه يوسف ببيتــين من شعر زياد الأعجم الذي يقول :

الآنَ لَمّا كنتَ أكملَ منْ مشىَ وافترَّ نابكَ عن شباهِ القارحِ
وتكاملتْ فيكَ المروءةُ كلها وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالحِ [1]

---

(1) م . ن . ، 280

الفصل الثاني

بشر بن المعتمر

مرَّ بشر بن المعتمر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكوفي الخطيب ، وهو يعلِّم فتيانهم الخطابة، فوقف بشر فظنّ ابراهيم أنّه إنّما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النظارة، فقال بشر : اضربوا عمّا قال صفحاً، واطووا عنه كشحاً . ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه، وكان أوّل ذلك الكلام : " خُذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إيّاك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرم جوهراً، وأشرف حسباً، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكلّ عين وغُرَّة، من لفظ شريف ومعنى بديع . وأعلم أن ذلك، أجدى عليك ممّا يعطيك يومك إلاّ طول، بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسان سهلاً؛ وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه . وإياك والتوعر، فإنّ التوعّر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك . ومن أراغ معنىً كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً : فإن حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقّهما أن تصونهما عمّا يفسدهما ويهجّنها، وعمّا تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما . فكن في ثلاث منازل؛ فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يشرُفُ بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضّع بأن يكون من معاني العامّة .

وإنما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقامٍ من المقال . وكذلك اللفظ العاميّ والخاصيّ . فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامّة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدّهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام .

فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوّل نظرك وفي أوّل تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحلَّ في مركزها وفي نصابها، ولم تتّصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تُكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها؛ فإنكّ إذا لم تتعاطَ قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يَعِبْك بترك ذلك أحد . فإن تكلفتهما ولم تكن حاذقاً مطبوعاً . ولا محكماً لشأنك، بصيراً بما عليك ومالك، عابك من أنت أقلُّ عيباً منه، ورأى من هو دونك أنه فوقك وخطب بعضهم فقال: إنّ الله أنشأ الخلق وسواهم ومكّنهم ثم لاشاهم، فضحكوا منه :

وقال بعض المتأخرين :

نورٌ تبينَّ فيهِ لا هوتيه فيكادُ يعلم علمَ ما لنْ يعلما

فأتى من الهُجنة بما لا كفاء له . وكذلك كن أيضاً إذا كنت كاتباً .

واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنّهما كلام لا يلحقهما وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها، والرسالة يكتب بها،

والرسالة تجعل خطبة، والخطبة تُجعل رسالة، في أيسر كُلفة، ولا يتيسَّر ذلك في الشعر عن سرعة قلبه وإحالته إلى الرسائل إلا بكلفة، وكذلك الرسالة والخطبة لا يُجعلان إلا بمشقة .

وممّا يُعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصان بأمر الدين والسلطان، وعليهما مدار الدّار، وليس للشعر بهما اختصاص . أما الكتابة فعليهما مدار السلطان، والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين؛ لأن الخطبة شعر الصلاة التي هي عماد الدّين في الأعياد والجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله – عز وجل – من ذلك في كتابه، إلى غير ذلك من منافع الخطب ولا يقع الشعر من هذه الأشياء موقعاً، ولكن له مواضع لا ينجحُ فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها، وإن كان أكثره قد بُني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة فإن ابتليت بأن تتكلّف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع في أوّل وهلة، وتعاصى عليك بعد اجالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجرن ودعه بياض يومك وسواد ليلتك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاه، إن كانت هناك طبيعة، أو جريت من الصناعة على عرق . فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرَض، ومن غير طول إهمال، فالمنزلة الثالثة أن تتحوّل من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفها عليك؛ فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب، والشيء لا يحنُّ إلا إلى ما يشاكله، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرّهبة، كما تجود به مع الشهوة والمحبة . فهذا هذا . [1]

(1) البيان والتبيين ، 1/ 135 – 139 . العمدة ، 1/ 382 – 385

وأضاف أبو هلال العسكري إلى ما سبق قول بشر بن المعتمر، وقال : ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات .

وأعلم أنّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال، فإن كنت متكلماً، أو احتجت إلى عمل خطبة لبعض من تصلح له الخُطبّ، أو قصيدة لبعض ما يراد له القصيد، فتخطّ ألفاظ المتكلمين مثل : الجسم والعرض والكون والتأليف والجوهر، فإن ذلك هجنة .

والنُّعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة؛ من قذف المحصنات، وشهادة الزّور وقول البهتان، لا سيّما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفحله، وليس يراد منه إلا حسن اللفظ وجودة المعنى، هذا هو الذي سوّغ استعمال الكذب وغيره ممّا جرى فيه ... وإذا أردت أن تعمل شعراً فاحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزناً يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها، ضمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفة منه في تلك . ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزاً فجاً ومتجعداً جلفاً ... فإذا عملت القصيدة فهذّبها ونقّحها بإلقاء ما غثّ من أبياتها ورثّ ورذل، والاقتصار على ما حسن وفخم، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه حتى يستوي اجزاؤها وتتضارع هواديها واعجازها . [1]

---

(1) الصناعتين ، 153 - 157

ذلك ما جاء في صحيفة بشر ذات الطابع النقدي الذي ذكره القدماء، فقد اتضّح من خلالها حديثه عن الأوقات والاحوال المناسبة لقول الشعر، يقول : " خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حسباً " .

فهو يرشد الشاعر وينبهه إلى ضرورة اغتنام ساعة نشاطه وفراغ باله؛ لأن قول الشعر في تلك الساعة أكرم جوهراً، وأشرف حسباً، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور .

فليعمل الشاعر على توافق الوقت مع حال النشاط الجسمي، وفراغ البال من هموم الحياة ومشاغلها؛ فهذا يعين الشاعر على قول الجيد من الشعر، عالي القيمة، حسن في سمع متلقيه، وله طلاوة وماء ورونق، يجود في الحسّ والنّفس.

وهذا ابن قتيبة يقول : وللشعر تارات يبعد فيها قريبهُ، ويستصعب فيها ريّضه .. ولا يُعرف لذلك سببٌ إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو غمّ خاطر، وللشعر أوقات يسرع فيها أتيُّه، ويسمحُ فيها أبيُّه . منها أوّل الليل قبل تغشي الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسير، ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب " . [1]

فهناك أوقات عند ابن قتيبة يمتنع فيها قول الشعر عن الشّاعر، ولا يعرف لذلك سبباً سوى ما يعتريه من همّ أو سوء غذاء عرضاً للغريزة أو لموهبة الشعر. وهذا ما أراده بشر بن المعتمر . إلا أن ابن قتيبة يجد أن ذلك ليس بالسبب الكافي؛ لآنّ للشعر أوقاتاً أُخر يختلف أحوالها كان ينبغي أن

---

(1) الشعر والشعراء ، 31 – 32

تكون كمثيلاتها في القياس العقلي، لكنها في واقع الحال على خلافها، من ذلك أن بعض الشعراء يجودون بالشعر ويسرع إليهم قبل النوم، وليس بعده، وقبل الغداء وليس بعده، وفي أحوال المرض عند شرب الدواء والنشاط معدوم، وفي السجن حيث الهموم الكثيرة على قائل الشعر .

ويتفق الناقدان في وجوب ابتعاد الشاعر عن التوعّر والتعقيد، واختيار أصحّ الأساليب، والبعد عن الغرابة . فبشر ذهب في حديثه عن اللفظ والمعنى إلى النثر أكثر من الشعر، عدا ما جاء في حديثه عن اللفظ في الشعر وخاصة ما يتعلق بالقافية، مشترطاً للشاعر أن يكون مطبوعاً لينجو من العيب، وهو بذلك كابن قتيبة في الطبع . إلا أن بشراً في رسالته قصد شعراء الصنعة أو التكلف في أغلب رسالته . خلافاً لابن قتيبة الذي يفضل شعراء الطبع ويتحدث عنهم وعن خصائص طبعهم ، فيذكر التكلف وأهله كي يبرز معنى الطبع وتحديد مذهبه، وليس لعونٍ يقدّمه لشعراء الصنعة أو التكلف .

ويتفق الناقدان في كراهية التعقيد في اللفظ أو الاسلوب . يقول بشر : " فإيّاك والتوعرّ فإن التوعرّ يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك " .

فالتوعرّ يفسدّ الأسلوب باستهلاك المعاني، وبشاعة اللفظ أو ثقله لغرابة أو معاظلة في التركيب.

وتحدّث بشر بن المعتمر فبينّ معنى شرف المعاني فقال : " والمعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتمنع بأن يكون من معاني الخاصة، وإنما مدار الشرف مع الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال " .

وجاء التكلف عند بشر مقروناً بالصنعة قال : " فإن ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع فلا تعجل ولا تضجر، ودعه بياض يومك، أو سواد ليلتك، وعاوده عند نشاطك، وفراغ بالك فإنك لا تعدم الإجابة " .

فالتكلف هو غصب للموهبة، وفي النفس منه نفرة، ويمجّ الأسماع، بينما الصنعة هي إصلاح وتهذيب الشعر بعد ابداعه، ولذلك نهى بشر عن تكلف القول، ودعا إلى انتظار الوقت والحال المناسبين لقول ما يريد ثم يصلحه .

في حين نجد ابن قتيبة يرى أن كلّ قول شعري قائم على موهبة قوية أو ضعيفة، وأن الصنعة جزء من الطبع، فإذا أصلح شعره صار ذلك عنده تكلفاً . فالناقدان هنا يختلفان في فهمهما التكلف والصنعة . يقول بشر : " فإن أنت ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع فلا تعجل ولا تضجر".

ويقترب بشر بن المعتمر في حديثه عن ضرب من الشعر حسن اللفظ جيد المعنى من ابن قتيبة، يقول بشر : " وليس يراد منه إلا حسن اللفظ وجودة المعنى" . وهذا ما قاله ابن قتيبة حين جعل الشعر أربعة اضرب منها " ضرب حسن لفظه وجاد معناه " . [1] وبهذا تتضح آثار بشر في نقد ابن قتيبة .

---

(1) الشعر والشعراء ، 21 .

الأصمعي

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن أعصر المعروف بالأصمعي الباهلي .

كان الأصمعي صاحب لغة ونحو، وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، سمع شعبة ابن الحجاج والحمادَيْن ومسعر بن كدام وغيرهم، وروى عنه عبد الرحمن بن أخيه عبد الله وأبو عبيد القاسم بن سلام وابو حاتم السجستاني وابو الفضل الرياشي وغيرهم . وهو من أهل البصرة، وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد . وكانت ولادة الأصمعي سنة اثنتين وقيل ثلاث وعشرين ومائة وتوفي في سنة ست عشرة وقيل أربع عشرة وقيل خمس عشرة وقيل سبع عشرة ومائتين بالبصرة، وقيل بمرو . [1]

وصنّف الأصمعي الأصمعيات، خلق الإنسان، خلق الإبل، الخيل، الشاء، الوحوش، الأضداد، القلب والإبدال، النبات، الدارات، النخل والكروم، فحولة الشعراء . [2]

ذكر ابن قتيبة الأصمعي في كتبه، وكان من الرواة الذي روى عنهم ابن قتيبة أخباراً نقدية، أخذها رواية أو عن كتبه أو كتب تلاميذه . قال ابن قتيبة : " حدثني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ... " . [3] وقال أيضاً : " قال الأصمعي : يقال للأرض إذا كانت كثيرة التراب : هذه رفغ من الأرض ". [4] وقد جاء ابن قتيبة ببيت أبي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ إلى قليل تقنع

---

(1) وفيات الأعيان ، 3/ 170 - 175 (2) الفهرست ن 82 - 83

(3) الشعر والشعراء ، 243 (4) م . ن . ، 436

على أنه ممّا حسن لفظه وجاد معناه في مناسبة المعاني للصياغة، وقد أخبرنا الأصمعي بأن هذا البيت : أبدع بيت قاله العرب .

ونلحظ أيضاً أن ابن قتيبة قد أخذ عن الأصمعي من كتبه، ومن كتب غيره كابن سلام مثلاً .

قال أبو عبد الله الجمحي : " كان امرؤ القيس ممّن يتعهر في شعره .. وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعه عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديّار، ورقة النِسيب، وقرب المأخذ " . (1)

وهذا الكلام موجود عند ابن سلام في طبقاته وأوّله : " فاحتج لامرئ القيس من يقدمه، قال : ما قال مالم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب، واتبعته فيها الشعراء؛ استيقافه صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ " . (2)

والأصمعي واحد من علماء البصرة الذين كانوا يقدّمون امرأ القيس، وهو القائل : " بل أولهم كلّهم في الجودة امرؤ القيس له الحظوة والسبّق، وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه " . (3)

فالمقياس عنده هنا هو جودة الشعر، وهو ما أكدّ عليه ابن سلام في طبقاته، وهذا أيضاً ما ردَّدَهُ ابن قتيبة في اختياره الشعر ممّا حسن لفظه وجاد معناه .

---

(1) الشعر والشعراء ، 52

(2) طبقات فحول الشعراء ، 1/ 55

(3) فحولة الشعراء ، 9

أبو تمام الطائي

أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ : ويقال أنّ أباه كان نصرانياً من أهل جاسم، قرية من قرى دمشق ، كان أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه، وله كتاب الحماسة التي دلت على غزارة فضله واتقان معرفته بحسن اختياره وله مجموع آخر سمّاه " فحول الشعراء " جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين، وله كتاب " الاختيارات من شعر الشعراء " وكان له من الحفظ ما لا يلحقه فيه غيره، قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع، ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم، وجاب البلاد وقصد البصرة وبها عبد الصمد بن المعذّل الشاعر، وقال العلماء : خرج من قبيلة طيء ثلاثة، وكل واحد مجيد في بابه : حاتم الطائي في جوده وداود بن نصير الطائي في زهده، وأبو تمام حبيب بن أوس في شعره ... قال له ابن الزيات : " يا أبا تمام إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب، وما يدّخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة " ... وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومائة، ونشأ بمصر، وتوفي بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين . [1]

وكان أبو تمام في حماسته يختار الشعر الذي يروقه دونما اعتبار لمدى شهرة صاحبه فقد أراد أن يضع بين أيدي الناس نماذج شعرية رائعة؛ ولأنه شاعر مرهف العقل والحسّ، ذواقه، كان يحسن استخراج أروع ما في

---

(1) وفيات الأعيان ، 2/ 11 - 17

القصائد، فإذا صادفه لفظه قلقة مكدودة استبدلها، حتى يستوفي الكلام عناصر الحسن اللاّئقة به .

وقد تصدى لشرح الحماسة – كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل– : " أبو بكر الصولي والحسن بن بشر الآمدي وأبو الفتح ابن جنّي وأبو هلال العسكري، ومن علماء القرنين الرابع والخامس شرحها أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي وأبو العلاء المعري . وشرحها من علماء القرن الخامس أبو الحسن علي بن سيده وأبو الفضل الميكالي والخطيب التبريزي، ومن علماء القرن السادس أبو الفضل علي الطبري والبيهقي والعكبري " [1] .

ذكر ابن قتيبة أن أبا تمام قد عوّل كثيراً على صريع الغواني وعلى أبي نواس فقال : " وهو (مسلم) أوّل من ألطف في المعاني، ورقّ في القول وعليه يقول الطائي في ذلك وعلى أبي نواس " [2] . وهذا ما جاء به الآمدي في موازنته حين قال : " وشعره لا يشبه شعر الأوائل ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني الموّلدة، فهو بأن يكون في حيّز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه أحق وأشبه " [3] . ورأى ابن قتيبة أن أبا نواس شاعر مطبوع . ولم يقل ذلك في أبي تمام، ولكنه اتكأ عليه في وصف الشعر فذكر ما قاله في الشعر، بقوله : " وقال الطائي يذكر الشعر " .

إن القوافي والمساعي لم تزلْ ... مثلَ النظام إذا أصابَ فريدا
هي جوهرٌ نثرٌ فإنْ ألفتهُ ... بالشعرِ صارَ قلائدا وعقودا
من أجل ذلك كانت العربُ الأُلى ... يدعون هذا سؤدداً مجدودا
وتندُّ عندهم العلا إلا عُلاً ... جُعلتْ لها مرر القريض قيودا

---

(1) المصادر الأدبية واللغوية ، 98 (2) الشعر والشعراء ، 564
(3) الموازنة ، 11

وقال أيضاً :

ولم أرَ كالمعروفِ تدعى حقوقه ... مغارمَ في الأقوامِ وهي مغانمُ
وإنَّ العلاَ مالمْ ترَ الشعرَ بينها ... كالأرضِ غفلاً ليسَ فيها معالمُ
وما هو إلا القول يسري فيغتدي ... له غررٌ في أوجه ومواسمُ
يرى حكمةً ما فيه وهو فكاهةٌ ... ويقضى بما يقضي به وهو ظالمُ
ولولا خلالٌ سَنها الشعرُ ما درى ... بغاة العلا منْ أينَ تؤتى المكارمُ

والبيت الأخير من أبيات أبي تمام ذكره ابن قتيبة لما فيه من وصف للشعر طابق وصف ابن قتيبة نفسه له . قال ابن قتيبة : " الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسُّور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مغافرها، والشاهد العدل يوم النِّفار ، والحجة القاطعة عند الخصام ... ومن لم يقم على شرفه، وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة، والفعال الحميد – بيت منه – شذّت مساعيه – وإن كانت مشهورة – ودرسَتْ على مرور الأيام، وإن كانت جساما " [1] .

وفي مسألة لطف المعاني واعمال العقل في البحث عنها، أذكر وصية أبي تمام للبحتري، إذ يقول : " يا أبا عبادة تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم أن العادة جَرت أن يقصد الإنسان لتأليف شيء، أو حفظه في وقت السّحر؛ وذلك أنّ النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وإن أردت الشعر فاجعل اللفظ رشيقاً، والمعنى رقيقاً، وأكثر فيه من الصّبابة، وتوجع الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق . فإذا أخذت في مديح سيد ذي أيادٍ فَأَشهر مناقبه، وَأَظهر مناسبه، وَأَبِنْ معالمه، وشرِّف مقامه، ونضِّد المعاني، واحذر المجهول منها . وإيّاك أن تشين شعرك

---

(1) عيون الأخبار ، 2/ 199 – 201

بالألفاظ الرديئة، ولتكن كأنك خيّاط يقطع الثياب على مقادير الأجساد، وإذا عارضك الضّجر فأرح نفسك ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ البال، واجعل شهوتك الذريعة إلى حسن نظمه، فإنّ الشهوة نِعَم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين، فمااستحسن العلماء فاقصدهُ، وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله " [1] .

وهذه الوصيّة تذكرنا بما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر الذي تأثر به ابن قتيبة . فذكر أبو تمام أوقات قول الشعر، إذ أن أفضلها عنده عند فراغ الهموم، والابتعاد عن الغموم، ووقت السَّحر؛ لأنّ النَّفس . وقتئذ تكون قد أخذت قسطاً وافراً من الراحة والنوم، وأوصى باختيار اللفظ الرشيق، والمعنى الرقيق المناسب لكل فن من القول، ولكل مقام مقال . فأبو تمام قد عرض لمسألة موافقة اللفظ للأغراض الشعرية، مما لم يعرض له ابن قتيبة، وإن كان يفكر بمناسبة المعاني للغرض الشعري .

---

(1) زهر الآداب 1/ 110

الفصل الثالث

ابن سلاّم الجمحي

محمد بن سلاّم بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري أبو عبد الله، كان من أعيان أهل الأدب، وألف كتاباً في طبقات الشعراء، وله غريب القرآن، وأخذ عن حماد بن سلمة، ومبارك بن فضالة وجماعة، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله وأبوالعباس ثعلب وأحمد بن علي الأبّار . توفي في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين [1] .

حاول ابن سلام تصنيف الشعراء ويضعهم في مراتب أو طبقات، وقال في مقدمة الكتاب : " ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيّامها، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها وأيّامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر "[2] .

وقد فاضل ابن سلام بين الشعراء على أسس ثلاثة : الجودة، والكم، وتنوع الأغراض التي قال فيها الشاعر . وقدم لنا دراسة مختصرة عن الشعر فقال : " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللّسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممّن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا يعرف جودتها

---

(1) معجم الأدباء ، 18/ 204 – 205

(2) طبقات فحول الشعراء ، مقدمة ، 3

بلون ولا مسّ ولا طراز ولا مسّ ولا صفة، ويعرفها الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستّوفها ومفرّغها. ومنه البصر بغريب النخل، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده، وتشابه لونه ومسّه وذرعه حتى يضاف كل صنف منها إلى بلده الذي خرج منه، وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون جيدة الْشطب، نقيّة الثغر، حسنة العين والأنف، جيدة النهود، طريفة اللّسان، واردة الشعر، فتكون هذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار وتكون أخرى بالف دينار وأكثر لا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة .. وان كثرة المدارسة تعين على العلم قال محمد : قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيّان أبي محرز وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله، وبأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى قال له هل تعلم أنت منها ما إنه مصنوع لا خير فيه . قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم منك بالشعر . قال : نعلم . قال : فلا تنكر أن يعرفوا من ذلك ما لا تعرفه أنت . قال ابن سلام : وقال قائل لخلف إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنه فما أبالي ما قلت أنت وأصحابك . فقال له : إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته . فقال لك الصراف : إنّه رديء ، هل ينفعك استحسانك له " [1] .

يعدُّ ابن سلام مصدراً مهماً من مصادر النقد عند ابن قتيبة، فقد عوّل عليه كثيراً، وافتنَّ في الأخذ من طبقاته . فأحيانا يأخذ بالإسناد إليه، وأحياناً يأخذ دون اشارة، ويبدل بالحذف أو الايجاز أو بالفهم . ويمكننا تعرّف ذلك بتناول بعض الشعراء بالدراسة أمثال طرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني، وتبيان نقد ابن قتيبة فيهم .

قال ابن سلام في نقد اشعار النابغة : " وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيراً، ويقال : كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام .

---

(1) طبقات ابن سلاّم ، 3 – 4

وأجزلهم بيتاً، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلّف، ونبغ بالشعّر بعدما احتنك، وهلك قبل ان يهتر (يعجز ويخرف) " [1] . ويكثر ابن سلام في النابغة قوله : " ومن جيد شعره، ويستجاد له قوله، ومما يتمثّل به ايضاً من شعره "

وذكر ابن قتيبة رواية الشعبي فقال : " دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه التفت إليه عبد الملك فقال : من أشعر الناس ؟ فقال : أنا، فأظلم ما بيني وبينه، فقلت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتعجب عبد الملك من عجلتي فقال : هذا الأخطل . فقلت : أشعر منه الذي يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجههُ مستقبلُ الخيرِ سريعُ التمامْ
للحارث الأكبر والحارث الـ أصغرِ والأعرج خير الأنامْ
ثم لهند ولهند وقدْ ينجع في الروضاتِ مائر الغمامْ
ستة آبائهمُ ما همُ همْ خيرُ من يشربُ صفو المُدامْ

فقال الأخطل : صدق يا أمير المؤمنين، النابغة أشعر منّي . فقال لي عبد الملك : ما تقول في النابغة . قلت : قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرّة خرج وببابه وفد غطفان فقال : أيُّ شعرائكم الذي يقول :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظنونُ
فألْفيتُ الأمانةَ لم تخنها كذلكَ كانَ نوحٌ لا يخونُ

قال : النابغة . قال فأي شعرائكم الذي يقول :

حلفتُ فلمْ أتركْ لنفسكَ ريبةً وليسَ وراءَ الله للمرءِ مذهبُ

---

(1) الشعر والشعراء ، 83

قالوا : النابغة . قال : فأي شعرائكم الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنّ المنتأى عنكَ واسعُ

قالوا : النابغة . قال هذا أشعر شعرائكم [1] .

وإذا نظرنا إلى قول ابن قتيبة : " أهل الحجاز يفضّلون النابغة وزهيراً " فإنّ قوله هذا مأخوذ ممّا جاء به ابن سلاّم بقوله : " أخبرني يونس بن حبيب .. وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة " [2] . وقوله : ويقال : كان النابغة أحسنهم " هو أيضاً من قول ابن سلام : " وقال من احتج للنابغة : كان أحسنهم ديباجة شعر " [3] .

وقال ابن سلام في نقده لزهير بن أبي سلمى : " ويروي عن عمر بن الخطاب أنه قال : أنشدوني لأشعر شعرائكم . قيل : ومن ؟ قال : زهير . قيل : وبِمَ صار ذلك ؟ قال : كان لا يعاظل بين القول، ولا يتبع حوشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه " .

أخذ ابن قتيبة كلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من مصدرين : الأول : ما جاء عند ابن سلام . قال ابن سلام : " أخبر عيسى بن يزيد بن دأب، بإسناد له، عن ابن عباس قال : قال لي عمر .. " وذكر النّص الأوّل بتمامه،مع الالتفات إلى أنّه لم يذكر السّند اكتفاءً بقوله: " ويروى عن عمر" . وأنّ قوله : " وبم صار كذلك ؟ " عند ابن قتيبة أصلها عند ابن سلام : (وكان كذلك ؟) . ثم روى ما قاله ابن عباس من مصدر آخر لم يوضحه . وذكر ابن قتيبة ما قاله قدامة بن موسى في تقديمه زهيراً واستجادة قوله :

---

(1) الشعر والشعراء ، 83 – 84 (2) طبقات فحول الشعراء ،1/ 52

(3) م . ن . ، 1/ 56

قال ابن قتيبة : " وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر، وكان يقدّم زهيراً، ويستجيد قوله :

قد جعل المبتغون الخيرَ في هرمٍ والسَّائلونَ إلى أبوابه طُرقاً
منْ يلقَ يوماً على علاّتهِ هرماً يلقَ السماحةَ والندىَ خلقاً [1]

فحذف ابن قتيبة إسناد الخبر، وعبر عن إعجاب قدامة بن موسى بقصيدة زهير، استجادةً لبعضها دون أن يشير إليها مجتمعة، فكأن استجادته لبعض المعاني ينصرف الى القصيدة كلّها .

وقال ابن قتيبة : قال أبو عبيدة : يقول من فضّل زهيراً على جميع الشعراء : إنّه أمدح القوم، وأشدهم أَسْرَ شعر " . قال : وسمعت ابا عمرو بن العلاء يقول : الفرزدق يشبّه بزهير، وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر؛ لأنهم نقحّوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين . قال : وكان زهير يسمّي كبرى قصائده الحوليات " [2] .

وما أورده ابن قتيبة عن أبي عبيدة في طبيعة مدح زهير وأثر شعره في متلقيه، لم يظهر عند ابن سلام بحرفه . قال ابن سلام : " وقال أهل النظر : كان زهير أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سخفٍ، وأجمعهم للكثير من المعنى في قليل من المنطق، وأشدهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالاً في شعره " [3] .

أوجز ابن قتيبة عبارة ابن سلام : " أشدّهم مبالغة في المدح . تجنّباً ظلال المبالغة والإفراط، فقد جعل المفاضلة في فنيّة المدح، والمبالغة في اكتساب زهير لها ورجحان كفته على غيره من شعراء طبقته .

---

(1) الشعر والشعراء ، 69 (2) الشعر والشعراء ، 73
(3) طبقات فحول الشعراء ، 1/ 64

وجاء ابن قتيبة بقول عكرمة بن جرير . قال : " قال عكرمة بن جرير: قلت لأبي من أشعر الناس ؟ قال : أجاهلّية أم اسلاميّة ؟ قلت : جاهلية . قال : زُهير . قلت : فالاسلام . قال : الفرزدق قلت : فالأخطل . قال : الأخطل يُجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر . قلت له : فأنت ؟ قال: أنا نحرت الشعر نحراً، قال عبد الملك لقوم من الشعراء : أي بيت أمدح، فاتفقوا على بيت زهير :

تراهُ إذا ما جئتهُ متهللا كأنكَ تعطيهُ الذي أنتَ سائله [1]

فإبن قتيبة أورد قول عكرمة مباشرة دون إسناد

وقال ابن قتيبة في أشعار طرفة بن العبد : " وهو أجودهم طويلة، وهو القائل:

لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ

وله بعدها شعر حسن وليس عند الروّاة من شعره وشعر عبيد إلا قليل " [2] .

وأثبت ابن قتيبة أقوالاً لأبي عبيدة ، قال : قال أبو عبيدة : مرّ لبيد بمجلس لنهدٍ بالكوفة وهو يتوكأ على عصاً، فلما جاوز أمروا فتىً منهم أن يلحقه، فيسأله: من أشعر العرب ؟ ففعل، فقال له لبيد : الملك الضّليل، يعني امرأ القيس . فرجع فأخبرهم . قالوا : ألا سألته : ثمّ من : فرجع فسأله . فقال : ابن العشرين، فلما رجع قالوا : ليتك كنت سألته : ثم من ؟ فرجع فسأله فقال : صاحب المحجن، يعني نفسه .

قال أبو عبيدة : " طرفة أجودهم واحدة، وأجده لا يلحق بالبحور يعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة ولكنّه يوضع مع أصحابه الحارث بن حلّزة،

---

(1) م . س . ، 70 (2) الشعر والشعراء ، 103

وعمرو بن كلثوم، وسويد بن أبي كاهل " . ويتبيّن أنّ ابن قتيبة صاغ الخبر الأوّل بأسلوبه لأنّ ابن سلام يقول : فأما طرفة فأشعر الناس واحـــدة . وهي قوله :

لخولة أطلال ببرقةِ ثهمدِ وقفتُ بها أبكي وأبكي إلى الغدِ

... ومن بعدُ له قصائد حسان جياد " .

من الواضح أن ابن قتيبة في حكمه، وجعلـــه طرفـــة مـــن أصـــحاب الواحدة، قد أخذ هذا الحكم – حكم الجودة – من ابن سلام . الذي قيدّ العـــام في أوّل خبره " له بعدها شعر حسن " ، وأطلق الخاص في آخره " له قصائد حسان جياد " .

دعبل بن علي الخزاعي

دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل أبو علي الخزاعي، شاعر مطبوع مفلق . يقال إنّ أصله من الكوفة وقيل من قرقيسيا، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلاد فدخل دمشق ومصر، وكان هجّاء خبيث اللسان لم يسلم أحدُ من الخلفاء ولا من الوزراء ولا من أولادهم منه، ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يُحسن، وكان بينه وبين الكُميت بن زيد وأبي سعد المخزومي مناقضات، وكان من مشاهير الشيعة، وقصيدته التّائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح. وله ديوان شعر . وكتاب " طبقات الشعراء " . مات سنة ست وأربعين ومائتين [1] .

جاء ابن قتيبة بشيء من نقد دعبل بن علي . فأورد من خلال ترجمة له : " وسئل وأنا حاضر عن أجود شعره، فقال : القديمة . وحدثنا بحديث اجتماعه مع أبي نواس ومسلم وأبي الشيص – وقد ذكرته في كتاب الأشربة – وهي التي يقول فيها :

لا تعجبي يا سلمَ منْ رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى
قصر الغوايةَ عنْ هوى قمرٍ وجدَ السبيلَ إليه مشتركا [2]

وكان ابن قتيبة قد علق به أثر حكم نقدي من المجلس، وقال في حكم على شعر لأبي الشيص (ابن عم دعبل)
" ومن جيد شعره " :

---

(1) معجم الأدباء ، 11/ 99 – 112
(2) الشعر والشعراء ، 577

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليسَ لي متأخر عنهُ ولا متقدمُ
وأهنتني فأهنتُ نفسي جاهداً ماض يهونُ عليك ممّن أكرمُ
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبهمْ إذا كان حظي منك حظي منهم
أجد الملامةَ في هواكِ لذاذةً حباً لذكراك فليلمني اللُّومُ [1]

وأورد ابن قتيبة لدعبل أبياتاً حكم بجودة أبيات لا مثيل لها، قال :

" وأخبرنا دعبل بن علي الشاعر، قال:أهجى بيت قيل قول الطّرماح في تميم:

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهدى من القطا ولو سلكتْ طرقَ المكارمِ ضلت[2]

قال : وكذلك قول الأخطل :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافَ كلبهم قالوا لأمهم بولي على النارِ [3]

قال : وكذلك قول الحطيئة للزبرقان في قصر الهمة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعدْ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسي

ولفظة أخبرنا التي وردت على لسان ابن قتيبة ما يشير إلى أنّ دعبلاً كان راوياً ولم يكن ناقداً، ففي البيت الأخير قال الزبرقان فيه : " إنّه لا يكون في الهجاء أشد من هذا " [4] .

وقال دعبل : " من فضل الشعر أنه لم يكذب أحداً قط إلا اجتواه (اجتنبه) الناس، إلا الشاعر، فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له، ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له : أحسنت والله، فلا يُشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين الله تعالى " [5]

---

(1) م . ن . ، 571
(2) الشعر والشعراء ، 389
(3) شعر الأخطل 2/ 636
(4) م . ن . ، 203
(5) وفيات الأعيان ، 2/ 269

هذا ما جعل ابن قتيبة يلقى في كذب الشعراء قبولاً ردّه إلى أساليب العرب في تعبيرهم، وينفي عنه صفة الكذب، وأنهم أرادوا بذلك تأكيد المعنى، وقد أورد ابن قتيبة قول مهلهل بن ربيعة :

ولولا الريحُ أسمعَ أهل حجر صليل البيض تقرعُ بالذكورِ

قال ابن قتيبة : " وهو أحد الشعراء الكذبة " [1] . فلم ير أن مُهلهلاً كذب في شعره بل جعل ذلك من أساليبهم .

وأورد ابن قتيبة لدعبل بيتاً من الشعر يوضح لنا فيه أنّ الجيّد من الشعر يدوم على مرّ الزّمن، أما الرذل الردي فيذهب بذهاب صاحبه . قال :

يموتُ رديُّ الشعر منْ قبلِ أهلهِ وجيدهُ يحيا وإنْ ماتَ قائله [2]

وقد ورد أن دعبلاً يشنأ أبا تمام : ويشنّع عليه ويحسده . قال الآمدي : قال صاحب أبي تمام : أما احتجاجكم بدعبل فغير مقبول ولا معقول عليه : لأنّ دعبلاً كان يشنأ أبا تمام ويحسده، وذلك مشهور معلوم منه؛ فلا يقبل قول شاعر في شاعر " .

فحكم دعبل على شعر أبي تمام حكم ذاتي غير موضوعي، فيه ظلم وتعصب وتجني، فكيف يكون الحكم على شاعر شغف بالشعر وانفرد به وألّف، قال الآمدي : " لأنّ أبا تمام كان مُغرماً مشغوفاً بالشعر، وانفرد به، وجعله وكْدَه، وألفّ كتباً فيه، واقتصر من كل علم فيه " [3] .

وحين توفي دعبل وأبو تمام رثاهما البحتري قائلا :

قدْ زادفي حزني، وأوقدَ لوعتي مثوى حبيبٍ – يوم مات – ودعبلِ

---

(1) م . ن . ، 182 (2) الشعر والشعراء ، 577

(3) الموازنة ، 23 – 25

وبقاءُ ضربِ الخثعميّ وشبهِهِ ... من كل مضطربِ القريحةِ مجبلِ

أهل المعاني المستحيلة إن همُ ... طلبوا البراعةَ بالكلامِ المقفلِ

أخويَّ لا تزل السماءُ مخيلةً ... تغشاكما بحيا السحابِ المسبلِ

جدثٌ لدى الأهوازِ يبعدُ دونهُ ... مسرى النعيَّ ورقَّةً بالموصلِ[1]

---

(1) م . ن . ، 48

الجاحظ

عصر الجاحظ :

ما كاد القرن الثاني يودّع أعوامه الأخيرة حتى بدأت تتبلـور الأراء، وأخذت الدراسات تظهر، وقد شارك في حركة التطـور هـذه، المتكلمـون واللغويون والنحاة والكتاب والشعراء، وكان لكل منهم منهجه وأسـلوبه وإن كانوا يتفاوتون، فهم في النهاية يلتقون في هدف جامع واحد هو خدمة التراث والحفاظ عليه .

ويمكن أن نعدّ القرن الثالث الهجري عصر وضع القواعد والخـوض في فنون البيان المختلفة بعد أن كان الحديث قبل ذلك محصوراً في الـشعر، وكان الجاحظ من أوائل الذين اهتموا بالخطابة والنثر اهتماماً بالغاً إلى جانب الشعر، وكان إماماً اقتدى البلاغيون والنقاد على خطاه فكان للنثـر نـصيب وافر في الدراسة والاستشهاد به . وظلت فنون البلاغة في هذا القرن مرتبطة بالنقد ارتباطاً وثيقاً . وكان الجاحظ من رواد التأليف في الفكر العربي والعقل الإسلامي عاش للعلم جامعاً وهاضماً ومانحاً، وللكتاب قارئاً وخادماً ومؤلفاً . ملأ زمانه فكراً وحركة وعلماً على صفحات الكتب وبين دفّات المجلدات .

وفي هذا العصر بدأ شغف مفرط للعلم لـم يقتـصر علـى الطبقـات الخاصة بل نال الطبقات العامة . إذ أن العلم كان مطروحاً في المساجد مباحاً للجميع . وكذلك في المكتبات العامة، ولم يكـن هنـاك كتـاب طريـف إلا وتعرضه دكاكين الوراقين، قـال يـاقوت : " إن الجـاحظ كـان يكتـري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر " [1] .

---

(1) معجم الأدباء ، 16/ 75

وأبعد من هذا ما ورد في رسالة الجاحظ " الرد على النصارى " ، كما ذكر شوقي ضيف أنه : " يشكو من مناقشة العامة للملحدين والزنادقة في أرائهم الضالة، لعدم معرفتهم الدقيقة بتلك الآراء وما يفندها من الأدلة الساطعة " . ويضيف شوقي ضيف قائلاً : " وظاهرة ثانية تدل على مدى تغلغل الثقافة بين جميع أفراد الأمة بلا استثناء، إذ نرى من النساء من يختلفن إلى حلقات المتكلمين والفقهاء وغيرهم " [1] . وكان يشيع في هذا العصر ظاهرة الغزل الصريح، وما زخر به العصر من كثرة الإماء ودور النخاسين وهذا ما صوره لنا الجاحظ في رسالته الخاصة بالقيان ومدى مَاكُنَّ يُشعن في جوّ بغداد من التحلل الخُلقي . ووجه آخر في هذا العصر وهو رعاية الدولة لقصاص المساجد والوعاظ الذين نبغ منهم كثيرون فصحاء بُلغاء، فكان الناس يحتشدون حولهم، فكبر لهم إكباراً عظيماً .

اسمه ونسبه :

اشتهر بلقبه الدال على نتوء حدقتيه وجحوظهما ، واسمه أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، مولى أبي القلَّمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفُقَمّي أحد النسّابين، قال يموت بن المزرّع : " الجاحظ خال أمي، وكان جدّ الجاحظ أسود يقال له فزارة، وكان جمّالاً لعمرو بن قلع الكناني، وقال يا قوت : " وحدّثت أن الجاحظ قال : نسيت كنيتي ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم : بِمَ أكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان " . قال أبو القاسم البلخي : " الجاحظ كناني من أهل البصرة ، وكان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره، وعلا قدره، واستغنى عن الوصف " .

---

(1) العصر العباسي الثاني ، 127 – 128 .

مولده ونشأته :

ولد الجاحظ في البصرة حيث كان الصراع على أشده بين أخلاط من الناس ينتمون إلى أجناس متعددة، وإلى عقائد متباينة متضاربة . وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مولده، قال الجاحظ : " أنا أسنُّ من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها " .

ثقافته :

كان الجاحظ يختلف إلى بعض الكتاتيب، إذ كانوا يتعلمون فيها القراءة وشيئاً من النحو والفقه والحساب، ويحفظون بعض الأشعار والقرآن الكريم، واستمع إلى حلقات الدّرس في المساجد ومحاضرات العلماء فيها، وأخذ يلتهم ما يسمعه فيها من فقه وعلوم وشريعة، ومن نحو وعلوم لغة، ومن مناقشات ومحاورات بين المتكلمين من كل الفِرَق . وقد سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة شفاهاً بالمربد، وذكر أبو هفان أن الجاحظ كان شديد العشق للقراءة ومدارسة الكتب، وقال : " لم أر قطُّ ولا سمعت من أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع في يده كتابٌ قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر . وذكر اسماعيل بن اسحق القاضي أنه ما دخل إلى الجاحظ إلا رآه ينظر في كتاب، أو يقلب كتباً أو ينفضها " [1] . وقال المرزباني : " قال أبو بكر أحمد بن علي : " كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام، وكان واسع العلم بالكلام،

---

(1) معجم الأدباء ، 16/ 74 - 75 .

كثير التبحّر فيه، شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدّين والدنيا، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نُصرة الدين، وفي حكاية مذهب المخالفين وفي الآداب والأخلاق، وفي ضروب الجدّ والهزل، وقد تداولها الناس وقرءوها وعرفوا فضلها، وإذا تدّبر العاقل المميزّ أمر كتبه عَلِمَ أنه ليس في تلقيح العقول وشحذ الأذهان . ومعرفة أصول الكلام وجواهره، وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلوب – كتب تشبهها – والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرّجال ويميزون الأمور . يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : " وقد شق الجاحظ طريقه في هذه البيئة الثقافية التي كانت جديدة كل الجدة على المجتمع الاسلامي، ولم يكن الجاحظ رجلاً عادياً من عامة الناس الذي يطمحون إلى تثقيف أنفسهم عن طريق الاستماع والمناقشة فحسب، أو عالماً يسعى إلى تحصيل جانب واحد من العلم . كأن يكون مطلبه علم الكلام أو اللغة أو البلاغة، بل كان يتميز بمقدرة عقلية تستوعب كل شيء كما كان يتميز بنهم شديد لكل أنواع العلم والمعرفة في عصره " [1] . يقول الدكتور مصطفى الشكعة : والجاحظ مع علمه وفضله واعتزاله ظريف صاحب نكته وحليف بسمة خفيف الظل سريع البديهة لمّاح العارضة، وله نوادر كثيرة باسمه مضحكة حكى طرفاً منها ياقوت في ترجمته له، كما ظهرت سماتها في كتابه المشهور " البخلاء " [2] .

يقول شوقي ضيف : " وهداه طول تفكيره في آراء استاذه (النظام) الاعتزالية وغيره من المعتزلة إلى أن يعتنق مجموعة من الآراء كونت له

---

(1) المصادر الأدبية واللغوية ، 137 – 138.

(2) مناهج التأليف ، 165 .

فرقة سميت بالجاحظيّة نسبة إليه، ويعرض الخيّاط المعتزلي في كتابه الانتصار طائفة من هذه الآراء، ويشيد بكتابه فضيلة المعتزلة طويلاً " [1] .

اتصالاته :

طاب المقام للجاحظ في بغداد وأخذ يتعرف إلى بيئاتها الأدبية والعلمية في النوادي والمساجد وحلقات الدرس والمناظرة، وتحولت الخلافة من بغداد إلى سامرّاء في عهد المعتصم، وتحوّل معها الجاحظ واتخذها دار مقام له وتوثقت الصلة بينه وبين وزير المعتصم ابن الزيات الكاتب الشاعر المشهور، وجعلته صلته هذه بابن الزيات إلى الوقوف إلى جانبه ضد خصمه أحمد بن أبي داود قاضي القضاة، وعندما صارت الخلافة إلى المتوكل قرب ابن أبي داود وابعد ابن الزيات، وأرسل في طلب الجاحظ، مقيداً فأخذ في تعنيفه، فقال له الجاحظ :

" خفّض عليك – أيدّك الله – فوالله لأن يكون لك الأمر علي خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيء وتُحسن . أحسن عنك من أن أحسن فتسيء ، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل من الانتقام مني " . فقال ابن داود له : قبحك الله ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية : " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إنَّ أخذه أليم شديد ؟ تلاوتها تأويلها – أعز الله – القاضي.

---

(1) العصر العباسي الثاني ، 589 .

ومن شعر الجاحظ في ابن أبي داود :

وعويصٍ منَ الأمورِ بهيمِ ... غامضِ الشخصِ مظلم مستورُ
قدْ تسنمتَ ما توعرَ منهُ ... بلسانٍ تزينهُ التحبيرُ
مثلُ وشي البرودِ هللهُ النَّـــ ... ـــجُ وعندَ الحجاجِ درٌّ نثيرُ
حسنُ الصمتِ والمقاطعِ إما ... نصتَ القومُ والحديثُ يدورُ
ثمَّ منْ بعدِ لحظةٍ نورثُ اليُســـ ... ـــرَ وعرضٌ مهذبٌ موفورُ

وكتب الجاحظ إلى ابن أبي داود فقال

لا تراني وإن تطاولتُ عمداً ... بينَ صفَّيهمُ وأنتَ تسيرُ
كلهم فاضلٌ عليَّ بمالٍ ... ولساني تزينهُ التحبيرُ
فإذا ضمنا الحديثُ وبيتٌ ... وكأني على الجميعِ أميرُ
ربَّ خصم أرقَّ منَ كل روحٍ ... ولفرط الذكا يكادُ يطيرُ
فإذا رامَ غايتي فهو كابٍ ... وعلى البعد كوكبٌ مبهورُ [1] .

ومن الذين عاصروه وكانت له معهم صلة، أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد الأديب البصري الظريف، المتوفى سنة (282هـ / 895م) . قال ابن قاضي شهبة على عمر أبي العيناء عند وفاته بأن قال : " توفي سنة اثنتين وثمانية ومائتين عن احدى وتسعين سنة " . وعن أبي الضياء أنه قال : " حدثني الجاحظ قال : " قال المهدي لشريك القاضي وعنده عيسى بن موسى لو شهد عندك عيسى بن موسى كنت تقبله ؟ وأراد أن يغري بينهما فقال شريك : " من شهد عندي سألته عنك، ولا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين، فإن زكّاه قبلته، فقبلها عليه " [2] .

---

(1) معجم الأدباء ، 16/ 79 – 81 .

(2) أبو العيناء الأديب البصري الظريف ، 195 .

وقيل أخبرنا المرزباني قال : أخبرنا علي بن هارون قال : أنشدني وكيع قال : أنشدني أبو العيناء : قال : أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب :

زرتُ فتاةً من بني هلالِ فاستعجلتْ إلي بالسؤالِ
مالي أراك قانىء السبالِ كأنما كرعتَ من جريالِ
ما يبتغي مثلك من أمثالي تنحَّ قدامي ومنْ حيالي

وذكر ابو العيناء قال : حدثني ابراهيم بن رباح قال : أنشدني الجاحظ يمدحني :

بدا حينَ أثرى باخوانهِ فقلَّل عنهم شباةَ العدمِ
وذكَّرهُ الحزمُ ريبَ الزمانِ فبادر بالعرفِ قبلَ الندمِ

قال ابراهيم فذاكرت بهما أحمد بن أبي داود فقال : أنشدنيها يمدحني بها، ثم لقيت محمد بن الجهم فقال : انشدنيها يمدحني بها .

وانشد ابو العيناء عن الجاحظ :

أخوكَ الذي إنْ سركَ الأمر سرهُ وإن غبتَ يوماً ظلَّ وهو حزينُ
يقربُ من قربتَ من ذي مودةٍ ويُقصي الذي اقصيته ويهينُ

قال أبو العيناء : كان لي صديق فجاءني يوماً فقال : أريد الخروج إلى فلان العامل، وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة، وقد سألت من صديقه ؟ فقيل لي: أبو عثمان الجاحظ – وهو صديقك – فأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية . قال : فَصِرْتُ إلى الجاحظ فقال لي : في شيء جاء أبو عبد الله ؟ فقلت : مسلماً، وقاضياً للحق . وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا . فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرف أخبارنا إذا كان في غد . وجهت إليك بهذا الكتاب . فلما كان من الغد وجّه إلي بالكتاب فقلت لابني :

وجه بهذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته . فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن نفضّه وننظر ما فيه، ففعل فإذا فيه : كتابي إليك مع من لا أعرفه. فقد كلمني فيه من لا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذممك .

فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري فقلت : يا أبا عبد الله، قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب ؟ فقلت : أو ليس موضع نكرة ؟ فقال : لا، هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به . فقلت : لا إله إلا الله !! ما رأيت أحداً أعلم بطبعك ولا بما جبلت عليه من هذا الرجل ! أعلمت أنّه لمّا قرأ الكتاب قال : أَمْ الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف، وأم من يسأله حاجة . ؟! فقلت : يا هذا تشتم صديقنا ! فقال : هذه علامتي فيمن أشكره [1] .

قال أبو العيناء : أنشدني الجاحظ لنفسه :

يطيبُ العيشُ أنْ تلقى حليماً ... غذاهُ العلمُ والرأيُ المصيبُ

ليكشفَ عنكَ حيلةَ كلِّ ريب ... وفضلُ العلمِ يعرفهُ الأريبُ

سقام الحرصُ ليسَ لهُ شفاءٌ ... وداءُ البخلِ ليسَ لهُ طبيبُ [2]

قال أبو العيناء : كنت عند ابن الأعرابي يوماً ومعنا الجاحظ فأخذنا نتذاكر الأخبار، ونتناشد الأشعار . وجرى بين الجاحظ والجماز كيد وملاحاة فقال له الجمّاز : كم تعرف من كلام العرب في النار ؟ فقال : نار الحرب، ونار البرق، ونارحباحب، ونار الحمى، ونار الاصطلاء، ونار الانذار . فقال الجمّاز : تركت أبلغ النيران، وأوسعها للبلدان، وأصلحها للشبان الجيران

---

(1) أبو العيناء الأديب البصري الظريف ، 195 – 197 .

(2) معجم الأدباء ، 16/ 89

قال: وما هي ؟ قال : نار .. التي ، كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير " . فقال : قد قضيت بأن لها خزاناً، ولكن الشأن في التي يقال لها : " هل امتلأت وتقول هل من مزيد " .

وحدث أبو العيناء قال : حدثني الجاحظ قال : كتب بعض الظرفاء إلى ملك جارية أبي جعفر :

يا ملك قدْ صرت إلى خطة ... وكنت فيها منك ذا ضيمِ
يلومني الناسُ على حبكم ... والناسُ أولى منك باللومِ

فكتب إليه :

إن تكن الغلمة هاجت بكم ... فسكن الغلمةَ بالصومِ
ليسَ بكَ الشوق ولكنما ... تدورُ من هذا على الكومِ [1]

وقيل : اجتمع الجاحظ وأبو العيناء عند الحسن بن وهب فقال الجاحظ : علمت أن محمد بن عبد الله أحسن من عمرو بن بحر، وأبا عبد الله أحسن من أبي عثمان، ولكن الجاحظ أحسن من أبي العيناء . فقال أبو العيناء : هيهات جئت إلى ما لا يخص من أمورنا، ففضلتني عليك فيه، وإلى ما يعرف ففضلت نفسك فيه . إنّ أبا العيناء يدل على كنية، والجاحظ يدلّ على عاهة . والكنية وإن سمجت أصلح من العاهة وإن ملحت [2] .

وحدّث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال : كان الجاحظ يتقلد خلافة ابراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل، فلما جاء إلى الديوان جاءه

---

(1) أبو العيناء الأديب البصري الظريف ، 200 - 201

(2) م . ن . ، 141 - 142

أبو العيناء، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ إلى حاجبه : إذا وصل إلى الدهليز الأيدعه يخرجُ، ولا يُمكنه من الرجوع إليه، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك، فنادى بأعلى صوته يا أبا عثمان : قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك.

وعن صلته بالمبرد قال المبرد : قال الجاحظ : أتيت أبا الربيع الغنوي أنا ورجل من بني هاشم فاستأذنا عليه فخرج إلينا وقال : خرج إليكم رجل كريم والله . فقلت له : منْ خير الخلق يا أبا ربيع ؟ فقال : الناس والله . قلت: ومن خير الناس ؟ قال : العرب والله . قلت : فمن خير العرب ؟ قال : مُضر والله . قلت : ومن خير مُضر ؟ قال : قيس والله . قلت : ومن خير قيس ؟ قال : أعْصر الله . قلت : فمن خير أعصر ؟ قال : غنّي والله . قلت: فمن خير غنّي ؟ قال : أنا والله . قلت : فأنت خير الخلق ؟ قال : إي والله . قلت : أيسرك لو أنك تزوجت بنت يزيد بن المهلب ؟ قال : والله لا أُدنِس كرمي بلؤمها . قلت : على أنّ لك الجنة، ففكر ساعة ثم قال : على ألا تلد منّي وأنشد :

تأبى لأعصرَ أعراقُ مهذبةُ ... من أن تناسبَ قوماً غيرَ أكفاءِ
فإن يكنْ ذاك حتماً لا مردَّ لهُ ... فاذكرْ حذيفَ فإني غيرُ أباءِ

وحدث المبرد قال : سمعت الجاحظ يقول : كل عشق يسمّى حُبّ، وليس كل حبّ – يسمّى عشقاً؛ لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة، كما أن السَّرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس، والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة .

وأنشد المبرد للجاحظ :

إن حالَ لونُ الرأسِ عن لونهِ ففي خضابِ الرأس مستمتعُ
هَبْ منْ لهُ شيبٌ لهُ حيلةٌ فما الذي يحتالهُ الأصلعُ [1]

وحدث المبرد قال : دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون منْ نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر بـــه، ونـــصفه الآخر منقرس لو طار الذُباب بقربه لآلمه . وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها، ثم أنشدنا :

أترجو أنْ تكونَ وأنتَ شيخٌ كما قد كنت أيام الشبابِ ؟
لقد كذبتكَ نفسكَ ليسَ ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثيابِ [2]

أمَّا يموت ابن المزرع ابن أُخت الجاحظ فقد حدث عنه قائلاً : يجـــب للرجل أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير، شجاعاً لا يبلغ الهوج، محترساً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القحة، قوّالاً لا يبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العيّ، حليماً لا يبلغ الذُّل، منتصراً لا يبلغ الظلم ، وقوراً لا يبلغ الـــبَلادة، ناقـــداً لا يبلـــغ الطَّيش، ثم وجدنا – رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد جمع ذلك فـــي كلمة واحدة، وهي قوله : " خيرُ الأمور أوساطها " . فعلمنا أنه – صـــلى الله عليه وسلم – قد أوتى جوامع الكلم، وعُلم فصل الخطاب . وحدّث يموت بن المزرع قال : وجّه المتوكل في السنة التي قتل فيها أن يُحمل إليه الجاحظ من البصرة فقال لمن أراد حمله : ما يصنع أمير المؤمنين بامرئ ليس بطائـــل، ذي شقّ مائل، ولُعاب سائِل، وفرجٍ بائل، وعقل حائل [3] .

---

(1) معجم الأدباء ، 16/ 84 – 89 .

(1) م . ن . ، 16/ 113 نزهة الألباء ، 150

(2) معجم الأدباء ، 16/ 110 – 113 .

أمّا يحيى بن علي بن المنجم فقد قال : قلت للجاحظ : متّلك في علمك ومتدارك في الأدب يقول في كتاب البيان والتبيين : " ومُكـره للجاريـة أن تشبه بالرجال في فصاحتها، إلا ترى إلى قول مالك بن أسماء الفزاري :

وحديث ألذهُ هوَ ممّا ينعتُ الناعتونَ يوزنَ وزناً
منطقٌ صائبٌ ونحنُ أحيا ناً وخير الحديثِ ما كانَ لحنا

فتراه من لحن الاعراب، وإنما وصفها بالظرف والفطنة وإنما تلحن أي تورِي في لفظها عن أشياء وتتنكب ما قصدت له، فقال : فطنتُ لذلك . قلت: فغيِّره، قال : فكيف لي بما سارت به الرّكبان ؟ فهو في كتابه على خطئه .

قال أبو مُحلِّم : أراد الفزاري بقوله هذا، أن خير الحديث ما أومأت إلي به، وورَّت عن الإفصاح به لئلا يعلمه غيرنا، ومثله قول الكلابيّ :

لقد لحنتُ لكمْ لكيما تفهموا ووحيتُ وحياً ليسَ بالمرتابِ

ومنه قوله تعالى : " ولتعرفنهم في لحن القول " . أي فيمـا يتوخَّونـه بينهم من النفاق والطعن . قال المؤلف : وقد انتصر أبو حيان لهـذا القـول الذي اعترف الجاحظ بخطئه فيه فقال : وعندي أن المسألة محتملة الكـلام؛ لأنّ مقابل المنطق الصائب المنطق الملحون . واللحن من الغواني والفتيـات غير منكر ولا مكروه بل يستحب ذلك؛ لأنه بالتأنيث اشبه، وللشهوة أدعى . ومع الغزل أجرى، والإعراب جدٌّ، وليس الجدّ من التغزل والتعشق والتشاجي في شيء ، وعلى مذهب علي بن يحيى أن المنطق الـصائب هـو الكـلام الصريح، وأن اللحن هو التعريض . وأنها تعرف هذا وهذا، فهَـبْ أن هـذا المعنى مقبول، لم ينبغي أن يكون المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً ؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك؛ لأن الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا [1] .

---

(1) م . ن . ، 16/ 90 - 91

وعن صلة الجاحظ بالمتوكل . أخبر أبو العيناء قال : حدثني أبو عمرو الجاحظ قال : ذكرتُ لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب ولده، فلما نظر إليّ استبشع منظري، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وصرفني فخرجت فلقيت محمد بن ابراهيم، وهو يريد الانحدار إلى مدينة السلام فعرض علي الانحدار معه، وقُربت حرّاقته، ودعا بطعامه وشرابه، ونصب ستارته وأمر بالغناء . فاندفعت عوّادة له تتغنى :

كلَّ يومٍ قطيعةٌ وعتابُ ينقضي دهرنا ونحن غضابُ

ليتَ شعري أنا خصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحبابُ

ثم سكنت . وأمر طنبورية فغنت :

وارحمتي للعاشقينا ما إنْ أرى لهم معينا

كم يهجرونَ ويظلمونَ ويقطعونَ فيصبرونا

وتراهم مما بهم بين البريةِ خاشعينا

يتجلدونَ ويظهرو نَ تجلداً للشامتينا [1]

وعن صلة الجاحظ بالجمّاز، حدّث يموت بن المزرع قال : " هجا خالي أبو عثمان الجاحظ لجمّاز بأبيات منها :

نسبُ الجمّاز مقصو رٌ إليه منتهاهُ

تنتهي الأحسابُ بالنا سِ ولا تعدو قفاهُ

فكتب إليه الجمّاز :

يا فتى نفسهُ إلى الـ ـكفرِ بالله تائقهْ

لك في الفضل والتزهـ ـهدِ والنُّسكِ سابقهْ

---

(1) أبو العيناء الأديب الظريف ، 198

ومن هجاء الجماز للجاحظ قوله :

قال عمرو مفاخراً نحنٌ قومٌ منَ العربِ

قلتْ في طاعةٍ لِرَبْـ ـبِكَ أبليت ذا النَّسبِ ؟ [1]

وعن صلة الجاحظ بغيره يقول الدكتور شوقي ضيف : " ويتخذ سامراء دار مقام له وتتوثق الصلة بينه وبين وزير المعتصم ابن الزيات الكاتب الشاعر المشهور . وفيها يتعرف على كثير من الأدباء . خاصة أصحاب النكات والنوادر من أمثال أبي العيناء والجمّاز وغيرهما من المُضحكين نُدماء الخلفاء " [2] . وعن صلة الجاحظ بالفتح بن خاقان قال شوقي ضيف : " ولا نلبث أن نرى الفتح بن خاقان وزير المتوكل شغوفاً به وبمجالسته ونراه يكتب إليه بأمر من المتوكل أن يصنف رسالة في الردّ على النصارى، ويغلب أن يكون هذا التكليف في سنة 235هـ وهي السنة التي أخذ فيها المتوكل النصارى وأهل الذمة بِلِبْس الطيالس[3] .

قال ياقوت الحموي : " قال أبو حيان : سمعت أبا معمر الكاتب في ديوان بادُوريا قال : كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول في فصل منه : إن أمير المؤمنين يجدُّ بك، ويهشُ عند ذكرك، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك، لحال بينك وبين بُعدك عن مجلسه، ولغَضَبَك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه، وقد كان ألقى إلي من هذا عنوانه . فزدتك في نفسه زيادة كفّ بها عن تجشمك، فاعرف لي هذه الحال، واعتقد هذه

---

(1) معجم الأدباء 16/ 82 - 83

(2) العصر العباسي الثاني ، 590

(3) العصر العباسي الثاني ، 591

المنّة على كتاب " الرد على النصارى " وأفرغ منه وعجّل به إليّ، وكن منْ جدا به على نفسه، تنال مشاهرتك وقد استطلقته لما مضى، واستسلفْتَ لك لسنةٍ كاملةٍ مُستقبلةٍ، وهذا ممّا لم تحتكم به نفسك، وقد قرأتُ رسالتك في بصيرة غنّام، ولولا أني أزيد في مخيلتك لعرَّفتكَ ما يعتريني عند قراءتها والسلام " [1] .

قال المرزباني : وحدّث أبو الحسن الأنصاري، حدثني الجاحظ قال : كان رجل من أهل السواد تشيَّع وكان ظريفاً . فقال ابن عمّ له : بلغني أنك تبغض علياً عليه السلام، ووالله لئن فعلت لتردنَّ عليه الحوض يوم القيامة ولا يسقيك . قال : والحوض في يده يوم القيامة ؟ قال : نعم : قال : وما لهذا الرجل الفاضل يقتل الناس في الدنيا بالسيف فهي الآخرة بالعطش ؟ فقيل له : أتقول هذا مع تشيعك ودينك ؟ قال : واللهِ لا تركت النّادرة ولو قتلَتْني في الدنيا وأدخلتني النار في الآخرة [2] .

قال المرزباني : وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصّاً به، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي داود للعداوة بين أحمد ومحمد . ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له : لِمَ هربت ؟ فقال : خفتُ أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور، يُريد ما صُنع بمحمد، وإدخاله تنور حديد فيه مسامير كان هو صنَعَهُ ليعذب الناس فيه، فعذب هو فيه حتى مات، ويعني محمد بن الزيات " [3].

قال المرزباني : " حدّث الماديّ قال : حدثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان " [4] .

---

(1) معجم الأدباء ، 16/ 100 (2) م . ن . ، 16/ 87

(3) م . ن . ، 16/ 76 (4) م . ن . ، 16/ 74

مؤلفات الجاحظ :

قال ابن العميد الأستاذ الرئيس : " ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه فعلى ابي حنيفة ؛ لأنه دوّن وخلّد ما جعل من يتكلم فيه بعده مشيراً إليه ومخبراً عنه . وأما الكلام فعلى أبي الهُذيل، وأما البلاغة والفصاحة واللّسن والعارضة، فعلى أبي عثمان الجاحظ " .

قال الأستاذ الرئيس لأبي القاسم السيرافي : " يا أبا القاسم كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً " .

قال أبو حيان : " ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدّثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح، قال : سمعت ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول: " ذكر أبو عثمان في أوّل كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست، ومرّ بي في جملتها الفرق بين النبي والمتنبيء . كتاب دلائل النبوة، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة، وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، .. فلمّا دخلت مكة حاجاً، أقمت مُنادياً بعرفات يُنادي – والناس حضور. من الآفاق على اختلاف بُلدانهم وتنازح أوطانهم، وتباين قبائلهم وأجناسهم في المشرق إلى المغرب، ومن مهبّ الشمال إلى الجنوب، وهو المنظر الذي لا يشبهه منظر . : " رحم الله من دلّنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبيء لأبي عثمان الجاحظ على أيّ وجه كان" . قال : فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : حجب الناس منّي ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به . قال ابن أخشاد : " وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها . قال المؤلف : وحسبك بها فضيلة لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشاد . وهو هو في معرفة علوم الحكمة، وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة . يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام، وهذا الكتاب موجود

في أيدي الناس اليوم لا يكاد تخلو خزانة منه . ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر [1] .

قال ياقوت : " حدثنا أبو سعيد السيرافي، أن ثابت بن قُرَّة قال : " وكتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه مُنازع إلاّ رشاه آنفاً، .. جمع بين اللّسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفَشت حكمته، وظهرت خلّته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالاقتداء به، لقد أُوتي الحكمة وفصل الخطاب " [2] .

قال المزرباني : قال أبو بكر أحمد بن علي : وله كتب كثيرة مشهورة جليجلة في نُصرة الدين، وفي حكاية مذهب المخالفين، وفي الآداب والأخلاق، وفي ضروب من الجدّ والهزل، وقد تداولها الناس وقرءوها وعرفوا فضلها " [3].

قال الدكتور عز الدين اسماعيل : " إن أهم ما يميز كتابات الجاحظ مقدرته على عرض صور ونماذج من واقع الحياة الاجتماعية، ومن صنوف البشر على اختلاف طبائعهم، .. وقد خلف لنا ثروة من الكتب في موضوعات متنوعة متعددة، فقد كتب في موضوعات عقائدية، .. وكتب في موضوعات تدور حول معارضات طرحت من قبل، أو كانت مطروحة في عصره، .. وكتب كذلك في موضوعات اجتماعية، ثم كتب كتباً تغلب عليها السمة الأدبية " [4] .

---

(1) معجم الأدباء ، 16/ 102 – 103

(2) م . ن . ، 16/ 98

(3) معجم الأدباء ، 16/ 76

(4) المصادر الأدبية واللغوية ، 138 – 139

ويقول الدكتور شوقي ضيف : " ودائماً تلقانا هذه الخصائص العامّة لكتابات الجاحظ، إذ يُعنى دائماً بأسلوبه وسريان الازدواج فيه وبألفاظه وصياغته وملاءمتها لمعانيها وموضوعاتها وقرّائها، كما يُعنى بسريان روح الدّعابة والاستطراد من شعر إلى خبر إلى فكرة كلامية إلى نادرة إلى بيان سمة لشخص من معاصريه إلى قرآن أو حديث إلى فكرة عن علم من علوم عصره كالفلك"[1].

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة : " وكان الجاحظ دُرة ثمينة في جبين المعرفة العربية والإنسانية، عالماً في كل فن، آخذ من كل علم بطرف بل أطراف، ثقف نفسه ثقافة واسعة هيأت له أسباب المجد في حياته، ومكّنته من تأليف نفائس الكتب التي كتبت له ولها الخلود بعد مماته " [2] .

ويقول ياقوت الحموي : " وهذا فهرست كتب الجاحظ : كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء وأضاف إليه كتاباً آخر سمّاه : كتاب النّساء : وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى، وكتاباً آخر سمّاه : كتاب النّعل . قال ابن النديم : " ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى – ويكنّى أبا يحيى – ورّاق الجاحظ، وقد أضيف إليه كتاب سمّوه كتاب الإبل ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه، .. وكتاب البيان والتبيين نسختان : أولى وثانية، والثانية أصح وأجود، كتاب النبي والمتنبيء ، كتاب المعرفة، كتاب جوابات كتاب المعرفة، كتاب مسائل كتاب المعرفة، كتاب الرّد على أصحاب الإلهام، كتاب نظم القرآن ثلاث نسخ، كتاب مسائل القرآن، كتاب فضيلة المعتزلة، كتاب الردّ على المشتبهة، كتاب الإمامة على مذهب الشيعة، كتاب حكاية قول أصناف الزيدية، كتاب العثمانية؛ كتاب الأخبار وكيف تصح ؟ كتاب الردّ على

---

(1) العصر العباسي الثاني ، 595 (2) مناهج التأليف ، 161

النصارى، كتاب عصام المُريد، كتاب الردّ على العثمانية، كتاب إمامة معاوية، كتاب إمامة بني العبّاس، كتاب الفتيان، كتاب القوّاد، كتاب اللصوص، كتاب ذكر ما بين اليزيدية والرافضة، كتاب صياغة الكلام، كتاب المخاطبات في التوحيد، كتاب تصويب علي في تحكيم الحكمين، كتاب وجوب الإمامة، كتاب الأصنام، كتاب الوكلاء والموكلين، كتاب الشارب والمشروب، كتاب افتخار الشتاء والصيف، كتاب المعلمين، كتاب الجواري، كتاب نوادر الحسن، كتاب البخلاء، كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم، كتاب العرجان والبرصان، كتاب فخر القحطانية والعدنانية، كتاب التربيع والتدوير، كتاب الطفيليين، كتاب أخلاق الملوك، كتاب الفتيا، كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك، كتاب الحاسد والمحسود، كتاب الردّ على اليهود، كتاب الصُرحاء والهجناء، كتاب السودان والبيضان، كتاب المعاد والمعاش، كتاب النساء، كتابة التسوية بين العرب والعجم، كتاب السلطان وأخلاق أهله، كتاب الوعيد، كتاب البلدان، كتاب الأخبار، كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض، كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال، كتاب المقينين والغناء والصنعة، كتاب الهدايا منحول، كتاب الاخوان، كتاب الردّ على من ألحد في كتاب الله عز وجل، كتاب آي القرآن، كتاب الناشيء والمتلاشي، كتاب حانوت عطّار، كتاب التمثيل، كتاب فضل العلم، كتاب التفكّر والإعتبار، كتاب الحجر والنبوة، كتاب آل ابراهيم بن المدبر في المكاتبة، كتاب إحالة القدرة على الظلم، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الاعتزال وفضله على الفضيلة، كتاب الأخطار والمراتب والصناعات، كتاب أحدوثة العالم، كتاب الردّ على من زعم أنّ الإنسان جزء لا يتجزأ، كتاب أبي النجم وجوابه، كتاب التفاح، كتاب الأُنس والسلوة، كتاب الكبر المستحسن والمستقبح، كتاب نقض الطب، كتاب الحزم والعزم، كتاب عناصر الآداب، كتاب تحصين الأموال،

كتاب الأمثال، كتاب فضل الفرس، كتاب على الهملاج، كتاب الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء، كتاب رسالة أبي النجم في الخراج، كتاب رسالته في القلم، كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب، كتاب رسالته في كتمان السّر، كتاب رسالته في مدح النبيذ، كتاب رسالته في ذمّ النبيذ، كتاب رسالته في العفو والصفح، كتاب رسالته في إثم السُكر، كتاب رسالته في الأمل والمأمول، كتاب رسالته في الحلية، كتاب رسالته في ذمّ الكُتّاب، كتاب رسالته في مدح الكُتاب، كتاب رسالته في مدح الوراق، كتاب رسالته في ذمّ الوراق، كتاب رسالته فيمن يُسمّى من الشعراء عمراً، كتاب رسالته اليتيمة، كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن اسحق الكندي، كتاب رسالته في الكرم إلى أبي الفرج بن نجاح، كتاب رسالته في موت أبي حرب الضفار البصري، كتاب رسالته في الميراث، كتاب في الأسد والذئب، كتاب رسالته في كتاب الكيمياء، كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب، كتاب رسالته في القضاة والولاة، كتاب الملوك والأمم السابقة والباقية، كتاب رسالته في الردّ على القوليّة، كتاب العالم والجاهل، كتاب النّرد والشطرنج، كتاب غش الصناعات، كتاب حضومة الحول والعور، كتاب ذوي العاهات، كتاب المُغنين، كتاب أخلاق الشُطار " [1] .

ويقول ياقوت : وينصح الجاحظ من ينشد السّداد في الكتابة أن يكون رقيق حواشي اللّسان، عذب ينابيع البيان، إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى، لا يُكلم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة " [2].

---

(1) معجم الأدباء ، 16/ 106 - 110

(2) م . ن . ، 16/ 87

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة : " هذه هي طريقة الجاحظ في الكتابة يصفها للمتأدبين ويمارسها بنفسه حين يكتب، لا يفتعل ولا يتوعر ولا يسجع إلاّ لماما، ولكنه يعمد إلى المزاوجة وهي ضرب من الكتابة أقرب إلى السجّع وإن تخلصت من القافية [1] .

أمّا عدد كتب الجاحظ فيما يروي سبط الجوزي في كتاب " مرآة الزمان " فهي ثلاثمائة وستون كتاباً، وهو بذلك يكون أوفر المؤلفين المسلمين عدد كتب، وهي في الوقت نفسه من أرفعها قدراً وأسماهما علماً، وكتبه ليست كلها مجرّد تصنيف ولكنها ابتكار وخلق وابداع بحيث يستطيع القول أنّ أوّل من مارس التأليف الحق في علوم الدنيا بين أساتذة العربية وعلماء الإسلام .

وبعد أن ذكرنا مؤلفات الجاحظ نشعر أننا نستطيع أن نجردّه من مسحة شعوبية حين كتب مؤلفه " فضل الفُرس " ثم انعطف وألف كتاباً آخر بعنوان " التسوية بين العرب والعجم " .

تغلب على الجاحظ صفة الأديب المرح، وتغلب على ابن قتيبة صفة العالم الوقور، فقد ألف في الشعر والشعراء؛ كما سجلّ ابن قتيبة على شعرائه ما أخذ عليهم في الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم، ويذكر ما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتاخرون، كل ذلك يذكره ابن قتيبة مضافاً إليه أقسام الشعر وطبعاته .

كان ابن قتيبة يميل مثله في هذا مثل الجاحظ والمبرد وغيرهما إلى الأخذ بمعارف عصره المتنوعة، فإذا كان الجاحظ أديباً يضرب ببحثه في أعماق المجتمع، فإن ابن قتيبة كان أديباً لغوياً واخبارياً من الطراز الأوّل .

---

(1) مناهج التأليف ، 164

قد كان يمثّل الأتجاه اللغوي النحوي الذي مزج بين المذهبين الكـوفي والبصري، وإن كان يعلو على البصريين، كما كان يمثّل أكثر من الجـاحظ المزج بين الثقافة العربية من ناحية، والثقافات الاخرى (كالفارسية واليونانية والهندية) من ناحية أخرى .

واشترك ابن قتيبة في النزاع العقيدي ومال إلى أهل السنة، ودافع عنهم ضد المعتزلة، وهذا يوضح موقفه غير الودّي من الجاحظ، وهجومه عليه في كتابه " تأويل مختلف الحديث " بصفة خاصة . وفي مقدرته كل من الجاحظ وابن قتيبة وتفوقهما، يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : " على أنه إذا كـان ابن قتيبة قد بزّ الجاحظ في التنظيم والتبويب والتصنيف، وإذا كان قد بزّه في اطلاعه على الكتب الأعجمية، فإن الجاحظ ما زال يتفوق عليه فـي كونـه كاتباً يتميزّ بشخصية تتجلى في كتاباته، كما يتميز بحسّه الاجتماعي ومقدرته على إبراز النماذج البشرية وتحليل سلوكها النفسي والاجتماعي " [1] .

وابن قتيبة يكمّل دور الجاحظ في الدفاع عن العـرب والـردّ علـى الشعوبية، وهذا يتضح بصورة مباشرة في كتابه " كتاب العرب وعلومهـا " وبصورة غير مباشرة في مؤلفات يراد إبراز ما لدى العرب من مآثر . ولهذا فإن ابن قتيبة كما يقول إحسان عباس : " ينحو منحى الجـاحظ فـي اتخـاذ الشعر العربي مصدراً للمعرفة، فيكتب كتاباً في الأنواء وآخر في الأشـرية وثالثاً في " الخيل " ليثبت لأنصار الكتب المترجمة أنّ في الشعر العربي مـا يضاهي حكم الفلاسفة وعلوم العلماء " [2] .

---

(1) المصادر الأدبية واللغوية ، 170 .

(2) تاريخ النقد ، 105

تأثر ابن قتيبة بالجاحظ فروى بعض كتبه ونقل منها وتبنّى في بعض الأحيان بعضاً من آرائه، مثل رأيه في أن النادرة يجب أن تورد بلفظ أصحابها ولو كانت ملحونة، يقول ابن قتيبة في ذلك : " وكذلك اللّحن إن مرّ بك في حديث من النوادر، فلا يذهبنّ عليك أنا تعمدّناه وأردنا منك أن تتعمدّه لأن الاعراب ربما سلب بعض الحديث حُسنَه وشاطر النادرة حلاوتها " .

ورأيه في إستباحة ذكر العورات في الكتب دون تحرّج . يقول ابن قتيبة : " وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنّك الخشوع أو التخاشع على أن تصعِّر خدّك وتعرض وجهك فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزّور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب " [1] .

ونراه يحمل على الجاحظ لأنه ينتصر للشيء وضده، ويصفه بأنه من أكذب الأمّة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل . وهذا مقصور على الناحية المذهبية دون سواها . فإبن قتيبة في تأويل مختلف الحديث " يذكر فيه المشبهة وينسبهم إلى الافتراء على الله تعالى في أحاديث التشبيه، ويتهِم فيه الجاحظ بأنّه يذكر حجج النصارى على المسلمين بأقوى مما يذكر الردّ عليهم.

وفي مسألة اللفظ والمعنى نرى أن ابن قتيبة تلازمه صفتان تمثلان جهده، وهما التوفيق والتسوية، بينما ذهب ابن قتيبة إلى مذهب التسوية، انحاز الجاحظ إلى جانب اللفظ . وميزاتهما في هذه المسألة " الجودة والرداءة". وفي مسألة الطبع والتكلف نرى أن ابن قتيبة قد تناولهما بالتفسير والتمثيل، فقد نراه في وصفه أبيات الخليل يقول : وهذا الشعر بين التكلف

---

(1) عيون الأخبار ، مقدمة المؤلف 44 – 46

رديء الصنعة . أمّا الجاحظ فقد قابل الطبع عند ابن قتيبة بلفظه " الغريزة ". وفي مجال النقد يقول الدكتور احسان عباس : " كان (ابن قتيبة) من أوائل النقاد الذين لم يتهيبوا الوقوف عند القضايا النقدية الكبرى، كما كان من أبرزهم التفاتاً إلى العوامل النفسية والمبنى الفنّي الكلي : وبينما ذهب الجاحظ إلى وضع نظريات لم ينضجها البحث والدرس، وضع ابن قتيبة استنتاجات تدلّ على خاطر ذوقيّ نقدي أصيل، كانت كفاءً بنقل النقد إلى مرحلة جديدة " [2] .

والشعر عند الجاحظ ضرب من النسيج، وجنس من التصّوير، فقد اعتبر الشعر الوصفي أو الهجائي شعراً جيداً إذا تمكن الشاعر أن يحافظ على المستوى الجيد للشكل . فالجاحظ في ذلك يكون أوسع أفقاً من ابن قتيبة الذي عدّ الشعر ذا فائدة وهدف وغاية مع جمال الشكل . فإبن قتيبة يبحث عن الفائدة الفكرية والمعنى الأخلاقي أو التربوي، ولذلك فقد أخرج شعر الغزل الجميل والوصف التصويري البديع من نطاق الشعر الجيد الذي حسن لفظه وجاد معناه .

وقع ابن قتيبة فيما وقع فيه الجاحظ من خطأ في تصوره للشعر وارتباط مفهومه لديه بالنظرة المنطقية للغة، وشارك الجاحظ فكرة استقلال المعنى عن اللفظ، واستقلال اللفظ عن المعنى . وأضاف إلى أخطاء الجاحظ أخطاء نذكر منها :

1. إن الشعر الذي يخلو من مضمون أخلاقي أو فلسفي أو طرائف غريبة أو تصوّرات نادرة لا يعتبر شعراً ذا قيمة، وبهذا يعلّق جودة الشعر على مضمونه مستقلاً عن التصوير والصياغة .

---

(1) تاريخ النقد ، 115

2. جعل للألفاظ دلالات مفردة أو مستقلة . فالألفاظ تتداخل لتكسب معانٍ جديدة من خلال السياق الذي جمعها، والبناء الذي انتظمها .

3. ذكر بأن المعنى في الشعر إنما هو المحتوى المنطقي للكلام . كما اهمل الشكل في الشعر إلى حدّ كبير . فتصبح القصيدة مثلاً شأنها شأن أي مقال، وفي هذا بُعد عن طبيعة الفن الشعري . ولاحظ ابن قتيبة أن اللفظ والمعنى قد يشتبكان حيناً، ويفترقان أحياناً على غير انفصال بينهما غير أن صياغة الشعر أو سبكه، واستخدام التشبيهات والاستعارات والكناية، والوحشي في اللّغة، كل ذلك يؤثر في المعاني مع الالتفات إلى أن من عيوب الشعر ما لا يقع أثرهُ على المعاني . بل يقع على اللفظ بما هو صياغة، تتناول اللفظ لغة وقافية ووزناً، وقد قدم نصيحة للشاعر المحدث باجتناب اللغات القليلة والوحشي من لغات العرب .

نلاحظ أن للجاحظ نظرة عامة في الطبع والصنعة والتكلف في الكلام، والشعر والقصائد، وطبقات الشعراء، ونقد بعضهم، وتأثره باعتزاله، وأنّ البتّ في أخذ ابن قتيبة نقد الشعر عنه غير سليم ؛ لأنّه لم يصرّح بذلك على نحو ما حدث عند أخذه بعض الأخبار .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني

أثر ابن قتيبة في علماء القرن الرابع الهجري

لقد كان لابن قتيبة تأثير واضح في علماء القرن الرابع الهجري، وخاصة في مجال النقد .

ومن العلماء الذين تأثروا بابن قتيبة : الصولي، القالي، الأصفهاني، قدامة، الآمدي، العسكري أبو أحمد، الصابئ ، المرزباني، الحاتمي، الجرجاني، ابن جنّي ابن وكيع، أبو هلال العسكري، الهمذاني، التوحيدي، الباقلاني .

الفصل الأوّل

أبو بكر الصولي

كان عصر الصولي مشحوناً بالمكائد والمؤامرات، والفتن والاضطرابات ؛ ذلك أنه عصر ساد فيه العنصر التركي وسيطر على الدولة سيطرة سيطرة تكاد تكون تامّة ؛ في حين كانت الخلافة العباسية تئن وتضعف، فأصبح الخلفاء مسلوبي السلطة، ضعفي الإرادة، لا حول لهم ولا قوة، وأصبح الخلفاء لعبة في أيديهم، وعرضة لبطشهم وجبروتهم، وأداة طيعه لتنفيذ مآربهم . ومع بداية القرن الرابع الهجري زاد الضعف في كيان الدولة العباسية، بسبب تفاقم خطر الدويلات المنشقة المستقلة، وبداية عهد أمراء الأمراء وسيطرتهم على الدولة وهذا الجو المشحون بالدسائس والمكائد

والاضطرابات، دفع الصولي إلى أن ينأ بجانبه عن السياسة، ويتفرغ إلى التدوين والتأليف والتصنيف، خدمة لطلاب المعرفة والعلماء والأدباء . وكانت النوافذ العلمية قد فتحت على مصارعيها لكل الثقافات الوافدة على الفكر العربي (فارسية، يونانية، تركية، هندية) وغيرها، وكان للترجمة دوراً هاماً في صقل العقل العربي، فعصر الصولي يعدّ من أزهى العصور في الاسلام – من الناحية العلمية – ففيه تمت وأينعت علوم الثقافة الاسلامية كلّها . ولم يعد هناك علم قديم أو حديث إلاّ وله كتب وأعلام نابغون، كعلوم اللغة والأدب، والنحو، والرّواية .

اتفق كل من ترجم للصولي أنّه : محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول بن تكين، االبغدادي الشطرنجي . وأنّه عريق الأصل والنسب قال ابن الأنباري : " وكان ذا نسب ؛ فإنّ جدّه صول وأهله كانوا ملوك جرجان". كما ذكر أنه عالماً بفنون الآداب، حسن المعرفة بأخبار الملوك والخلفاء، حاذقاً بتصنيف الكتب، وكان نديماً لجماعة من الخلفاء، وجمع اشعارهم، ودوّن أخبارهم، وكان حسن العقيدة ، جميل الطريقة " [1] .

قال ياقوت : ولد أبو بكر ببغداد ونشأ بها، وأخذ عن ثعلب والمبرد وأبي داود السجستاني، وأخذ عنه أبو عبد الله المرزباني الكاتب الاخباري وغيره، وكانت وفاته بالبصرة في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة " [2] .

وأسرة الصولي كان لها نصيب وافر وفاعل في نشر الدعوة العباسيّة وإنجازها، واسقاط دولة بني أمية، ثم شاركت بمجهود ضخم في خدمة الخلفاء العباسيين ودواوينهم، وفي خدمة أهل العلم والأدب والمعرفة . ومنهم عمرو بن مسعدة الذي قال عنه ياقوت : " عمرو بن مسعدة ابن سعد بن

---

(1) النزهة ، 204 (2) معجم الأدباء ، 19/ 110 – 111

صول، كنيته أبوالفضل، من جلّة كتاب المأمون، وأهل الفضل والبراعة والشّعر منهم، وذكر الجهشياري : " وكان مسعدة من كتّاب خالد بن برمك، ثم كتب بعده لأبي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل " [1] .

أمّا ابراهيم بن العباس الصولي وأخيه عبد الله بن العباس الصولي، فقد أخبرنا ياقوت : " وكان ابراهيم بن العباس وأخوه عبد الله من وجوه الكتّاب، .. وكان ابراهيم كاتباً، حاذقاً بليغاً، فصيحاً منشئاً، وابراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرياستين الفضل بن سهل، اتصلا به فرفع منهما " [2] .

وعن ثقافة أبي بكر الصولي فقد اتسمت بالشمول والتنوع، وكأنها ثقافة موسوعية، شملت جميع علوم عصره وفنونه وادابه، شأنه شأن غيره من العلماء والأدباء في هذا العصر الذي لا يرضى بالتخصص في مجال واحد بل يتحتّم على المرء أن يقطف من كل بستان زهرة .

فثقافته الفقهية اكتسبها من أعلام الفقه والتشريع الذين طالما وفد إليهم واستمع إلى آرائهم واعمل عقله وفكره وبنى لنفسه آراء خاصة في الفقه . وكان ملماً بعلم النحو ومدارسه ، بحيث قام باعراب بعض دواوين الشعراء، وذكر بعض ما اختلفت فيه مدارس النحو المختلفة، فقد وضعه القفطي ضمن أنباه نحاته. قال القفطي : " فإنما ذكرته ها هنا لأنّه تعرض لجمع دواوين، شرح فيها أشعارها، وذكر الغريب والإعراب في بعض أماكنها فصار بهذا من جملة أئمة النوعَيْن المذكورين " [3] . ولم يكن النحو همّه الوحيد بل جال في علم الصرف وأولاه عناية بحيث ضمن كتابه " أدب الكتاب " الكثير من التحليلات اللغوية مبيّناً اشتقاقاتها وأوزانها .

---

(1) م . ن . ، 16/ 127 (2) م . ن . ، 1/ 166 – 168

(3) انباء الرواة ، 3/ 233 – 234

ولقد كان لثقافته الواسعة، واطلاعه وشغفه بـألوان الثقافـة العربيـة الواسعة على اختلاف مناحيها واتجاهاتها عظيم الأثر في مؤلفاته . فانقسمت مؤلفاته إلى صنوف شتى فمنها ما كان اخبارياً، أو أدبياً أو لغوياً أو دينياً، أو دواوين شعر .

فمن مؤلفاته الإخبارية، ما يتعلق بالجانب السياسي ومنها مـا يتعلـق بالتاريخ الأدبي وتراجم الشعراء، فمن المؤلفات السياسية :

1) كتاب الأوراق 2) الوزراء
3) القرامطة 4) وقعة الجمل
5) مناقب علي بن الفرات 6) رسالته في أبي بكر محمد بن طغج .

- أمّا التاريخية الأدبية فمنها :

1) الأوراق (الجزء الذي يتصل بأخبار الشعراء) ويشتمل كما أخبر ابـن النديم : أخبار الشعراء، أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم، أخبار احمد بـن يوسف ومختار شعره . وكلها مطبوعة .

- أما الأخبار المفقودة :

أخبار ابن هرمة ومختار شعره، وأخبار الـسيد الحميـري ومختـار شعره، أخبار الحلاّج، أخبار سويف ومختار شعره، أخبار الجبائي [1] .

وفي مجال تاريخ الأدب، وتراجم الشعراء ألف الـصولي مجموعـة أخبار مستقلة لعدد من الشعراء، ذكرتها المصادر الأدبية القديمة، وأخبر عنها الصولي في ثنايا مؤلفاته، ومنها ما وجد، ومنها ما أتت عليه عوامل الـزمن فضاع .

---

(1) الفهرست ، 215

فمن الموجود : أخبار أبي تمام، أخبار البحتري أخبار ابراهيم بن المهـدي، اخبار الشعراء، أخبار أبي نواس .

- أما المفقودة فهي :

أخبار اسحق الموصلي، أخبار العباس بن الأحنف، أخبار الفرزدق، أخبـار شعراء مُضر، أخبار شعراء ربيعة، أخبار شعراء اليمن .

ومن الكتب اللغوية والأدبية أيضاً ما ضاع ومنها ما زال بين أيـدينا، فمن الكتب الموجودة : أدب الكتاب، رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك في فضل أبي تمام وشعره، شرح ديوان أبي تمام، رسالته في شعر أبي نواس .

أما المفقودة فهي : شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح ديوان أبي نواس، رسالته في المطاولة لابن أبي السّاج، رسائله إلى القاضي عمر بن محمـد، الغُرر، ما اتفق لفظه واختلف معناه .

ومما فقد من كتبه أيضاً الدينية التي لم يبقى سوى اسمها :

كتاب الشامل في علم القرآن، جزء الصولي في الحديث، العبادة، رمـضان، سؤال وجواب رمضان .

وللصولي مؤلفات متنوعة منها :

الشطرنج، تفضيل السّنان، الأنواع، اللقاء والتسليم، الشبان والنوادر، الطُّرر، السُّعاة، الأخبار المنثورة .

أما في دواوين الشعراء فله صولة وجولة منها ما أتى عليه الزمن فـضاع، ومنها ما بقي ضمن الموجود .

ديوان ابن الرومي، ديوان أبي تمام، ديوان البحتري أبي نواس، العباس بـن العباس، ابن المعتز، ابراهيم بن العباس، مسلم بن الوليد (صريح الغواني)، الراضي بالله ، علي بن الجهم .

□ أمّا المفقودة :

ديوان ابن طباطبا العلوي، ابن عيينة، ابن شراعة ، الصنوبري ابن هرمة، أبي الشيص دعبل الخزاعي، المعذل بن عيلان، القاضي عمر بن محمد، شعراء مضر، شعراء ربيعة، شعراء اليمن .

كتب أبو بكر الصولي كتابه " أخبار أبي تمام " ردّاً على من غبط أبي تمام حقّه وحسناته، وأمثال أحمد بن عبد الله بن عمار القطربلي 319هـ[1] . وصدّره برسالة إلى مزاحم بن فاتك بين الأسباب التي دعته إلى ذلك وهو يشكو في رسالته تسوّر المثقفين من أبناء عصره على ما لا يحسنون بأدنى طلب واقل حظ من ثقافة ويعتذر عن العلماء الذين يُستشهد أحياناً بابتعادهم عن الشعر المحدث، أما الصنّف الآخر الذي يعيب على أبي تمام فإنهم يفعلون ذلك طلباً للشهرة .

الذي لا شك فيه ان الصولي واحد من الذين تحمسّوا لأبي تمام وناصروه وتعصبوا لشعره وفكره وشخصه وهذا يلاحظ من خلال صفحات كتاب أخبار أبي تمام، بحيث ذكر صراحة انه كتب رسالة مزاحم دفاعاً عن الشاعر الطائي الكبير . كما يفرد فصلاً طويلاً يقارب المائة صفحة في تفضيل أبي تمام .

(1) أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار ابو العباس الثقفي الكاتب المعروف بحمار العُزير . وكان يتشيّع، ومات في سنة أربع عشرة وثلاثمائة. له مصنفات منها : كتاب المبيضة، وهو في مقاتل الطالبيّن، الأنواء، مثالب أبي نواسن أخبار سليمان بن أبي شيخ، الزيادة في أخبار الوزراء لابن الجراح، أخبار حجر بن عدي، أخبار أبي نواس، أخبار ابن الرومي ومختار شعره، المناقضات أخبار أبي العتاهية، الرسالة في بني أمية، كتاب في ذم بني أمّية واتباعهم، الرسالة في مثالب معاوية . معجم الأدباء ، 3/ 232 – 240

كما يحمل على كل من دعبل الخزاعي الذي يتهمه بالسطو على شعر ابي تمام وسرقة معانيه، وابراهيم بن المدبر لتعصبه على أبي تمام . ونراه أيضاً يمجّد أبي تمام بذكر محفوظاته وما عنده من روايات وما لديه من مختارات يرددها في مجالسه، وجعل ذلك تحت عنوان " ما رواه أبي تمام " كما يذكر في فصل آخر وصفة ابي تمام وأخبار أهله وعن الكتاب يقول الدكتور مصطفى الشكعة : " وعلى الرغم من أنّ الصولي قد جعل من كتابه هذا ميداناً للدفاع عن أبي تمام والتحمس له، فإن هذا الكتاب من الناحية الموضوعية والمنهجية قد وفى بالغرض الذي استهدفه مؤلفه من حيث التعريف بأبي تمام وبحياته الخاصة والعامة وبثقافته وعلاقته بالناس بصفة عامة وبممدوحيه بصفة خاصة وبشعره بصفة أخصّ ... ومهما يكن من أمر والهدف من تأليفه فإنّه يمكن أن يعدّ نوعاً من الدفاع الواضح غير المستتر عن أبي تمام تجاه الدفاع المستتر عن البحتري والعصبية الأدبية التي ضمنها الآمدي في موازنته " [1] .

ومجمل رأي الصولي في النقد – كما يقول إحسان عباس – : " أن النقد لا يكون بابراز بعض العيوب والتشهير بالشاعر من أجلها وإغفال ماله من حسنات كثيرة إزاءها ؛ فكيف إذا كانت تلك العيوب مَجتلبة، ونسبة التقصير إلى الشاعر مفتعلة، فأبو تمام في رأي الصولي مؤسس مذهب سلكه كل محسن بعده، فعائبه يكشف عن جهله " [2] .

ونجد الصولي ينقد ابن قتيبة في موضوع أدب الكاتب فيقول : " وهذا الكتاب هو المستحق أن يسمّى أدب الكتاب على الايجاب لا على الاستعارة،

---

(1) مناهج التأليف ، 265

(2) تاريخ النقد ، 150

وعلى التحصيل على على التمثيل ، فإني رأيت من صنّف مثل هذا الكتاب ، ونسبه هذه النسبة ، ولم يحصل منه إلا تسميته دون تجسيمه " [1] . والترجيح هذا قائم على قول أهل العلم : " إن كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة خطبة بلا كتاب، وإصلاح المنطق كتاب بلا خطبة " [2] . وهم بذلك يولون مقدمة الكتاب شأناً هاماً ويعملون من قدرها على الكتاب نفسه .

ولا شك أن الصولي قد بالغ في مذهبه بحيث انصرف إلى أدوات الكتابة اكثر من انصرافه إلى ثقافة الكاتب . وقد تحدث ابن قتيبة عن تقويم اليد، واللّسان، وعن المعرفة في كتابه، ولا شك أنّ آخر القرن الثالث ليس كوسطه .

أمّا موقف الصولي من الشعراء المحدثين واختيار شعرهم فنراه يقترب قليلاً في معالجة أمرهم من ابن قتيبة، على أن ابن قتيبة كان أشد ميلاً إلى الشعراء القدامى والمشهورين . وكان الصولي أميل إلى المحدثين المعاصرين له. وكان في بعض الأحيان يخترق قاعدة الاختيار عندما يشعر بأن الشاعر مقل خشية ضياع شعره . يقول : " قد جئت بأكثر أشعار هؤلاء إذ كانوا شعراء ظرافاً كتاباً لا يعرفهم الناس، ومن يعرفهم لا يعرف أخبارهم ولا أشعارهم، ومن يعرف الناس شعره فأنا أذكر جيدّه في كتابنا هذا ، وإنما استقصي أشعار من لا يعرفون " [3].

وأضاف : " وإنما أتساهل في اختيار أشعار هؤلاء لإنهم مقلون، فإن لحِقَ أشعارهم حقّ الاختيار قلّت وذهبت " [4] .

---

(1) أدب الكتّاب ، 20 (2) وفيات الأعيان ، 3/ 43

(3) أخبار الشعراء المحدثين ، 1/ 255 (4) م . ن . ، 1/ 64

وهذا يبين لنا أن أصل الاختيار عنده قائم على الجودة، وأنّ القلة تغني إذا ما عرض له شاعر مقل، وليس كل اختيار عندهما يقوم على الجودة لأن القلة عند الصولي، ومعها الغرابة عند ابن قتيبة مما يقوم به الاختيار .

ظهر منحى الصولي في النقد الأدبي من خلال آرائه ونظراته وما تناوله بالتحليل والتقييم من شعر الشعراء على اختلاف عصورهم وشاعريتهم، ومقدرتهم الفنيّة، ومذهبهم الشعري . فهو لم يؤلف في النقد كتاباً، ولم يضع له ضوابط ومعايير، فلم يتناوله من الناحية النظرية كما فعل ابن قتيبة، ولم يضع الشعراء في طبقات كما فعل ابن سلام والجاحظ وابن المعتز . بل تناول النقد من الناحية التطبيقية العملية، من واقع الشعر وفنونه وأغراضه ومعانيه وألفاظه .

ويدعو الصولي العلماء إلى البحث والتحليل ، والتعمق في الدراسة والاطلاع على علوم الأوّلين والمحدثين، والأخذ عن الأساتذة المشهورين، حتى يثقفوا أنفسهم، ويكمل كل منهم النقص في الجانب الذي جهله وبذلك يستطيع المرء منهم الحكم على الشعراء، وتمييز ألفاظهم والحكم عليهم دون تعصب جودةً أو رداءةً .

أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي

اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان المعروف بالقالي أبو علي البغدادي، مولى عبد الملك بن مروان، ولد بمنازجرد من ديار بكر، ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، مات بقرطبة سنة ست وخمسين وثلاثمائة . سمع من أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي وأبي سعيد الحسين بن علي العدوي وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، وقرأ على أبي بكر بن دريد، وابن السراج، ونفطويه، والزجاج ، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وقرأ كتاب سيبويه على ابن درستويه . والقالي منسوب إلى قالي قلا من أعمال أرمينيّة . ورأى القالي أنّه لاحظّ له بالعراق، فقصد بلاد الغرب، فأكرمه صاحب الغرب، وأفضل عليه إفضالاً عمَّه وانقطع هناك بقيّة عمره، وهناك أملى كتبه أكثرها عن ظهر قلب. قال الحميدي : " وكان إماماً في علم العربية، متقدماً فيها، متقناً لها، فاستفاد الناس منه، وعولوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه على غاية التقييد، والضبط والاتقان، وقد آلف في علمه الذي اختص به تآليف مشهورة، تدلُّ على سعة علمه وروايته . وكان أعلم الناس بنحو البصريين، وأرواهم للشعر مع اللغة [1] .

قال القفطي : " وله أوضاع كثيرة أملاها عن ظهر قلبه، منها كتابه في الأخبار والحكايات المعروف بالنوادر والأمالي، ومنها كتابه المقصور والممدود، وكتاب فعلت وأفعلت، والبارع في اللغة، وكتابه مقائل الفرسان . ومنها كتابه " حُلى الإنسان والخيل وشياتها " ، ومنها كتابه في تفسير القصائد والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها [2] .

(1) معجم الأدباء ، 7/ 25 - 31 (2) انباه الرواة ، 1/ 239 - 241

وكتاب الأمالي يضمّ الكثير من الأخبار الأدبية ومختارات الأشعار، ومن الطريف أنّ كل ما حوى من أخبار وأشعار كان من آداب المشارقة، على الرغم من أن الكتاب أُملي في الأندلس، فكأنه أراد أن يعلم الأندلسين آداب المشارقة التي كانوا يهتمون بها كل الاهتمام .

ويقدّم المؤلف منهج كتابه وأهم ما احتفل به من موضوعات فيقول مستطرداً : " وأودعته فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار، وأنواعاً من الامثال، وغرائب من اللغات، على أني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلاّ أشبعته، ولا ضرباً من الشعر إلاّ اخترته، ولا فناً من الخبر إلاّ انتحلته، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته، ثم لم أخله من غريب القرآن، وحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد، وفسّرت فيه من الإتباع ما لم يفسره بشر [1] .

إن طبيعة كتاب الأمالي تختلف في طبيعة اختيار مادتها الجدّية عن تلك الشذرات التي اختارها الجاحظ وابن قتيبة في كتبهما دفعاً للملل، غير أن ذلك لم يمنع من التأثر بعلم ابن قتيبة في اللغة أو الاخبار الأدبية .

فالأخبار الأدبية لدى الطرفين هي من أدلة التشابه فابن قتيبة يقول : " وقيل لكثير : ما بقي من شعرك ؟ فقال ماتت عزّة فما أطرب، وذهب الشباب فما أعجب، ومات ابن ليلى فما أرغب – يعني عبد العزيز بن مروان – وإنّما الشعر بهذا الخلال " [2] .

وقال القالي : " وحدثنا أبو بكر بن دريد، قال : والله ما كان ذلك، ولكن فقدت الشباب فما أطرب، ورزئت عزّة فما أنسب، ومات ابن ليلى فما أرغب"[3].

---

(1) أمالي القالي ،1/ 3 (2) عيون الأخبار ،2/ 185

(3) أمالي القالي، 30/1

قال الدكتور مصطفى الشكعة : " لم يفت المؤلف – وقد توسّم الجد وصعوبة الموضوعات التي طرقها في أغلب صفحات الكتاب – أن يخفف عن القارئ كما فعل سابقوه من المشارقة بإيراد طرفة هنا وملحة هناك فيصيب بذلك هدفين : التسرية عن القارئ الذي يكون عُرضة للسأم والملل . وإضافة معلومات فكرية إلى حصيلته في مجتمع كان للملحة خطرها في المحافل العامة والخاصة " [1] .

وقال الدكتور عز الدين اسماعيل : " فهو (الكتاب) بعد أساساً من كتب اللغة، ذلك أن القالي لا يأتي بالنص المختار من شعر أو خطبة أو مثل إلا بقصد شرح ما بهذا النص عن ألفاظ غريبة والأشارة إلى اشتقاقاتها، وهو في أثناء ذلك يستشهد بنماذج عن الشعر خاصة، لتأييد رأيه، ولهذا فإن هذا الكتاب لا يغلب عليه الاستطراد الكثير الذي عرفت به الكتب السابقة، ذلك أن كل محاضرة أو أملية تتحدد بكونها محاضرة أو أُملية في اللغة " [2] .

إنّ القالي قد كشف لنا عن مصدر الخبر، وهو الأصمعي، ولا غرابة في أن يكون الخبر قد اتصل بابن قتيبة بطريق عبد الرحمن الأصمعي، أو بطريق آخر، غير أن الخبر قد روي عند أحدهما أو كليهما بالمعنى . وهذا يدلّ على اهتمام الناقدين بشروط الإبداع، ولا بد أن القالي قد عرف ما قاله ابن قتيبة لأنه قد قرأ كتبه، بآية ما أثبته من نصوص هي في أدب الكاتب، أو بوساطة أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة . والكتاب يكاد يخلو من النقد بغير الاختيار، وقلّت فيه مصطلحات النقد لغلبة اللغة والشرح اللغوي عليه .

---

(1) مناهج التأليف ، 367

(2) المصادر الأدبية واللغوية ، 219

أبو الفرج الأصفهاني

عليّ بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن عبد مناف أبو الفرج الأصفهاني العلاّمة النسّاب الأخباري الحفظة، الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدّى لجمعه، وكان مع ذلك شاعراً جيداً . ولد في سنة أربع وثمانين ومائتين، وتوفي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة .

روى عن أبي بكر بن دريد، وأبي بكر بن الأنباري، والفضل بن الحُباب الجحمي، وعلي بن سليمان الأخفش، ونفطويه . وعن كتاب الأغاني يقول ياقوت: " لعمري إنّ هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذّكر، جمّ الفوائد، عظيم العلم، جامع بين الجد البحت والهزل النحت " . ومن تصانيفه : الأغاني الكبير، مجرّد الأغاني، التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها، مقاتل الطالبيين أخبار القيان، الإماء الشواعر، المماليك الشعراء، أدباء الغرباء، الدّيانات، تفضيل ذي الحجة، الأخبار والنوادر، أدب السّماع، أخبار الطفيليين، مجموع الأخبار والآثار، الخمارين والخمارات، الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار، دعوة النجار، أخبار جحظة البرمكي، جمهرة النسب، نسب بني عبد شمس، نسب بني شيبان، نسب المهالبة، نسب بني تغلب، الغلمان المغنّين، مناجيب الخصيان [1] .

قال ابن خلكان : " وهو أصبهاني الأصل بغدادي المنشأ، كان من أعيان أدبائها، وأفراد مصنفيّها، وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسيّر . قال التنوخي : ومن

---

(1) معجم الأدباء ، 13/ 94 - 100

المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني، كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنّسب ما لم أر قط من يحفظ مثله " [1] .

وأبو الفرج في كتابه يتبع منهجاً مدروساً للاستطراد، يوصل القارئ في النهاية إلى جمع حصيلة هائلة من العلم والمعرفة، فتراه كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : " يبدأ بذكر الصوت المختار والشعر المرتبط به، ثم يستطرد إلى ذكر أشعار أخرى تغني بها وقيلت في نفس المعنى، ثم يتحدّث عن المناسبة التي قيلت فيها الأشعار، وربما تكون المناسبة اجتماعية أو سياسيّة فيستطرد في ذكرها . وقد يجرّه هذا إلى ذكر الأنساب وأخبار القبائل وخطب وقصص وملح ونوادر، وفي أثناء ذلك يطلعنا على حياة البادية وعادات أهلها ومعتقداتهم، ثم يصحبنا إلى دروب المجتمع العربي المتحضر" [2] .

لم يكن أبو الفرج مجرد ناقل أو راوٍ، بل كان ناقداً ممحصاً، فقد حرص على رواية الأخبار بأسانيدها، كما حرص على ذكر اسم من أخذ منه وإن أغفل في بعض الأحيان ذكر اسم كتابه، كما أنه لا يقبل النصوص على علاّتها، بل يمحصها، وقد ينسب الكذب والتلفيق لأصحابها .

ومن ذلك قوله في ابن خرداذبة بمناسبة ذكر أخبار معبد : " وذكر ابن خرداذبة أنه (أي معبد) غنّى في دولة بني أميّة، وأدرك دولة بني العبّاس، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل . فكان إذا غنّى يُضحَك منه ويُهزأُ به . وابن خردذابة قليل التصحيح لما يرويه ويُضمنه كتبه . والصحيح أن معبداً مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنّه أصابه الفالج

---

(1) وفيات الأعيان ، 3/ 307 (2) المصادر الأدبية واللغوية ، 192

قبل موته، وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يَـروه أحد سوى ابن خرداذبة، ولا قالـه ولا رواه عـن أحـد وإنمـا جـاء بـه مجازفة " [1] .

الكتاب موسوعة أدبية فنية ثمينة، ولكن هناك بعض المآخذ عليه منهجيّاً وهو إغفاله ترجمات بعض كبار شعراء العربية كأبي العتاهية وأبي نواس وابـن الرومي . وأبو الفرج قد استقى بعض الأخبار عن ابن قتيبة بوساطة تلميـذه ابراهيم بن أيوب، وثمّة أخبار نقدية أخذها عنه كخبر خيمة النابغة، وما كان من حديث الأعشى والخنساء وحسان بن ثابت وخبر نقد الحطيئة الشعر فـي مجلس سعيد بن العاص . قال الأصفهاني : " أخبرنا محمـد بـن العبـاس اليزيدي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا : حدثنا عمر بن شـبة قـال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن خالد بن سعيد بن العاص عـن أبيه قال : كان سعيد بن العاص في المدينة زمن معاوية، وكان يُعشي الناس، فإذا فرغ من العشاء قال الآذنُ : اجيزوا إلاّ مَنْ كان من أهل سمر، قـال : فدخل الحطيئة فتعشى مع الناس ثم أقبل فقال الآذن : اجيزوا حتى انتهى إلى الحطيئة . فقال : أجز فأبى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد اباءه . قـال : دعه وأخذ في الشعر والحطيئة مُطرق لا ينطق . فقال الحطيئـة : والله مـا أصبتم جيّد الشعر . ولا شاعر الشعراء. قال سعيد :مَنْ أشعر العرب يا هذا . قال : الذي يقول :

لا أَعدُّ الإقتارَ عدماً ولكنْ ... فقدُ منْ قدْ رزئتهُ الإعدام

منْ رجالٍ من الأقارب فادوا ... من حذاقٍ همُ الروؤسُ الكرامُ

سُلِّطَ الموتُ والمنونُ عليهمُ ... فلهمُ في صدي المقابر هامُ

وكذاكمُ سبيلُ كلِّ أناسٍ ... سوفَ حقاً تبليهمُ الأيامُ

---

(1) الأغاني ، 1/ 36

قال : ويحك من يقول هذا الشعر ؟ قال : أبو داود الإيادي . قال : أو ترويه ! قال : نعم . قال : فأنشد فيه . فأنشده الشعر كله . قال : ومن الثاني ؟ قال الذي يقول :

أفلحْ بما شئتَ قد يبلغُ بالضعفِ وقدْ يخدعُ الأريبُ

قال : ومن يقول هذا ؟ قال : عبيد . قال : أو ترويه ؟ قال نعم . قال : فأنشد فيه . فأنشده ثم قال له : من أنت ؟ قال : الحطيئة . قال : ويحك ! قد علمت تشوقنا إلى مجلسك، وأنت تكتمنا نفسك منذ الليلة [1] .

كان أمية بن أبي الصّلت قد قرأ كتاب الله – عز وجل – الأوّل، فكان يأتي في بعض شعره بأشياء لا تعرفها العرب منها قوله في الله–عز وجل –:

هوَ السّلطيطُ فوق الأرضِ مقتدرٌ

ويقول :

وأبدتِ الثغرورا

فقال ابن قتيبة : " يريد الثّغر وهذه أشياء منكرة وعلماؤنا لا يرون شعره حُجّة في اللغة " [2]. وأرى أن ابن قتيبة في احتجاجه ربما كان أقرب إلى الجانب الديني منه إلى الجانب اللغوي العام .

والأصفهاني لم ينقل كلام ابن قتيبة بدقة ؛ إذا لم يفهم الألفاظ إلاّ بمعنى الكلمات، ثم أصبح الاحتجاج لديه ليس على الكتاب، وإنما على الكتاب واللغة والاحتجاج مسألة لغوية تربوية فشعر أميّة ولغته وما فيها من تعريب أو تجديد فأمر ذو طبيعة نقدية .

---

(1) الأغاني ، 16/ 38 – 39 (2) الشعر والشعراء ، 301

وفي قول ابن قتيبة " وعلماؤنا لا يحتجون بشيء ، من شعره (أميـــة) " . شيء من الغموض، إذ لم يفرّق هل الاحتجاج لغوي أم معنوي.

قال ابن قتيبة في عدي بن الرّقاع : " وكان شاعراً محسناً، وهو أحسن من وصف ظبية وصفاً فقال ... " وفي نسخ أخرى : " ومـــن أحـــسن مـــن وصف ظبية وولدها، وهو القائل يصفهما " .

أمّا الأصفهاني فقال : " وقال عبد الله بن مسلم : ومما ينفرد به، ويقدم فيه وصف الظبية، وكان من أوصف الشعراء لها " .

قال عدي :

لولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عسا ... فيهِ المشيبُ لزرتُ أم القاسمِ

وكأنها وسطَ النساءِ أعارها ... عينيهِ أحورُ من جاذرِ جاسمِ . [1]

---

(1) الأغاني ، 8/ 174

قدامة بن جعفر

أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب، كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله، وكان أحد البلغاء الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء، ممّن يُشار إليه في علم المنطق، وكان أبوه جعفر ممّن لا يفكَّر فيه ولا علم عنده .

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه أن له : كتاب في الخراج وصناعة الكتابة، وقد سأل ثعلباً عن أشياء . مات في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع . وقال محمد بن اسحق : وله من الكتب : كتاب الخراج تسع منازل، كان ثمانية منازل فأضاف إليه تاسعاً، كتاب نقد الشعر، كتاب صابون الغمّ، كتاب صرف الهمّ، جلاء الحُزن، درياق الفكر، السياسة، الرّد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام، كتاب حَشْوِ حِشاء إبليس، صناعة الجدل، الرسالة في أبي علي ابن مقلة وتُعرف بالنجم الثاقب، نزهة القلوب وزاد المسافر، زهر الربيع في الأخبار .

اشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وصنّف كتباً منها : كتاب نقد الشعر وقد تعرّض ابنُ بشر الآمدي إلى الردّ عليه فيه [1] . فوضع الآمدي نظرية عمود الشعر في النقد ونقد قدامة في كثير من آرائه، بل ألف كتاباً بيّن فيه أخطاءه في نقد الشعر، وأهداه إلى ابن العميد، وبالرغم من ذلك كلّه فقد تأثر كرها ببعض آراء قدامة، تأثّر به في فهم عناصر ميزان النقد الأدبي التي حلّلها حين نقد أبا تمام والبحتري فيما يتصل باللفظ وسلامته والمعنى وصحته، والغرض واستقامته والأسلوب ومواءمته لأسلوب العرب في الأداء والوزن، وملاءمته لموسيقى الشعر وأوزانه . وتأثر به في تنسيق بحوثه

---

(1) معجم الأدباء ، 17/ 12 - 14

وموضوعاته عارضاً للموضوعات التي أثارها ابن المعتز وقدامة، كبحوثه في الجناس والطباق والاستعارة والتقسيم، مُدلياً برأيه مع رجوعه إلى العربية وحدها في المنافسة والنقد والحُكم [1] .

عرّف قدامة الشّعر بأنه قول موزون مقفّى يدل على معنى، وذكر أن الشعر قد يكون جيّداً أو رديئاً، أو بين الأمرين، وأنّه صنعة ككل الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى . وعن منهجه في نقده الشعر يقول : إنّه يذكر صفات الشعر التي تبلغه غاية الجودة، فإن وجد صفة هذا الحال كان شعراً في غاية الرداءة وإلاّ فهو بين طرفين الجودة والرداءة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسطه بينهما . وقد قرّر أن الشعر مؤلف من أربعة عناصر : اللفظ والوزن والمعنى والقافية، ويتألف عن هذه العناصر أربعة عناصر أخرى هي :

1. ائتلاف اللفظ مع المعنى أو الوزن
2. ائتلاف المعنى مع الوزن أو القافية.

والكتاب في غاية الأهمية في بابه، وقد تأثر فيه قدامة بكتاب (فن الشّعر) لأرسطو تأثراً واضحاً، ونهجه في نقد الشعر نقد عقلي، فقد صوّر المثل الأعلى للشعر وما يجب أن يكون عليه وذلك ببيان عناصر للشعر والأوصاف الجميلة لكل عنصر، ثم قال إنّ هذا المثل الأعلى يرشدنا أوّلاً وبالذات إلى معرفة جيّد الشعر، وثانيا وبالتبع إلى معرفة رديئه الذي هو ضد الجيد منه . وثالثاً معرفة درجة الرداءة بالنسبة إلى ما كان من الشعر بين الجودة والرداءة [3] .

---

(1) نقد الشعر ، 46 (2) نقد الشعر ، 53- 57

وفي العلم بالشعر فقد بيّن قدامة أنّه ينقسم إلى :
قسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه، وعلم يُنسب إلى علم غريبه ولغته، وقسم يُنسب إلى معانيه والمقصد به، وعلم يُنسب إلى علم جيّده ورديئه [1].

وأوضح أن العلماء قد خاضوا في المادة الموسيقية، والنسيج اللغوي، والمعاني والأغراض، فلم يبق لقدامة من علم الشعر سوى العلم الذي يُعرف فيه الشعر جيّده من رديئه، ولهذا قال : " فأمّا علم جيد الشّعر من رديئه، فإنّ الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم، فقليلاً ما يصيبون، ولمّا وجدت الأمر على ذلك، وتبيّنت أنّ الكلام في هذا الأمر أخصّ بالشّعر من سائر الأسباب الأُخر، وأنّ النّاس قد قصّروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع " [2] .

فالوزن عند قدامة هو ما كان سهل العروض، ومن نعوته : الترصيع بحيث يتوخّى فيه لتصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف . كما يوجد في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم، وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم [3] .

أمّا نعت القوافي فيجب أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن تقصد لتعبير مقطع المصراع الأوّل في البيت الأوّل من القصيدة مثل قافيتها. فإنّ الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه [4] .

---

(1) م . ن ، 61
(2) نقد الشعر ، 62
(3) م . ن . ، 78
(4) م . ن . ، 86

وفي نعت المعاني يرى أن الناس مختلفون في مذهبين عن مذاهب الشعر وهما : الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والإقتصار على الحد الأوسط في ما يقال منه . ثم نراه يصف نعوت فنون الشعر كالمدح والهجاء والرثاء والوصف والنسيب، كما وصف نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف المعنى والوزن، وائتلاف القافية مع ما يدلّ عليه سائر البيت، ووصف أيضاً نعت عيوب الشعر . يقول قدامة : " وقد أتيت على ما ظننت أنه نعت للشعر وعدت أجناس ذلك وفصلت أنواعه، فالآن أحبُّ أن ابتدئ بذكر عيوب الشعر وأذكر أجناس ذلك على الترتيب الذي رتبت النعوت عليه وتحسب تلك السياقة " [1] .

قارب ابن قتيبة في نظرته إلى أبيات كثيّر غرة " ولمّا قضينا من منى كل حاجة " إلى حدّ المطابقة، فقد جعل هذه الأبيات تحت قوله في نعت اللفظ: " أن يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة، مثل أشعار يوجد فيها ذلك، وإن خلت من سائر النعوت للشعر " . فقدامة هنا يقف إلى جنب ابن قتيبة من غير اختلاف إلاّ في طريقة صياغة الفكرة، وبحث ابن قتيبة عن فائدة المعنى ولفظه .

والتقى قدامةُ بن جعفر مع ابن قتيبة في نسبة البيتين :

في كَفِّه خَيْزُران رِيُحها عَبَقٌ ... في كفِّ أروع في عرنينه شممُ

يُغضي حياءً ويغضَى منْ مَهابتهِ ... فما يُكلمَّ إلا حين يَبتسِمُ [2]

وأنها قيلت في أحد أمراء بني أمية ذكره باسمه قائلاً : قد قيلا في عبد الله ابن عبد الملك بن مروان ، وهما للحزين الكناني، وهذا أيضاً مذهب أبي الفرج الأصفهاني .

(1) م . ن . ، 172 (2) نقد الشعر ، 108

فضل ابن قتيبة لطف المعاني على ما سواه من حدودها الشعرية، بينما نجد قدامة قد أحبّ الغلّو والمبالغة في الشعر اعتماداً على قول سابقيه : أعذب الشعر أكذبه [1] .

وقد جعل الجودة رديفاً للطبع، ولم يذهب ابن قتيبة هذا المذهب .

نظر قدامة للفظ في أغلب نظرته من زاوية بلاغية تتصل بسمعه ونطقه، ومناسبة الشعر في لفظه ومعناه مقتضى الحال، وما يراه مناسباً، فقد نظر قدامة للفظ نظرة المناطقة في تجريد اللفظ من الشعر أو المعاني، وكذلك سائر أجزاء الشعر . في حين أن ابن قتيبة لا يهمل ما نظر إليه قدامة في موضوع الوصف وأغراض الشعر، غير أنه لا ينظر إلى المعاني في أغلب الأحوال إلاّ في الشعر نفسه، بغضّ النظر عن موقف الدين والمجتمع من ذلك، فنظرة ابن قتيبة هنا نظرة الفقيه في خطوطه العامّة .

---

(1) م . ن . ، 7

الفصل الثاني

الآمدي أبو القاسم الحسن بن البشر

جرى المؤرخون على تقسيم الخلافة العباسية إلى عصرين : العصر العباسي الأول ويبدأ منذ قيام الخلافة العباسية في العراق بعد سقوط الدولة الأموية (132هـ / 750م) ، وقد استمر هذا العصر مائة عام . ثم العصر العباسي الثاني الذي يبدأ بتولي المتوكل الخلافة (232هـ / 847م) ، وانتهى هذا العصر بسقوط الخلافة العباسية على أيدي المغول سنة (656هـ / 1258م) .

ففي هذه الحقبة نجد أن الأدباء العباسيين وجدوا أنفسهم قد وضعوا ضمن إطار الحياة السياسية وما كان يجري فيها من نظم وظروف وأحداث مختلفة، أو الحياة الاجتماعية وما كان يشيع فيها من تحضر وترف وشغف بالغناء وإغراق في المجون والزندقة والزهد والنسك، أو الحياة العقلية وما واكبها من ترجمة للثقافات الأجنبية ونشاط للحركة العملية، وما جرى فيها من نقل للعلوم التي تتعلق بالعوب المستعربة، ووضع للعلوم اللّغوية والتاريخ والعلوم الدينية والكلامية .

فالقرن الرابع الهجري يمثّل أزهى عصور النقد الأدبي عند العرب، ففيه استقرت أصوله وظهرت الدراسات التي قام بها الأدباء، وبلغ النقاد في أحكامهم ذروة لم يصل إليها النقد من قبل، فقد كان نقدهم مبنياً على أسس ثابتة راسخة لا مجرّد ملاحظات بيانية ذوقيّة، من خلال ذلك أطلّ علينا الناقد الأديب أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي . فمن هو هذا الناقد الأديب الفذ ؟

مولد الآمدي ونشأته :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي الأصل [1] ، البصري المنشأ، إمام في الأدب، وله شعر حسن، واتساع في علم الشعر ومعانيه رواية ودراية وحفظاً، وصنّف كتباً في ذلك حساناً.

وقد أجمعت كتب التراجم على أنه ولد في البصرة ولا يُعرف متى، كما أجتمعت على انتقاله إلى بغداد واشتغاله بالكتابة فقد كتب للقضاة من بني عبد الواحد، قال أبو القاسم المحسن التنوخي : " حدثني أبو القاسم الآمدي، كاتب القضاة من بني عبد الواحد بالبصرة وله شعر حسن، وإتساع تامّ في الأدب، ودراية وحفظ، وكتب مصنّفة " .

وكانت نشأته في مسقط رأسه في البصرة، تلقى فيها ثقافته الأولى على شيوخها وعلمائها المشهورين، كان كثير الشعر حسن الطبع، جيّد الصنعة مشتهراً بالتشبيهات .

يُرى في تآليفه بصمات الجاحظ، ومناهج تأليفه وطريقة بيانه، فتآليفه خالية من السجّع، وسائره على الطبع، بعيدة عن التكلف، لكن مع غزارة المعنى وعمق المحتوى .

---

(1) القفطي ، انباء الرواة ، 1/ 320 . البغية، 1/ 500 . الفهرست ، 221 معجم الأدباء ، 8/ 75 -93 .

ثقافته :

قبل أن ينتقل مركز الثقافة العربية إلى بغداد نهائياً، كان للبصرة تاريخ حافل خاصة في القرنين الثاني والثالث . وقد كان الآمدي كعلماء عصره جامعاً لفنون من الثقافة والمعرفة، وإن كان ميدانه الذي برع فيه اللغة والأدب، فقد كان الآمدي من النقاد المولعين بدرس الشعر ونقد ما كتب عنه وهو بنوع خاص مغرم بدرس أبي تمام والبحتري . كما تعقب ما كتب رجال القرن الثالث عن الشعر والشعراء، فقد استطاع أن يدرس بعمق ديواني أبي تمام والبحتري، واستطلع ما فيهما من المعاني المتشابهة وأن يضعها جنباً إلى جنب ويقيم عليها الموازنة .

لقد تلقى المعرفة والعلوم على كبار الائمة والشيوخ، فقد أخذ عن الأخفش والزّجاج والحامض وابن السّراج وابن دريد ونفطويه وغيرهم . ولو دخلنا في الحديث عن مضمون الموازنة، لأدركنا مدى غزارة ثقافة الآمدي وسعة اطلاعه على كتب الأدب والنقد، فمن جملة مصادره في هذا الكتاب، كتاب البديع لابن المعتز، وكذلك كتابة الآخر سرقات الشعراء، وكتاب لابن الجراح [1] وكتاب المعاني للأشناندانى [2] .

---

(1) أحمد بن محمد بن الفضل بن الجراح، سمع أبا بكر بن دريد، وابن السّراج، وابن الأنباري النحوي اللغوي، روى عنه الأنباري قطعة من مصنفاته توفي في سنة (381/ 991) . معجم الأدباء ، 4/ 239

(2) أبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى، كان من أئمة اللّغة، أخذ عن التوزي، وأخذ عنه أبو بكر بن دريد، كان لغوياً راوياً واسع الرواية بصري المولد . النزهة ، 155 . البغية ، 1/ 591

وأمالي ابن الأنباري [1] ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، وكتابي الخديل وتفسير أشعار هذيل لأبي عبيدة معمّر بن المثنى [2] ، وأمالي ثعلب [3]

---

(1) أبو بكر بن الأنباري، النحوي اللغوي، كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً للّغة والشعر ، أخذ عن أبي العباس ثعلب، ولد سنة (883/271) وتوفي في سنة (328/ 939) صنّف : المشكل في معاني القرآن .

معجم الأدباء، 18/ 306 - 313 البغية 12/ 212 - 214

(2) أبو عبيدة معمّر بن المثنى، مولى تيم قريش، أخذ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء، كان أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وأوّل من صنّف غريب الحديث . قال عنه الجاحظ : " وممن كان يرى رأي الخوارج أبو عبيدة معمّر بن المثنى، ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه " . ولد سنة (114/ 732) توفي سنة (210/ 823) . صنف : غريب القرآن، مجاز القرآن .

معجم الأدباء ، 19/ 154 النزهة ، 84 الفهرست ، 79

(3) أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللّغة ، ولد سنة (200/ 815) ، وتوفي في سنة (291/ 903) نظر في العربية والشعر واللّغة، وحفظ كتب الفرّاء، وعُني بالنحو واكبّ على الشعر والمعاني والغريب، وروى عنه اليزيدي والأخفش الأصغر ونفطويه وأبو عمر الزاهد وابن الانباري. له معرفة بالغريب ورواية الشعر القديم وصنّف : المصون في النحو ، اختلاف النحويين، معاني القرآن، القراءات، معاني الشعر، التصغير، الشواذ وغيرها .

البغية ، 1/ 396 انباه الرواة ، 1/ 173 معاجم الأدباء ، 5/ 102- 145

وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي [1]، وكتاب الشعراء لدعبل[2] ، والأنوار لأبي حنيفة الدنيوري [3]

---

(1) أبو عبد الله محمد بن سلاّم بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري ، أحد الاخباريين والرواة كان من أعيان أهل الأدب، ألف كتاباً في طبقات الشعراء، وله كتاب غريب القرآن، الجلاّب، أجر الخيل، بيوتات العرب، أخذ عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وجماعة، وروى عنه الأمام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله وأبو العباس ثعلب وأحمد بن علي الأبّار، ذكره الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللّغويين البصريين، توفي سنة (232هـ/ 847م) .

معجم الأدباء ، 18/ 204 البغية ، 1/ 115 الفهرست ، 229

(2) دعبل بن علي الخزاعي، شاعر مطبوع، يقال أن أصله من الكوفة، وكان أكثر مقامه في بغداد، وله كتاب طبقات الشعراء، وديوان شعر، الواحدة، توفي في سنة (246هـ/ 868م) .

معجم الأدباء ، 11/ 99 - 112 الفهرست ، 229

(3) أبو حنيفة أحمد بن داوود الدنيوري، أخذ عن البصريين والكوفيين وأكثر أخذه عن ابن السّكيت، كان نحوياً لغوياً، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب، وكلامه في الأنواء يدلّ على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك . توفي سنة (282هـ / 895م) .

الفهرست ، 116 البغية ، 1/ 306 معجم الأدباء ، 3/ 26

كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام [1] ، الكامل للمبرد [2] ، والبيان والتبيين ، والحيوان للجاحظ .

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، سمع الحديث ودرس الأدب ونظر في اللّغة ، أخذ الآداب عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة معمّر بن المثنى والأصمعي، واليزيدي وغيرهم من البصريين، كما أخذ عن أبن الأعرابي وابن زياد الكلاّبي ويحيى الأموي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفرّاء . وروى الناس من كتبه المصنّفة نيّفاً من عشرين كتاباً في القرآن والفقه ، توفي سنة (224هـ/839م) بمكة . نزهة الالباء ، 109 – 114 . البغية ، 2/ 2253 . نهاية الأدب ، 288 . معجم الأدباء ، 16/ 254 . الفهرست ، 106 .

(2) أبو العباس اللّغوي الأديب، ولد بالبصرة سنة (210هـ / 824م) ، أخذ عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه أبو بكر الصولي ونفطويه وأبو علي الطوماري ، كان إمام العربية ببغداد، أثنى عليه كثيراً ، قال الآمدي نقلاً عن الأخفش عن المبرد أنه قال : (ما رأيت أشعر من هذا الرجل ، يعني البحتري ، ولولا أنه ينشدني كما ينشدكم لملأت كتبي وأماليّ عن شعره). الموازنة ، 1/ 22 معجم الأدباء ، 19/ 111– 118 .

ومن جملة مصادره في موازنته كتاب أخبار أبي تمام للصولي، والموشح للمرزباني، والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني، والعمدة لابن رشيق القيرواني، والأغاني للأصفهاني والصناعتين لأبي هلال العسكري .

وهناك شواهد على أنه في حياته الاجتماعية كان حريصاً على تتبع أحوال مُعاصريه وربط ما يسمع من أخبارهم بما نُقل إليه من أخبار السالفين، وتقييد ما عرف من أهل عصره من النوادر والفكاهات .

يقول عنه ياقوت : (وكان فوق ذلك كثير الشعر، حسن الطبع، جيد الصنعة، مشتهراً بالتشبيهات) ووصفه أيضاً بأنه : " حسن الفهم جيد الروّاية والدراية، سريع الادراك، إتسع في الإعراب وبرز فيه، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره إليه " . كما قال عنه أيضاً : " بأنه مليح التصنيف، جيد التاليف، يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب " [1] .

وربمّا يكون الآمدي قد اطلّع على بعض الثقافات الأجنبية غير العربية، لما ينقله أحياناً عن الفارسية، ولا غرو في ذلك فقد اصطبغ العصر كله بصبغة فارسية، فكان أولى بالآمدي أن يدرس ثقافات عصره ليجاري ذلك العصر وثقافاته المختلفة .

---

(1) معجم الأدباء ، 8/ 75 – 93

شيوخ الآمدي :

أجتمعت معظم كتب التراجم على تتلمذ الآمدي على عدد من الشيوخ نذكر منهم :

1. الحامض (305هـ / 917م) : أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي، كان من العلماء المذكورين بنحو الكوفيين أخذ عن أستاذه ثعلب وصبّ عنايته على قراءته للناس كتب استاذه ثعلب، وخلفه بعد وفاته، والحامض من أعداء الصولي ومن المشنعين عليه، ويُستنتج من رسالة الصولي لمزاحم بن فاتك وإسهابه في إضفاء الصفات النبيلة، والعلم، والكمال، والخلق، على أبي العباس ثعلب، والمبرد، ثم نعيه على الذين خلفوا من بعدهما من علماء الزمان، ثم اتهامه المخالفين والطعن في العلماء واستحقار أهل العلم – أنه يعرض ويغمز بأبي موسى الحامض، والزّجاج، وقد خلفا تعلب والمبرد في مدرستي الكوفة والبصرة، مما يدلّ على أنهما كانا ممن يضع من أبي تمام فضله، ويطعن عليه – . وقد كان الحامض يقرأ كتب الفرّاء، وخاصة كتابه الإدغام، وألف كتاباً مختصراً في النحو، قال أبو الحسن بن هارون :(أبو موسى أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية، واللغة والشعر، وكان جامعاً بين المذهبين الكوفي والبصري، وكان يتعصب على البصريين).وللحامض مصنفات منها : غريب الحديث، خَلْق الإنسان، الوحوش، النبات،السبق والنضال [1] .

---

(1) نزهة الألباء ، 181 . معجم الأدباء ، 11/ 253. الفهرست ، 117 . ابناه الرواة ، 3 / 21 – 22 .

انظر رسالة الصولي لمزاحم بن فاتك ص 7 – 11 من أخبار أبي تمام .

2. الزّجاج (311هـ / 923م) [2] . أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن السرّي، أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، قال ياقوت نقلاً عن الزّجاج : (قال الزجاج : لمّا قدم المبرد بغداد جئت لأناظره وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب، فعزمت على إعناته فلمّا جئته ألجمني بالحجّة، وطالبني بالعلّة، وألزمني إلزامات لم أهتد إليها . فاستيقنت فضله، واسترجحت عقله، وأخذت في ملازمته) . وقال عنه الخطيب البغدادي : (كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، كان يخرط الزجاج، ثم مال إلى النحو، فلزم المبرد، وكان يعلّم بالأجرة) . قال أبو القاسم المحسن التنوخي : ((حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ... قال : حدثني أبو اسحق الزّجاج قال : كنا ليلة بحضرة القاسم ابن عبيد الله نشرب وهو وزير، فغنّت بدعة جارية عريب ..)) ومن تلاميذ الحامض : أبو علي الفارسي، ابو العباس بن ولاد، أحمد بن محمد النحاس، اسماعيل بن القاسم القالي، أبو بكر محمد بن علي المراغي، أبو العباس محمد بن أحمد المعمري، ومحمد بن اسحق الكندي، وكان من تلاميذه أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي (377هـ / 987م) ، الذي لزمه وقرأ عليه النحو، وللزجاج تصانيف منها : معاني القرآن، الاشتقاق، خَلْق الإنسان، النوادر، مختصر النحو، فعلت وأفعلت، خَلْق الفرس، شرح أبيات سيبويه، القوافي، العروض، تفسير جامع المنطق، الردّ على ثعلب في الفصيح، الأنواء، الفرق بين المذكر والمؤنث .

3. ابن السّراج (316هـ / 928م) : أبو بكر محمد بن سهل البغدادي، كان أحد العلماء المذكورين بالأدب وعلم العربية، والمجمع على فضله ونُبله

---

(1) البغية ، 1 / 411- 413 . النزهة ، 183. معجم الأدباء ، 1/ 130 - 151 ، 19/ 117 - 118 . الفهرست ، 90

وجلالة قدره في النحو والأدب، نشأ في بغداد وأخذ النحو عن المبرد، وإليه انتهت الرئاسة في النحو بعد موت المبرد، وقرأ عليه كتاب سيبويه، وقد خالف أصول البصريين في مسائل كثيرة، وقد عني بدراسة المنطق والموسيقى، وكان يُعنى أيضا بدراسة علل النحو ومقاييسه . وقد أخذ عنه الزّجاجي، وأبو سعيد السيرافي، وأبو علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرّماني الذي أخذ النحو عن أبي بكر بن السّراج وابن دريد والزجاج، وشرح كتاب الموجز لابن السّراج . كان يمزج كلامه في النحو بالمنطق، وله تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة . كما أن ابن السّراج قد عوّل على مسائل الأخفش والكوفيين، كما أن من تلاميذ ابن السّراج أيضاً أبو علي القالي[1]، والأزهري اللغوي (370هـ / 979م) [2] ، أخذ عن الرّبيع بن سليمان ونفطويه وابن السّراج، وكان رأساً في اللغة . ومن تلاميذه أيضاً أبو القاسم الآمدي [3] ، الذي ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، فتلقى النحو واللغة عن الأخفش الصغير والزّجاج وابن دريد وابن السّراج .

خلّف ابن السّراج ثروة علمية في معظم التصانيف التي أودعها علمه في جميع الفنون التي برز فيها : ومنها كتب في اللغة والنحو والصرف : كالأصول في النحو ، جمل الأصول ، شرح كتاب سيبويه، الإشتقاق، علل النحو، كتاب الهمز، الموجز، ومنها كتب في دراسة القرآن الكريم : ككتاب الاحتجاج في القرآن ، وكتب في النقد والشعر : ككتاب الشعر والشعراء ،

---

(1) معجم الأدباء ، 7 / 27 . وفيات الأعيان ، 1/ 74 .

(2) م . س . ، 17/ 165 . البغية ، 2/ 19

(3) م . ن . ، 1/ 20

وكتب في الخط والهجاء والعروض [1] .

4. الأخفش (315هـ / 927م) : أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأخفش الأصغر، أخذ عن أبي العباس ثعلب وأبي العباس كان حافظاً للأخبار . ويبدو أن صلة الآمدي بالأخفش أوثق من صلته بغيره من الشيوخ، فقد روى عنه كثيراً ومعظم الروايات التي يرفع إسنادها إلى أبي العباس ثعلب، والمبرد، هي رواية عن أستاذه الأخفش .

قال الآمدي : " أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال : سمعت أبا العباس المبرد يقول : ما رأيت أشعر من هذا الرجل، يعني البحتري، ولولا أنه ينشدني كما أنشدكم لملأت كتبي وأمالي من شعره " . وقد ذكر الآمدي أنه قرأ كتاب الكامل للمبرد على أستاذه الأخفش . وقد ذكره المرزباني فقال : " لم يكن بالمتسع في الرواية والأخبار والعلم بالنحو وما علمته صنّف شيئاً البتة ولا قال شعراً " ، كما قرأ على ثعلب والمبرد، واليزيدي وأبي العيناء . وذكر له ابن اسحق النديم من الكتب : الأنواء، الجراد، الحُداء، التثنية والجمع، المهذب، تفسير رسالة كتاب سيبويه [2] .

5. ابن دريد (321هـ / 933م) : أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي، ولد بالبصرة سنة (223هـ / 838م) ، وفيها تأدب وعلم اللغة وأشعار العرب . وكان من أكابر علماء العربية، شاعراً كثير الشعر، وكان واسع الرّواية، ما رأى الرواة أحفظ منه، وكان يقرأ على عمّه الحسين بن دريد دواوين العرب . حدّث أبو علي التنوخي قال : " حدثني جماعة أنّ ابن

---

(1) م . س . ، 3/ 462 . م . س . ، 18/ 198

البغية ، 1/ 110 . ابناه الرواة ، 3/ 145 .

(2) معجم الأدباء ، 13/ 246 – 257 .

دريد قال : كان أبو عثمان الأشناندانى معلمّي، وكان عمي الحسين بن دريد يتولى تربيتي " . وقد جاء في النصوص المختلفة ما يثبت تلمذة الآمدي لابن دريد وأخذه عنه، من ذلك ما أورده ابن الانباري حيث قال : " حكى أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال: سألت أبا دريد .. وفي ترجمة لأحد الشعراء، قال الآمدي : شاعر أنشد ناله أبو بكر بن دريد " . وحكى أبو القاسم الحسن بن بشر : " سألت أبا بكر بن دريد عن الكاغد فقال : يقال بالدّال المهملة وبالذال المعجمة وبالظاء المعجمة " . وقد قيل أن أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء، ومن تلاميذه أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني المتوفى سنة (384هـ / 994م) . ولابن دريد من الكتب : الجمهرة في اللّغة، الأنواء، الملاحق، أدب الكاتب، المقتني، المجتني، السرج واللّجام، الاشتقاق، الخيل الكبير، الخيل الصغير، اللغات، السلاح، غريب القرآن، رواة العرب، ما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حفظاً، المقتبس [1] .

6. نفطويه (323هـ / 935م) : ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب ابن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي الواسطيّ، ولد بالبصرة في سنة (244هـ / 958م) . قال عنه ياقوت : " كان نفطويه عالماً بالعربية واللغة والحديث، لأخذ عنه ثعلب والمبرد، حافظاً للقرآن، فقيهاً، مسنداً للحديث، حافظاً للسير وأيام الناس والتواريخ والوفيات . وقال الزبيدي : " كان نفطويه أديباً مفتناً في الأدب، حافظاً لنقائض جرير والفرزدق، وشعر ذي الرُّمة وغيرهم، وكان يروي الحديث، وكان ضيقاً في النحو . روى عنه المرزباني والأصبهاني وابن حيّوية، وذكره المرزباني في

---

(1) ابناه الرواة ، 3/ 93. نزهة الألباء ، 191-193.الفهرست،91- 92
بغية الوعاة ، 1/ 76 - 81 معجم الأدباء ، 18/ 127 - 143

المقتبس . وذكر له القفطي من المصنفات : التاريخ، الإقتضابات، غريب القرآن، المقنع في النحو، الاستيفاء في الشروط، الأمثال، الشهادات، كتاب يُبطل الاشتقاق، كتاب الردّ على من قال بخلق القرآن، الردّ على المفضّل في نقضه على الخليل . وأضاف ابن اسحق النديم إلى هذه المصنفات : البارح، الوزراء، الملَح .

ومما يؤكد تتلمذ الأمدي لنفطويه من ذلك ما جاء في ترجمة أعشى قيس إذ يقول الآمدي : " كان أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي المعروف بنفطويه أملى علينا أسماء الأعاشي فذكر ثمانية منهم أعشى قيس بن ثعلبة " .

وقد ذكر ياقوت بأنه كان بينه وبين ابن دريد مناظرة فهجاه [1].

تلاميذ الآمدي :

ذكرت المصادر بعضاً من تلاميذ الآمدي منهم :

1. أبو الحسن علي بن دينار [2] . وقد ورد اسمه على صدر كتاب المؤتلف والمختلف، رواه عن الآمدي للشيخ أبي غالب بن بشران [3] .

---

(1) نزهة الألباء ،194-196 وفيات الأعيان،1/11البغية،12/ 42 - 429 انباه الرواة ، 211 - 217 . معجم الأدباء ، 1/ 254 - 272 .

(2) معجم الأدباء ، 14/ 248

(3) أبو غالب محمد بن سهل بن بشران، من أهل واسط، أحد الأئمة المعروفين والعلماء المشهورين، تجمع فيه اشتات العلوم، وقرن بين الرواية والدراية والفهم وشدة العناية، صاحب نحو ولغة وحديث واخبار ودين وصلاح ، توفي بواسط (462هـ / 1069م) أخذ العلم عن كثير منهم : أبو الحسن علي بن محمد بن دينار الكاتب . م . ن .، 17/214 - 224 .

2. وقد ترجم له ياقوت فقال : " علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب، بصري الأصل، واسطي المولد والمنشأ، كان شاعراً مجيداً، شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة وابن العميد، أخذ العلم عن السيرافي وأبي علي الفارسي، وقرأ على الأصفهاني في كتاب الأغاني " .

وقال عنه أيضاً : " .. وقد سمع أبو غالب محمد بن بشران عن ابن دينار كثيراً، فروى عنه كتب الزّجاج، وروى عنه مصنفات ثعلب عن أبي بكر محمد بن الحسن، وروى له كتب ابن السّكيت وابن قتيبة، وروى له كتاب الجمهرة لابن دريد، كما قرأ على أبي الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني " . كما عدّد كتباً كلها للآمدي عن ابي جعفر بن محمد بن قتيبة عن أبيه، وروى له كتب الآمدي جميعها عنه، وقد ولد ابن دينار سنة (223هـ / 837م) ، وتوفي سنة (409هـ / 1017م) .

وذكر أن القاضي أبا الفرج محمداً بن عبد الله بن الحسن البصري، قال: " سألت الشيخ ابن بشران عن اسناده في كتابه الحماسة، فقال : قرأتها على أبي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار عن أبي القاسم الآمدي الكاتب عن أبي المطرف الأنطاكي عن أبي تمام " .

3. عبد الصمد بن حُنيش [1] : قام ياقوت بذكره في صدر ترجمة لأبي القاسم الحسن بن الآمدي حيث قال : " وجدت كتاب القوافي للمبرد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في اسناده أنّ عبد الصمد بن حُنيش قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة (371هـ / 981م) .

---

(1) م . ن . ، 8/ 78

3. أبو علي، عبد الكريم بن الحسين بن حكيم السّكري النحـــوي اللغـــوي، ذكره الخطيب التبريزي في شرح ديوان أبي تمام، وذكر رواية شـــعر أبـــي تمام عن أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي .

صلة الآمدي بابن العميد : أما في مجال الحديث عن صـــلة الآمـــدي بابن العميد فيقول ياقوت في ترجمته لحياة الآمدي : " .. وجدت خطّه علـــى كتاب تبين قدامة بن جعفر في نقد الشعر، وقد ألفّه لأبي الفضل محمـــد بـــن الحسين بن العميد، وقد قرأه عليه، وكتب خطّه فـــي ســـنة خمـــس وســـتين وثلاثمائة " . فلم يكن عجيباً أن يجمع حب الأدب ونقده بين الآمـــدي وابـــن العميد، وهنالك أذواق مشتركة في النقد

والأدب، لا بدّ وأنها قوّت من الصلاّت الأدبية بينهما، فإن اهتمامهما بشعري ابي تمام والبحتري، وميلهما إلى طريقة البحتـــري الـــشعرية، واعجابهمـــا بالجاحظ اقتفاء أثره في تأليف الكتب وتصنيفها دواع إلى التفـــاهم وتوثيـــق الصلات الأدبية بينهما .

مؤلفات الآمدي :

قامت شهرة الآمدي على تركته من التصانيف المختلفة الجليلة، ولـــم تكن هذه مصنفاته كلها، وإنما ذكر القدماء ما اقتدروا عليه منها .

ومن خلال هذه المؤلفات يمكننا القول أن الآمدي قد تمّهر فـــي علـــم الشعر، وأحاط بدقائق اللغة وأسرار بيانها، وجمع إلى ثقافته العربية زاداً من الثقافات الأجنبية . وجاءت مصنفاته تشهد على ذلك، فكان معظمها في نقـــد الشعر، وكان بعضها في اللغة والنحو، كل ذلك يدل على معرفـــة الآمـــدي بثقافات عصره .

كما تدل كتبه على ولعه بالشعر، دارساً له، ومؤرخاً لذويه، وناقداً للمتخصصين من نحلة الشعر واسرة الأدب . كما أن معظم هذه الثروة التي خلّفها، والتي صبّ فيها حصيلة معارفه في نقد الشعر، وفي الأدب، وفي اللغة وفي النحو مفقود . وبفقدانها فإن المكتبة العربية ومكتبة النقد الأدبي فيها بخاصة، تفتقد أغزر مصنّفاتها علماً وأعمقها فناً، وليس بين أيدينا من هذه الثروة غير كتابي، المؤتلف والمختلف، والموازنة بين الطائيين . أما بقية تركته من المصنفات فمفقود نذكر منها :

1. معاني شعر البحتري
2. كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام .
3. شرح الحماسة لأبي تمام وقد انفرد البغدادي بذكره
4. متنخل القبائل .
5. في آن الشاعرين لا تتفق خواطرها
6. الخاص والمشترك
7. نثر المنظوم
8. فعلت وأفعلت
9. فيما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ
10. الحروف من الأصول في الأضداد . وقد ذكر ياقوت بأنه راى هذا الكتاب بخط الآمدي في نحو مائة ورقة
11. تفضيل شعر امرؤ القيس على شعر الجاهليين . وقد أشار له في الموازنة
12. الأبيات المفردة
13. ديوان شعره ، وقد بلغ نحو مائة ورقة كما ذكر ياقوت
14. في تفسير معاني شعر أبي تمام ، وقد انفرد ابن المستوفي بذكره

15. بنو نصر بن معاوية
16. تبين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر ، وقد أشار الآمدي إلى هذا الكتاب في موازنته ، كما ذكر ياقوت بأن الآمدي قد ألفه لابن العميد ، وقد قرأه عليه ، وكتب خطّه في سنة (365هـ / 975م)
17. في شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه
18. شرح ديوان المسيب بن علّس، وقد انفرد السيوطي بذكره
19. الأمالي ، وقد انفرد الحريري بذكره .
20. معجم الشعراء ، وقد أشار إليه بروكلمان نقلاً عن التيجاني في التحفة ص (179) .
21. الرِّباب ، وقد ذكره الآمدي في كتابه المؤتلف والمختلف .
22. الشعراء المشهورين ، وقد أشار إليه الآمدي في أكثر من مكان في كتابه المؤتلف والمختلف .
23. بنو ذهل بن معاوية . وقد ذكره في المؤتلف والمختلف أيضاً [1] .

فمن جملة مصادره في كتابه الموازنة التي اعتمدها نجده وكأنه تعمد اختيار الكتب والمصادر التي تغض من شأن أبي تمام وترفع من قدر البحتري . حتى أن شيوخه الذين تلقى المعرفة والعلوم على أيديهم كانوا في معظمهم ممنّ يتعصبون على أبي تمام ويناصرون البحتري، حتى أننا نجد أن الصولي في كتابه أخبار أبي تمام، والذي يناصر أبا تمام نتيجة للهالة والتمجيد الذي وصفه فيها، نجده قد غضّ من شأنه من حيث لا يدري .

---

(1) انباه الرواة ، 1/ 322 – 323 . البغية ، 1/ 501
معجم الأدباء ، 8/ 85 – 90

والآمدي قد أخذ عن الأخفش والزجاج والحامض وابن السراج وابن دريد ونفطويه ، وهؤلاء من هم أخذوا عن غيرهم ، فنجد أن الأخفش قد أخذ عن ثعلب والمبرد، وأن الزّجاج كان ملازما للمبرد، وأن ابن السّراج قد أخذ عن المبرد، وأن ابن دريد قد أخذ عن ثعلب والمبرد، والمبرد قد تتلمذ عن الجاحظ . فبعد أن أصبح المبرد إمام النحويين البصريين بعد المازني تتلمذ عليه الصولي والزّجاج ونفطويه وابن السّراج والأخفش وابن المعتز . كما أن المبرد كان صديقاً للبحتري ويغضون من شأن أبي تمام .

وفـــاتـــه :

ذكر السيوطي في بغية الوعاة أن وفاته كانت سنة (371هـ / 981م) ، وقد استند السيوطي على ما ذكره ياقوت في معجم الأدباء، علماً أن ياقوت في معجمه ذكر أن وفاته كانت سنة (370هـ / 980م) ، حيث يقول في ترجمته للآمدي : " وفي تاريخ هلال بن الحسن في هذه السنة يعني في سنة سبعين، مات الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة)) .

وقد ذكر القفطي في انباه الرواة أن وفاته كانت في سنة (370 / 980). كما ذكره في الفهرست وقال : " يكنّى أبا القاسم من أهل البصرة قريب العهد وأحسبه حيّاً " [1] . والنديم قريب العهد به وقد عاش في القرن الرابع الهجري، وتوفي في سنة (400 / 1009) . وفي مقدمة كتاب، الموازنة " . ذكر أنه توفي سنة (370هـ) . كما ذكر الدكتور إحسان عباس أن وفاته (370 / 980) استناداً إلى الفهرست ومعجم الأدباء . كما ذكر الدكتور داوود سلّوم في كتابه ، مقالات في تاريخ النقد العربي " أن وفاته سنة (370

/ 980) . وأرجح القول أن وفاته سنة (370 / 980)؛ لأنّ معظم كتب التراجم قد أجمعت على ذلك، وأن معظم مؤلفيها كانوا قريبي العهد به .

إنّ نقد الآمدي قريب من نقد ابن قتيبة، ورؤيتهما تكاد تكون واحدة، على أنّ الآمدي أشدّ أيضاحاً لرؤيته النقدية في الموازنة، وأقرب إلى الإيجاز والاتكاء على المصطلح النقدي في كتابه " المؤتلف والمتلف " .

وقد أثار الآمدي الكثير من القضايا النقدية، وممّا يهمنا هنا ما أثاره ابن قتيبة في مسألة الطبع والصنعة، وشعر العلماء، وما يتبع ذلك من قضايا اللفظ والمعنى، ممّا يوضّح نقد ابن قتيبة، وبيّن شيئاً من نقد الآمدي، مما قد يكون من آثار أخذِه عن ابن قتيبة، إضافة إلى ذكرِ ما تشابه من المصطلحات النقدية بين الناقدين .

وقد نظر الآمدي إلى المطبوع من الشعراء من خلال صفات شعره فقال : " والمطبوع الذي هو مستوى الشعر قليل السقط لا يبيّن جيّده من سائر شعره بينونة شديدة، ومن أجل صار جيد أبي تمام معلوماً وعدده محصوراً ".

إن قرب المسافة بين جيد شعر الشاعر وسائر شعره على اختلاف طبقاته من دوال الطبع عند الشاعر، وهذا ما يفسّر قول البحتري : " جيّده خير من جيّدي، ورديئي خير من رديئه " [2] . فكان بقرب رديئه من جيّده خيراً من أبي تمام عند أنصار الطبع لضيق المسافة بينهما ، ولبعدها بين رديء شعر أبي تمام وجيّده .

ومن صفات الطبع عند البحتري قال الآمدي : " لأنّ البحتري أعرابي الشعر، ومطبوع وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنّب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام، فهو بأن يقاس بأشجع

---

(1) الفهرست ، 221 . (1) الموازنة ، 15 .

السّلمي، ومنّصور النمري، وأبي يعقوب الخريمي المكفوف، وأمثالهم من المطبوعين أجدر وأولى " [1] .

فهذا البحتري في شعره سهل الكلام قريبه ، صحيح السبك ، حسن العبارة، حلو اللفظ ، كثير الماء والرونق ، فعلاقة الطبع الدّالة على السماح به ؛ إنّما هي في شعر الاعراب الذين يجهلون علوم الشعر ويقولونه ابتداء من غير إصلاح ولا تكلف له وهذا مظهر الطبع في الإنسان ، وفي الشعر يظهر السماح باجتناب التعقيد ، ومستكره الألفاظ ، والبعيد عن الكلام في صورة لفظه أو في معناه ، والسير على هدي الشعراء المطبوعين ومذاهبهم في اتباع عمود الشعر بعناصره السبعة التي عدّها الآمدي ووضحها الجرجاني وهي :

شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، الإصابة في الوصف ، المقارنة في التشبيه.

التحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ، مناسبة المستعار منه للمستعار له ، مشاكلة اللفظ وشدّة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما[2] .

ويزداد مفهوم الطبع وضوحاً إذا تعرفنا إلى مذهب الصنعة والتكلف عند أبي تمام، قال أبي تمام ، قال الآمدي : " ولأن أبا تمام شديد التكلّف ، صاحب صنعة، ويستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولّدة فهو بأن يكون في حيّز مسلم بن الوليد ، ومن هذا حذوه ، أحق وأشبه [3] .

---

(1) م . ن . ، 11 (2) إحسان عباس ، تاريخ النقد ، 404 – 405

(3) الموازنة ، 11

ومن دلائل الصنعة عند أبي تمام غموض المعاني أو إشكالها ، وذلك في قول الآمدي ذاكراً أبا تمام : " ومثل من فضل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها ، وكثرة ما يورده ممّا يحتاج إلى استنباط وشرح ، واستخراج، وهؤلاء أهل المعاني ، والشعراء أصحاب الصنعة ، ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام [1] .

ويقول : " وإن كنت تميل إلى الصنعة ، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوي على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لامحالة " [2] .

والطّبع أساس تجويد الشعر عند الآمدي عندما أشار العلماء كالخليل والأصمعي والكسائي، التي لم تكن بالغة مبلغ أشعار غيرهم ممّن لا يعلمون الشعر، فبذلك يكون قد نفى كون العلم بالشعر مصدره تجويده . قال الآمدي : " قال صاحب البحتري : فقد كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً، وكان الأصمعي عالماً شاعراً، وكان الكسائي كذلك، وكان خلف الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء ؛ فقد كان التجويد في الشعر ليست علّته العلم، ولو كانت علته العلم لكان كلّ من يتعاطاه من العلماء أشعر ممّن ليس بعالم " [3] .

والطبع عند ابن قتيبة في قوله : " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأدرك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبيّنت على شعره رونق الطّبع ووشي الغريزة " بينما يرى أن التكلف رديء الصنّعة، وهو ليس من الشعر في شيء ؛ لأنّه نظم جافٌ خالٍ من السّماحة والعذوبة ورقة الطبع، والافتعال فيه ظاهر وبيّن، ... والتكلف المقصود هو

---

(1) م . ن . ، 10 (2) الموازنة ، 11 (3) م . ن . ، 25

تثقيف الشعر وتنقيحه، فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ونقّحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر به النظر، وهناك فرق بين الصنعة والتكلف كبيرة إذ في الصنعة قدرة وحنكة وجمال، وفي التكلف قصور وعدم اكتمال وقبح" .

ويطالب ابن قتيبة الشعراء بالمحافظة على نهج القدماء في بناء قصائدهم وتسلسل موضوعاتهم الشعرية، يقول : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين " [1] .

وقد ظهرت عند الناقدين (الآمدي وابن قتيبة) مصطلحات مشتركة كقولكم : أُخذ على، عيب على، شاعر محسن، وهو القائل، شاعر مشهور، قصيدة جيّدة، قصيدة مشهورة، شاعر خبيث، شاعر مجيد .

قال الآمدي : " وأخذ على الأعشى قوله :

وقد غدوتُ إلى الحانوتِ يتبعني شاوٍ شلولٌ مشلٌّ شلشل شولُ[2]

وقالوا : هذه الألفاظ كلها التي بعد شاوٍ (الذي يشوي اللحم) متقاربة في المعنى بمعنى الخفيف في العمل والخدمة والحاجة " فالآمدي لم يخرج كثيراً على نقد ابن قتيبة، وقد استفاد منه في نقده .

---

(1) الشعر والشعراء ، 8 – 9

(2) م. س . ، 40

الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز

لا نستطيع أن نفهم الرجل إلاّ إذا فهمنا العصر، فعصره رغم ما كان فيه من تفّرق واضطراب واستبداد بويهي سياسي، وخراب اقتصادي، وتفكك وانحلال اجتماعي، فقد وصف بأنه : " من أنضر حقب التاريخ العربي في الآداب والعلوم والفنون " [1] . ويقول فيها الدكتور افرام بعلبكي : " وهي أغنى مراحل تاريخ الفكر العربي نقلاً وتقليداً وخَلْقاً وابتكاراً على كل صعيد، بل هي المرحلة الذهبي–ة في تاريخ الفكر العربي " [2] .

ففي هذا العصر، نضجت الثقافة العربية الاسلامية، وساعد على نضوجها ما نُقل إلى العربية من التراث الاغريقي والفارسي والهندي، وتحوّلت هذه المرحلة من مرحلة نقل إلى مرحلة إبداع ونضج وعطاء، ناهيك عما قام به أمراء الأقاليم من اجتذاب للطاقات الإبداعية من العلماء والأدباء والشعراء، وإكرامهم الكرم الذي يليق بهم، وخلق عامل التنافس فيما بينهم ضمن الإقليم الواحد، والأقاليم المجاورة، تدفعهم لذلك أطماع سياسية تتمثل في محاولة كل أمير أن يجمع أكبر قدر منهم للإشادة بذكره، ونشر فضائله، وهذه الأسباب أدّت إلى إحداث أثر طيّب في تنشيط الحياة الثقافية .

---

(1) الثعالبي، اليتيمة ، 1 / 4 . من كلام كاتب مقدمة اليتيمة الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد .

(2) افرام بعلبكي ، مدخل إلى تاريخ الفكر العربي ، 248 .

ومن أهم كتاب هذا العصر – ابن العميد [1] والصاحب بن عباد – اللّذان وقفا على رأس أدباء النعيم والترف، واضعين الحياة المترفة اللاهية التي كانوا يحيونها، وبالمقابل كان هناك فئة معدمة لها أدبها الخاص بها الذي يُصور كديتها وتسوّلها ووقوفها بالأبواب، قانعين بالشكوى وذم الزمان، آنفين من ذلّ السؤال وكان أدب هذه الفئة ذا نغمة حزينة تعبّر عما تكنّه أنفسهم من آلام وأحزان،

---

(1) هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوحد العصر في الكتابة، وجميع أدوات الرياسة، وآلات الوزارة، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية، يدعى الجاحظ الأخير، والأستاذ، والرئيس، يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها، إلى براعة المعاني ونفاستها، وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب – وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها – بغداد في البلاد، كالأستاذ في العباد . وكان يقال : " بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد " . م . ن . ، 3 / 154 – 155

اللاهين العابثين، والمعدمين الغارقين في همومُهم وأحزانهم وآلامهم، يقول السّري الرفاء [1] :

ألذّ العيش إتيانُ الصّبيح وعصيان النّصيحة والنّصيح
وإصغاءٌ إلى وترٍ وَناي إذا ناما على زقٍّ جَريح

فالأدب قد صور هذه الحياة المتحللة المتفسخة تصويراً غاية في الروعة والمتعة، فالأدباء وجدوا أنفسهم قد وضعوا ضمن إطار الحياة الاجتماعية بما كان يشيع فيها من تحضرّ وترف وشغف بالغناء وإغراقا في المجون والزندقة والزهد والنسك كما انطلق الشعراء يصوّرون مجالس الشراب والأنس والرياض والأنهار والرّبيع، حيث خلصوا لبيئتهم وأنطلقوا ما كن فيها من بهاء وروعة .

---

(1) أبو الحسن السّري بن أحمد الكندي، المعروف بالرّفاء، يقول عنه الثعالبي : صاحب سرّ الشعر الجامع بين نظم عقود الدرر، والنفث في عقد السحر، ولله ما أعذب بحره، وأصفى قطره، وأعجب أمره ! وقد أخرجت من شعره ما يُكتب على جبهة الدّهر، ويعلّق في كعبة الفكر " .

ويتابع قوله : " بلغني أنه أسلم صبياً في الرفائين من الموصل، فكان يرفو ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب وتكسّب بالشعر، نابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العداوة، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره، اتصل بسيف الدولة واستكثر من المدح له " . ويقول أيضاً : " قرأت في كتاب الوساطة للجرجاني أبياتاً أنشدها السّري في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ :

أقول لحنان العشاء المغرد يهز صِفح البارق المتوقد
تبسم عن ري البلاد صبيبه ولم يبتسم إلاّ لإنجاز موعد

الثعالبي ، اليتيمة ، 2 / 117 - 120

وفي هذه الظروف طلع علينا الأديب الناقد القاضي الجرجاني، الذي اقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً وفي الكلام عالماً، والذي أكثر من التطوف وسمع على شيوخ عصره ، فأقبل على الحياة يعبّ منها من ينبوع العلم والخمر في آن واحد، علم جمع فيه حصيلة من المعارف والعلوم، وضعته في مراتب العلماء والأدباء الأجلاء، ولهو عابث قاده إلى الغرق في الملاذ الحسّية كالخمر والغزل بالغلمان دون تحشّم ولا تحرّج، وهذا ما يوضح لنا من خلال استنطاقنا شعره الذي يصور فيه ألوانا من الحنين والغزل، حنين إلى أيام صباه ومجالس الشراب واللّهو في بغداد، التي أصبحت مجالسها عنده مجرد ذكرى، كثيراً ما حاول نسيانها، إضافة إلى غزله الفاحش بالمذكر، فهو لا يستطيع آلان الهروب من واقع حياته المليء بالهموم والقلق والاضطراب، وخصوصاً حينما يرى الناس في عصره غرقى في همومهم وأحزانهم وفقرهم وبؤسهم، فالكبير منهم ملاحق يخشى على نفسه القتل والخلع، والفقير غارق في بؤسه وشقائه، الأمر الذي جعل الطرفان يغرقان في الخمر متخذين ذلك وسيلة للهروب من واقعهم .

ومما زاد نفس الجرجاني ألماً، أنه رأى العلماء والأدباء الأجلاء يقفون على الأبواب، أذلاء، يلقون كرامة العلم من أجل مال أو سلطان، فكان هذا دأبهم، وهذه حالهم، في الوصول إلى المنصب والغنى، وهذا ما جعل نفس القاضي الأدبية وطبعه الأصيل، يؤثران الفقر والحرمان والخذلان، فابتعد عن الناس والسلطان، وحرّم نفسه من الأموال والأعطية، وعاش في عوز يحلم في لقاء صاحب سلطان نبيل يقدّر العلم والعلماء، ويمدّ لهم يد العون، يقول مصوّراً حال العلم والعلماء : [1]

---

(1) م . س . ، 4 / 23

يقولونَ لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذّل أجحما
وما زلتُ منحازاً بعرضي جانباً من الذم أعـــــتد الصّيانة مغنما
إذا قيل هذا مشربٌ قلتُ قد أرى ولكـــــنّ نفسَ الحرِّ تتحملُ الظما
ولم أقضِ حقّ العلم إن كان كلما بـــــــدا طمع صيرتهُ لي سلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخـــــدم مَنْ لاقيت لكن لأُخدما

ووجد العون في شخص الصاحب بن عباد الذي عينّه قاضياً للـــري، وجمعت بين الصاحب والقاضي صلة مودة وصداقة، تلـــك الـــصداقة التـــي أعادت لنفسه حبه للناس بعد أن كان نفر منهم وآثر اعتزالهم، الأمـــر الـــذي جعله في ذلك الوقت ،

– قبل التقائه بالصاحب – ان يُكبَّ على الكتب فنجده يقول في ذلك : [1]

ما تطعمتُ لذةَ العيشِ حتى صرتُ للبيتِ والكتابِ جليسا
ليسَ شيءٌ أعزّ عندي من العلم فلـــــــــم أَبتغي سواهُ أَنيسا
إنما الذّلُ في مخالطةِ الناسِ فـــدعهم وعشْ عزيزاً رئيسا

(1) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، 14/ 19 – 20

والصاحب بن عباد [1] كان قد عمل رسالة في اظهار مساوئ المتنبي، الأمر الذي جعل الثعالبي في رأيه : " أنه ألف الوساطة لكي يرد على ابن عباد، حيث أراد أن يؤيد ما هو صحيح من الهجمات التي وجهت إلى الشاعر، وبيّن أيضاً ما يستحقه بجدارة من مدح المعجبين به " .

والصاحب ليس إلاّ أحد الحوافز التي دفعت القاضي إلى تأليف وساطته، أما الحوافز الأخرى فتمثلت في قيام حركة نقدية تمثلت في أشخاص أبي تمام والبحتري والمتنبي .

مولد الجرجاني ونشأته :

أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن اسماعيل الجرجاني، قاضي الرّي في أيام الصاحب بن عباد، ولد سنة

---

(1) أبو القاسم اسماعيل بن عباد الوزير المشهور بالصاحّب، قيل : لقب بذلك لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا، وسمّاه الصاحب، فاستمر عليه هذا اللقب، واشتهر به، كان عزيز الفضل، متفنناً في العلوم، آخذ عن أبي الحسين أحمد بن فارس، وابن العميد، أخذ عن رواة المبرد، وكتب عن أصحاب ثعلب . وكان ذا بلاغة وفصاحة، سمح القريحة . يقول عنه ابن النديم : " أبو القاسم أوحد زمانه، وفريد عصره في البلاغة والفصاحة والشعر " . توفي في خلافة العادل في سنة (385هـ / 995م) . من مصنفاته : الوقف والابتداء ، العروض، جوهرة الجمهرة، الأخذ على أبي الطيب المتنبي، الرسائل ، الامامة، الوزراء، المحيط، الأعياد وفضائل النيروز .

النديم ، الفهرست ، 194 القفطي ، انباه الرواة ، 1/ 236

ابن الانباري ، نزهة الالباء ، 238 – 240

(290هـ/902م)، ذكره الحاكم أبو عبد الله بن البيّع في تاريخ نيسابور قال : " ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر،وأبو الحسن قد ناهز الحُلُم، فسمعا معاً الحديث الكبير"[1] . ويقول عنه الثعالبي : " حسنة جرجان، وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة . العلم، ودرّة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة، إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري، وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه " . ويقول أيضاً : " واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً وفي الكلام عالماً" [2] أما ابن خلكان فيقول عنه : " وكان القاضي شاعراً وناثراً، له ديوان شعر كثير " [3] . ويذكره ياقوت في كتابه معجم البلدان : " أنه ولد بجرجان، البلدة التي خرجت كثيراً من العلماء ... كما قال عنه أيضاً : " وكان أديباً أريباً كاملاً " [4] . وذكره أبو اسحق الشيرازي في كتابه طبقات الفقهاء وقال : " له ديوان شعر " أما المرحوم طه ابراهيم فيقول عنه : " وكان أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، قاضي الرّي في أيام الصاحب بن عباد، وقد جاب الأرض، وزار العراق والحجاز والشام، وكان شاعراً من المجيدين، وكاتباً فحلا " [5] .

---

(1) م . س . ، 14/ 15

(2) م . س . ، 4/ 3

(3) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1/ 408

(4) م . س . ، 14/ 34

(5) طه ابراهيم ، تاريخ النقد الأدبي ، 151

أما حياته فتركزت في أمور ثلاثة :

1. صلة الود والصداقة بينه وبين الصاحب بن عباد، إذ كان الصاحب لا يترك مناسبة تمر دون أن يعبر فيها القاضي عن حبه وتقديره، حدّث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال :سمعت القاضي أبا الحسن يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب، وذلك قبيل العيد، فجاءني رسوله بعطر الفطر، ومعه رقعه بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسي لهُ مع قرب عهدِ لقائهِ مشتاقة
أهديت عطراً مثل طيبِ ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقه

قال ، وسمعته يقول : " إن الصاحب يقسم لي من اقباله واكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي، وتواضعه لي فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمده من فعلك الحسنِ
فالعزُّ مطلوب وملتمسٌ وأعزّه ما نيل في الوطنِ

وعندما اراد القاضي مغادرة الرّي إلى جرجان في زيارة سريعة، وجدنا الصاحب يبادر بالكتابة إلى حسام االدولة أبي العباس تاش الحاجب، معرّفا بأبي الحسن، ومشيداً بفضله . وقد عرف القاضي أبو الحسن للصاحب كيف يجزيه عن ودّه، ويكافئه عن تحفيه به، فسيّر فيه مدائح يقول فيها الثعالبي : " أخلصت عن قصد ، وأتت من فرد ، وما فيها إلا صوب العقل، وذوب الفضل " . ومن قوله فيه يهنئه بالبرء من المرض : [1]

أفي كلِّ يومٍ للمكارمِ روعةٌ لها في قلوب المكرمات وجيبُ

---

(1) الجرجاني الوساطة ، هـ – و

إذا ألمتْ نفسُ الوزير تألمت لها أنفس تحيا بها وقلوبُ
وليس شحوباً ما أراهُ بوجههِ ولكنّه في المكرماتِ ندوبُ

ومما يوضح صلة الجرجاني بالصاحب ما ذكره الجرجاني من خلال فصلي كتاب " تهذيب التاريخ " حيث أبان في غرضه الثاني من الكتاب وهو الغرض الدنيوي أنه أراد من ذلك أن يحظى بذكر اسمه عند الصاحب بن عباد وكلّما مرّ ذكر هذا الكتاب ؛ إذ " لولا عنايته لما صدقت النيّة، ولولا إرشاده لما نفذت العظمة " [1] .

2. اضطراره إلى الإتصال بالمسؤولين ومدحه لهم، ويبدو في هذا المدح التكلف والصنعة، فمدح أبا مُضر محمد بن منصور، ودلير بن يشكروز، قابوس بن وشكمير، وشيرزاد بن سرخاب .

يقول في ابي مضر محمد بن منصور :

إذا استشرفتْ عيناك جانبَ تلعةٍ جلت لك أُخرى من رباها جوانبا
يضاحكنا نوارها فكأنما نغازل بين الرّوض منها حبائبا
تبسم فيها الأقحوان فخلتُهُ تلقاك مرتاحاً إليك مداعبا

وفي دلير بن يشكروز يقول :

وما أقيم بدارٍ لا أعز بها ولا يقرّ قراري حيث أتبذلُ
وقد كفاني انتجاعُ الغيث معرفتي بأن دلير لي من سيبه بدلُ

ويقول في الأمير شيرزاد بن سرخاب :

ألم تر أنواء الربيع كأنما نشزن على الآفاق وشياً مُذهبا
فمن شجر أظهرت فيه طلاقةً وكان عبوساً قبلهن مقطبا

---

(1) الوساطة ، المقدمة ، هـ - و

ومن روضة قضى الشتاء حدادها فوشحن عطفيها ملاء مطيبا
سقاها سلاف الغيث ريّا فأصبحت تمايل سكراً كلما هبّت الصبا
كأن سجايا شير زاد تمدُّها فقد أمنت من أن تحول وتشحبا

أما الامير شمس المعالي قابوس بن وشكمير فله من الجرجاني النصيب الوافر إذ يقول فيه :

ولما تداعت للغروب شموسهم وقمنا لتوديع الفريق المغربِ
تلقين أطراف السجوف بمشرق لهن وأعطاف الخدور بمغربِ
فما سرنَ إلاّ بين دمع مضيّع ولا قُمن إلا فوق قلب معذبِ
كأن فؤادي قرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتأشبِ [1]

وهو في مدائحه لا يستمد من طبعه، ولا يستلهم من وجدانه، بل ينظر إلى الطبيعة الصامتة حوله فينتزع منها أوصافاً لممدوحيه .

الحنين إلى أيام الشباب في بغداد، لقد رسخت أيام بغداد في خاطره وخياله، بل ما فيها من خصب وعنف ، فقد كان أيامها شاباً يُقبل على الحياة إقباله على العلم، وهو في شعره هنا يبدو شره الحواس، مفتوناً بالجمال، يتغزل غزلاً فاضحاً دون تحرجّ، وشعره الغزلي مقصور على الغلمان، وكان ذلك بسبب كثرة الرقيق من الغلمان، ودور الهو، ومجالس الشراب، فهو يتغزل يستهويه دلاله، واعتدال قامته، وفتور عينيه ودعجهما فيقول : [2]

يا قبلة نلتها على دهش من ذي دلال مهفهف غنجِ
قد حير الخشف غنجَ مقلتهِ والورد توريد خدهِ الضرجِ
قل لهما يرفقا بقلب فتى طويت أحشاءه على وهجِ

---

(1) الثعالبي ، اليتيمة ، 4/ 15 – 16 (2) م . س . ، 4/ 11

وأبو الحسن ابن عصره، أقبل على شرب الخمر إقبالاً لفوق ما كان عليه العرب في جاهليتهم، ثم يتذكر أيام شبابه التي لم تبرح خاطره وخياله قائلاً : [1]

أراجعةٌ تلك الليالي كعهدها إلى الوصل ام لا يرتجى لي رجوعها
وصحبة أقوامٍ لبست لفقدهم ثياب حدادٍ يستجد لي خليعها
بجانب الكرخ من بغداد لي سكن لولا التجملُ لم أنفك أندبُه
في كل يوم لعيني ما يؤرقها من ذكره، ولقلبي ما يعذبه

شخصية أبي الحسن عاشت في عصر متناقض بين القوة والضعف، القوة التي تمثلت في ازدهار ونضج الثقافة العربية الاسلامية، وما كان من نقل العربية من التراث الاغريقي والفارسي والهندي، إذ تحولت هذه المرحلة من نقل إلى إبداع وعطاء، إضافة إلى أن الأدباء والشعراء قد ساهموا في نضج وازدهار هذه الفترة بسبب ما قام به أمراء الأقاليم نتيجة أطماع سياسية من جذب لهم للإشادة بذكرهم ونشر فضائلهم، ومرحلة الضعف التي أصابت تلك الفترة بالإنحلال والتفكك الإجتماعي، والتفرق السياسي، والخراب الاقتصادي، مما حدا بفئة من المجتمع أن تغرق نفسها في ملاذ حسّية كالخمر والغزل بالغلمان، هذه الفئة التي ضعف الوازع الديني لديها وباعت نفسها للشيطان، الأمر الذي جعل النقاد والمؤرخين يصفون هذا العصر بأنه عصر مجون وتهتك، ولكنه في نظري عصر إزدهار ونضج، بل هو المرحلة الذهبية في تاريخ الفكر العربي، فهذه الجماعة من الغزليين والإباحيين لا يمثلون عصرهم بل يمثّلون حركة الشعوبية

---

(1) م . س . ، المقدمة ، ص – ز . ياقوت ، معجم الأدباء ،14/27– 29
م . س . ، 4/ 13 . الثعالبي ، خاص الخاص ، 187 .

الزاحفة على الفكر الاسلامي لتدميره، كما أثرت حركة الترجمة والنقل تأثيراً ايجابياً، فقد أثرت المفاهيم الأصلية على الفكر الاسلامي تأثيراً سلبياً، حيث لم تلبث أن أصيبت بشيء من الانحراف بسبب ما نقل التراث اليوناني والفارسي والمسيحي، وما حمله دعاة الشعوبية من آراء منحرفة عن اللذات والجنس والإباحة مما حفلت به فلسفات اليونان والمجوسية والمانوية وغيرها من المذاهب، وهذا أدى إلى اضطراب الأدب وجنوحه إلى الغزل الجنسي وغزل المذكر والانغماس في مجالس اللهو والشراب، وهذا ما جعل دعاة التغريب والمبشرون والمستشرقون يحاولون تزييف طبيعة الفكر الاسلامي والأدب العربي، فلا نستطيع أن نحكم بمرحلة من المراحل ونأخذ بتعميقها على العصر كله، فالأدب العربي كلّ متكامل .

ثقافة الجرجاني :

ولد الجرجاني مع بلوغ الدولة الاسلامية النضج العلمي، حيث كانت الحوافز الاسلامية تزخر بالعلم والعلماء، وأصبحت الرحلة والتعلم والدرس، فجاب الأرض، وزار العراق والشام والحجاز ، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره ، واقتبس العلوم والآداب ، وصار فيها عالماً وإماماً ، اشتهر في الفقه، وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء، وفسرّ القرآن الكريم

وذكره السيوطي[1] في طبقات المفسرين، واشتغل بالتاريخ وله فيها آثار، ثم تضلّع وتبحّر في علوم الأدب، ووقوف على الطرق والمناحي المختلفة في فهم الأداب، وذهن منتظم يجمع بين العلم وبين الفروق الصافي في التحليل والتعليل ".

فالجرجاني كالنقد في عصره، خصيب متسع الآفاق، متنوع النظرات، ذو ذوق أدبي سليم، إنّ حللّ فبذوق سليم، وإن عُلّل فبمنطق شديد، وإن عرض لفكرة أتى على كل ما فيها، كما يأنس بما شاع في عصره من أساليب الجدال فصاغ فيها كل ما اهتدى إليه من نظرات وأحكام ،

ولو دخلنا في مضمون الوساطة لأدركنا مدى غزارة ثقافة الجرجاني وسعة اطلاعه على كتب الأدب والنقد والتي كانت معيناً ومرشداً ومنهلاً، استقى منه مادة كتابه " الوساطة " ، فقد اطّلع على دواوين الكثير من

---

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ولد في سنة (849هـ / 1445م) نشأ يتيماً، حفظ العمدة ومنهاج الفقه وألفية ابن مالك، أخذ الفقه والنحو على جماعة من الشيوخ، وأخذ الفرائض عن الشيخ شهاب الدين الشارمساحي ، لزم في الحديث والعربية الشيخ العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي، أخذ عن الشيخ محي الدين الكافيجّي التفسير والأصول العربية والمعاني، شرع في التصنيف في سنة (866هـ / 1461م) وبلغت مؤلفاته إلى الآن ثلاثمائة كتاب، متبحر في علوم التفسير، والحديث، والفقه، النحو، المعاني، البيان، البديع . وقال ابن إياس في تاريخه (حوادث سنة 911) : أن مؤلفاته بلغت ستمائة مؤلف . وتقع هذه الكتب في مجلد أومجلدات ؛ كالمزهر، الإتقان، الأشباه والنظائر، بغية الوعاة، الدر المنثور في التفسير بالماثور، الجامع الكبير، الجامع الصغير . توفي في سنة (911هـ / 1505م) . السيوطي، بغية الوعاة ، 1/ 10 – 15 .

الشعراء القدامى والمحدثين، من أمثال ابن الرومي [1] ، والأخطل [2] ، وأبي تمام الطائي والبحتري، وامرىء القيس [3] ، وأبي الطيب المتنبي، وأبي نواس [4] .

---

(1) علي بن العباس بن جريح، أمه فارسية، ولد ببغداد سنة (221هـ /837). ضئيلاً نحيلاً دميم الوجه، ويذكر معاصروه أنه كان ضيق الصدر سريع التغيّر والانقلاب، بخيلاً، يجيد فن الرثاء، والهجاء فنّه الذي لا يبارى فيه . العصر العباسي الثاني ، 296

(2) غياث بن غوث التغلبي، ، والأخطل لقبه، وسئل حماد بن الزّبرقان من الشعراء فقال : أشعر العرب شيخا وائل : الأعشى في الجاهلية وهو صنّاج العرب، والأخطل في الاسلام . أحد شعراء النقائض، ظل يهاجي جرير بن عطية إلى أن توفى سنة (92/ 740) .

العصر الاسلامي ، 262 _ 264

(3) امرؤ القيس بن حجر الكندي . قال لبيد بن ربيعة : أشعر الناس ذو القروح يعني امرأ القيس . أصغر أبناء حجر بن الحارث الملك على بني أسد فنشأ في نجد أميراً، وهو شاعر وجداني، أوّل من وقف على الاطلال . له رجز وقصيدة، من أصحاب المعلقات، مات بأنقره مصاباً بالجدري .

ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 48 – 68

الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، 7 – 10

(4) الحسن بن هانيء ، ولد بالأهواز سنة (139/ 756) ومات ببغداد سنة (195/ 810) أمه أهوازية يقال لها جلبان، وأبوه من جند مروان بن محمد، من أهل دمشق، انقطع صغيراً إلى والبة بن الحباب فأدّبه، ولما مات لزم خلق الأحمر . طبقات ابن المعتز ، 193 – 194 .

وبشار [1] وجرير [2] وحاتم الطائي [3] وحسان بن ثابت [4]

---

(1) مولى لبني عقيل ويقال مولى لبنى سدوس ويكنّى أبـا معـاذ، ويلقـب بالمرعث الذي جعل في أذنيه الرّعاث وهي القرطة، ويرمى بالزندقة، وهـو أحد الشعراء المطبوعين، لا يتكلفون الشعر وهو من أشعر المحـدثين، قـال عنه ابن المعتز : " كان شاعراً مجيداً مفلقاً ظريفاً محـسناً، كـان صـاحب صوت حسن ومنادمة، كان يعدّ من الخطباء البلغاء الفصحاء، ولـه قـصائد وأشعار كثيرة، كانت وفاته في سنة سبع، وقيل ثمان وستين ومائة في أيـام المهدي . الشعر والشعراء ، 511 . طبقات ابن المعتز ، 20

(2) جرير بن عطية بن حذيفة، من كليب بن يربوع، عمّر نيفاً وثمانين سنة ومات باليمامة ، كان يُكنى أبا حرزة، كان مع حسن تشبيه عفيفاً، وكان مـن فحول شعراء الاسلام ويشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى . ابـن قتيبـة ، الشعر والشعراء ، 304

(3) حاتم بن عبد الله بن سعد من طيء وأمه عِنبة بنت عفيف كـان جـواداً شاعراً جيد الشعر، قال أبو عبيدة : أجود العرب ثلاثة : كعب بن مامة وحاتم طيء (وكلاهما ضُرب به المثل) وهرم بن سنان صاحب زهير بن أبي سُلمى . ابن قتيبة الشعر والشعراء ، 143

(4) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري ويكنّى أبا الوليد وأبا الحسام وأمّـه الفريعة من الخزرج وهو جاهلي اسلامي متقدم في الاسلام، مات في خلافة معاوية، وكان حسان يفد على ملوك غـسان بالـشام ويمـدحهم . الـشعر والشعراء ، 188 .

وعروة بن الورد [1] والعباس بن الأحنف [2] وغيرهم،كما اطّلع على الكثير من الكتب : كأخبار أبي تمام للصولي، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني [3] ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والأمالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي .

---

(1) هو من بني عباس، وكان يلّقب عروة الصعاليك، قال عبد الملك بن مروان : ما يسّرني أن أحداً من العرب ولدني إلاّ عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرّيم .

الشعر والشعراء ، 449 – 450

(2) هو من بني حنيفة، ويكنّى أبا الفضل، وكان منشأه بغداد، كان صاحب غزل ويشبّه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة، ولم يكن يمدح ولا يهجو، قال عنه ابن المعتز : " كان شاعراً ظريفاً ومنطقياً مطبوعاً، كان يتعاطى الفتوة على ستر وعفة، كان جواداً لا يليق درهما ولا يحبس ما يملك " .

ومن بدائعه وصفه تمشي المرأة بالهوينا :

كأنها حين تمشي في وصائفها تمشي على البيض أو فوق القوارير

وقع بينه وبين مسلم بن الوليد صريع الغواني تهاج في أمر كان بينهما .

الشعر والشعراء ، 560 ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، 253 – 254 .

(3) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي (471 / 1078) . أخذ عن أبي الحسين بن محمد بن عبد الوارث النحوي ابن اخت أبي علي الفارسي، كان ابن الأعرابي ربيباً له، وسمع منه النوادر، كان من كبار أئمة العربية والبيان، شافعيّاً أشعرياً، أخذ عنه علي بن أبي زيد الفصيحي . صنّف : الجمل، التلخيص، العوامل المائة، العمدة في التصريف، إعجاز القرآن، المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح الإيضاح .

البغية ، 1/ 106 النزهة ، 264

والتبيان بشرح الديوان للعكبري [1] ، وخزانة الأدب للبغدادي [2] ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والصناعتين وديوان المعاني لأبي هلال العسكري، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني [3]

---

(1) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله النحوي الضرير، العكبري الأصل، البغدادي المولد، كان نحوياً فقيهاً، تفتحه على مذهب أحمد بن حنبل، وأخذ النحو عن أبي محمد بن الخشّاب، وروى عن مشايخ زمانه، كان ثقة صدوقاً، غزير الفضلن كامل الأوصاف، كثير الحفظ ديّناً، حسن الخلق متواضعاً . ولد سنة (538 / 1143) وتوفي في سنة (610 / 1212) . صنّف : إعراب القرآن والقراءات، شرح الإيضاح، شرح اللمع، اللباب، شرح المفصل، إعراب شعر الحماسة، شرح المتنبي، إعراب الحديث. انباه الرواة ، 2/ 116 البغية ،2/ 38

(2) أبو منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي، استاذ كامل، ذو فنون، فقيه أصولي، أديب شاعر نحوي ماهر في الحساب، عارف بالعروض، ورد نيسابور، وتفقّه على أهل العلم والحديث، درس سبعة عشر علماً، وأملي الحديث، كثير الشيوخ، سخيّ النفس، طيب الخُلق، توفي بأسفرايين سنة (474 /1093) .

البغية ، 2/ 105 اليتيمة ، 4/ 414

(3) الحسن بن رشيق صاحب " العمدة في صناعة الشعر " ، و " الأُنموذج في شعراء القيروان " و " الشذوذ في اللغة " . قال عنه ياقوت : " كان شاعراً نحوياً لغوياً أديباً حاذقاً، كثير التصنيف، حس التآليف، تأدب على أبي عبد الله جعفر القزاز النحوي . ولد سنة (390 / 999) وتوفي سنة (456 / 1064) . صنّف : قراضة الذهب في صناعة الأدب، المرشد . البغية ، 1/ 504 معجم الأدباء 8/ 110

ويتيمة الدهر للثعالبي [1] ، والمفضليّات للمفضل الضبي، ومعجم الشعراء للمرزباني، وكتاب سيبويه [2] .

---

(1) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، ولد بنسابور سنة (350 / 960) وتوفي في سنة (429 / 1037) . اتصل بالأمير شمس المعالي قابوس بن وشكمير، والصاحب بن عباد، والأمير خوازم شاه، وجنح إلى وزيره أبي عبد الله الحمدوني . وكان صديقاً لأبي الفضل عبيد الميكالي، وقد وصفه تلميذه الباخرزي بقوله : " جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدهور، لم ترَ العين مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله " ألف أجناس التجنيس، أحسن ما سمعت، بهجة المشتاق، تحفة الوزراء، التمثيل والحاظرة في الحكم والمناظرة، خاص الخاص، جوامع الكلم، فقه اللغة وسر العربية، من غاب عن المطرب . الكناية والتعريض، سر الأدب. التمثيل والمحاضرة ، 4- 16 النزهة ، 266

(2) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع بن زياد، نشأ بالبصرة، ومات فيها سنة (161 / 777) . أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأخفش، وعيسى بن عمر الثقفي، وبرع في النحو . قال عنه ابن سلام : " كان سيبويه غاية في الخلق : وكتابه في النحو هو إمام فيه " .

معجم الأدباء ، 10 / 114 - 127 النزهة ، 54 - 58

انباه الرواة ، 2 / 346

وفي كتابه يصور ثقافة واسعة بالشعر العربي قديمه وحديثه، ويصور ذوقاً شعرياً مصفّى، إضافة إلى أنّه واحد من شعراء ايران المثقف ثقافة فارسية ناطقاً بها ؛ لأنّه من أصل فارسي، فيضيف إلى العربية ثقافة غير عربية، مع العلم أن العصر كلّه قد اصطبغ تقريباً بصبغة فارسية .

وتبدو لنا دقته في البحث والمنهجية في التأليف من خلال رجوعه إلى أهل الاختصاص – كل في ميدانه – فيما دقّ عليه من معان، بحيث لم يترك مجالاً للحدس أو الوهم .

يقول عنه الثعالبي : " ... درة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة [1] ، إلى نثر الجاحظ، ونظم البحتري، وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه " .

ويضيف قائلاً : " وكان في صباه خلف الخضر في قطع عرض الأرض، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار في العلوم علما، وفي الكلام عالماً " [2] .

---

(1) ابن مقلة ، أبو علي محمد بن علي بن الحسين، الوزير الشاعر الكاتب، ضُرب بحسن خطه المثل.

قال الثعالبي :

سقى اللهُ عيشاً مضى وانقضى بلا رجعة أرتجيها ونقله

كوجه الحبيب وقلب الأديب وشعر الوليد بخط ابن مقله

ولد ببغداد، وتولى جباية الخراج بفارس، ثم استوزره المقتدر العباسي، وتقلبت به الأمور بين تولية وخلع، ورضا وسخط، إلى أن سجن، وكان سجنه سنة (338 / 949) . انباه الرواة ، الحاشية ، 3 / 229 البغية ، 2 / 228

(2) يتيمة الثعالبي ، 4 / 3

ويقول عنه الدكتور شوقي ضيف : " من جرجان، وفد على نيسابور في صباه، وسمع على شيوخها، وتخرج بهم فقيهاً شافعياً نابهاً " [1] .

تلاميذ الجرجاني :

لقد أخذ الجرجاني وقرأ عليه واغترف من بحره اثنان من الشيوخ الأفاضل وأعيان أهل الأدب وهما :

1. الشيخ عبد القاهر الجرجاني : من اكابر النحويين ومن كبار أئمة العربية والبيان، شافعياً أشعرياً، قرأ على القاضي الجرجاني واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به، وشمخ بأنفه بالإنتماء إليه [2] . توفي في سنة (471هـ / 1078م) .

2. أبو القاسم العلوي الأطروش، من نازلي استراباذ، وأفاضل العلوية، وأعيان أهل الأدب، وكتب إلى القاضي أبي الحسن عبد العزيز رقعة تشتمل على النظم والنثر يقول فيها :

يا وافر العلم والانعام والمنن ووافر لعرض غير الشحم والسمن
فقد تذكرت شعر الموصلي لما سمعت من لفظك العاري عن الدرن

فإنه وقع فيها خطل وزلل فعلى الشيخ اعتماد في إقالة العثرة وصرف الأمر إلى الجميل الذي يوازي فضله ويشاكل نبله " [3] .

---

(1) العصر العباسي الثاني ، 579 . (2) معجم الأدباء ، 14 / 16
(3) يتيمة الثعالبي ، 4 / 48 – 49

مؤلفات الجرجاني :

لقد جمع الجرجاني بين لسانين : الأول : ما فطن به وكان لغتـــه الأم وهي الفارسية، ولسان آخر وهو العربية التي أحاط بدقائقها وأسرار بيانهـــا، كما نجده قد أوضح الفارق بين الشعر المحدث والشعر القديم في الأســـلوب، وحاول أن يعطينا صورة تقريبية للنموذج الأدبي الكامل في الشعر والنثـــر، كما أدراك أثر البيئة والثقافة في الشعر، وهو في وساطته، قـــد بـــسط مـــن الآراء والأفكار واللمحات الذكية ما يجعله في جملة النقاد المبدعين في تاريخ الأدب العربي .

وقد قامت شهرته على تركته عن التصانيف المختلفة، والتي صبّ فيها حصيلة معارفه في نقد الشعر وفي الأدب، واللغة والنحو والأنساب،ـــ فهـــذه التصاريف تدل على اهتمامه بالشعر ودرسه ونقده . فقد تـــرك الجرجـــاني مجموعة من المؤلفات العلمية الجليلة التي تصور شخصية مؤلفهـــا وســـعة ثقافته وتنوعها، إلا أن يد الزمان لم تحفظ لنا من هـــذه الثـــروة العلميـــة إلا كتابين هما " الوساطة " وفصلين من كتاب " تهذيب التاريخ " ، فأما ما فقد له من المصنفات فنذكر منها :

1. تفسير القرآن المجيد، ذكره ياقوت في معجم الأدباء
2. الوكالة، ذكره السبكي حيث قال أن فيه أربعة آلاف مسألة
3. الأنساب، ذكره بروكلمان وقال أن ابن خلدون قد انتفع به في تاريخه
4. رسائل مدونة
5. ديوان شعر ذكره ابن خلكان، يجمع بين العذوبة والجزالة

أما كتاب تهذيب التاريخ : فقد ذكره الثعالبي في يتيمة إذ قال : " إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ وصحة الروايات وحسن التصرف في الانتقادات"[1].

ويوضح الجرجاني هدفه من الكتاب بقوله : " وهذا كتاب قصدت به غرضي دين ودنيا :

أما الدين فمعرفة مغازي الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحروبه وسراياه وبعوثه ... وما أجريه في خلال ذلك من تذكير بالآء الله وتنبيه على نعم الله، بما اقتص من أنباء الأولين، وأبث من أخبار الآخرين، أما غرض الدنيا فأن أقيم بفناء الصاحب الجليل أدام الله بهاء العلم بدوام أيامه من يخلفني في تجديد ذكرى بحضرته، وتكرير اسمي في مجلسه، ومن ينوب عني في مزاحمة خدمته، على الاعتراف بحق نعمته، ... فلولا عنايته لما صدقت النية، ولولا إرشاده لما نفذت الفطنة، ولولا معونته لما استجمعت الآلة [2] .

وقبل أن انتقل إلى الحديث عن وفاته أود أن أوضح أن ما جاء في متن الرسالة أو حاشيتها، يعد شاهداً على مدى غزارة ثقافة الجرجاني، وسعة إطلاعه، فقد تلقى العلوم والمعارف على أيدي كبار الأئمة والشيوخ في عصره، وأحاط بكل ما جاء عنهم إحاطة تكاد تكون تامة فقد وصفه الثعالبي بأنه " في صباه قد خلف الخضر في قطع الأرض، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علماً وفي الكلام عالماً " [3] .

فهو من خلال ذلك يعد نواة لحلقة علمية غزيرة بشتى صنوف العلوم وأشكال المعرفة، حلقة كأنها سلسلة تماسكت حلقاتها بعد أن تشعبت وتفرعت فعادت تلتقي لتصب في بحر علمه الواسع الذي لا ينضب .

---

(1) يتيمة الثعالبي ، 4/ 7

(2) م . ن ، . ، 4/ 8 – 9

(3) معجم الأدباء ، 14/ 15

وفاة الجرجاني :

طوّف الجرجاني في كل بلاد فارس والشام والعراق، فأقبل على الحياة إقباله على العلم، يعبّ منهما عباً، عاش في عصره ثائراً على قيمه حيناً، وضعيفاً أمامها حيناً آخر، عاش ليشهد تطاول السنين ووهن الشيخوخة، وما لبث أن توقف قلبه عن الخفقان، وحمل تابوته إلى جرجان فدفن فيها، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض راجلين، وذلك في سنة (392 / 1002) . كما يقول ياقوت الحموي في معجم الأدباء، وذكره ابن خلكان في الجزء الأوّل صفحة (410) وابن العماد في الجزء الثالث صفحة (157) نقلاً عن الحاكم أبي عبد الله بن البيع [1] ، في تاريخ نيسابور أنّه توفي في سلخ صفر سنة (366 / 976) بنيسابور وعمره ست وسبعون سنة .

ورواية ياقوت أثبت وأصح : لأنّ الجرجاني توفي بعد وفاة الصاحب (385 / 995) ، ولو كان قد مات في حياة الصاحب فمن غير المعقول ألا يكون الصاحب واحداً من بين من مشوا في جنازته أو صلوا عليه .

ولد الجرجاني بعد ابن قتيبة بأربعة عشر عاماً، فكان ممّن أدرك آثاره المكتوبة، ولكنه ذهب إلى تخطئته صراحة، وذلك حين تحدّث عن مسألة

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبّي النيسابوري، وعُرف بابن البيع . قال ابن الأثير : " كان من أهل العلم والحفظ والتصانيف الحسنة في علوم الحديث وغيرها، رحل كثيراً، وسمع بخراسان ما وراء النهر والعراق والحجاز وغيرها. وروى عنه أبو العباس الأصمّ وغيره، مات في سنة (405 / 1015) بن يسابور .

اللفظ إذا تشابه بين الشاعرين لا يعدّ سرقة. قال الجرجاني : " وشبيه بهذا ما زعم ابن قتيبة في قول هُدبة :

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أُحمل على الشر أركبِ

أنه مأخوذ من قول تأبط شراً :

ولست بمفراحٍ إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتحولِ

تأملها فأنّك ترى بينهما من التباين ما يحظر ادعاء ذلك فيهما " [1] .

والملاحظ أن الجرجاني في قوله لم ينصف ابن قتيبة ؛ لأنّه اجتزأ قوله اجتزاءً، وأصله : " ويقال إنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت اعترضه وهو يرفل (يتبختر في مشيته) إلى الموت فقال : ما هذا يا هُدّب ؟ قال : لا آتي الموت إلاّ شدّاً . قال : أنشدني . قال : على هذا من الحال ؟ قال: نعم . فأنشده :

ولا أتمنى الشر والشر تاركي وكن متى أُحمل على الشر أركبِ
ولستُ بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلّبِ

أخذه من قول تأبط شراً :

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتحولِ [2]

---

(1) الوساطة ، 213 – 214 .

(2) الشعر والشعراء ، 462

فابن قتيبة إنما عنى البيت الثاني ، ولم يرد البيت الذي أثبته الجرجاني، ومعنى أخذه ؛ أي اجتلبه كله كما هو واضح بتبديل كلمة واحدة لزوماً للقافية. وليس كل أخذ عند ابن قتيبة سرقة . ولو صح قول الجرجاني فإنّ بيت هدبة بن خشرم مأخوذ من عجز بيت تأبط شراً، وهو تفصيل لذلك العجز، واختلاف المعنى لا يمنع أخذ الشاعر بعض بيت أو دون ذلك، أو فوقه .

بحث الجرجاني في أسباب اختلاف الشعر، ومسألة اللفظ والمعنى، وقواعد استحسان الشعر على نحو ما يدلُّ على التأثر، ويكتشف عن بعد النظر ووضوحه عندهن وبحث أيضاً مسألة القدامى والمحدثين . فالجرجاني يرجع أسباب اختلاف الشعر إلى تفاضل الشعراء في القرائح، واختلاف الأفكار والهواجس، والطباع، والأحوال الحضارية . قال الجرجاني : " وقد كان القوم يختلفون في ذلك، وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره ؛ وإنّما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق؛ فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطّبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة ... وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق ... وترققوا ما أمكن، وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ "[1].

وقد جعل قوام استحسان الشعر عنده ؛ اشتراك الطبع، الرواية، الذكاء، الدّربة في مسألة إبداع الشعر، مع التنبيه على وجود الرواية بغير طبع لا يؤدي إلى إبداع الشعر . فنرى أن عبيداً راوية الأعشى لم تسمع له كلمة، وكذلك حسب رواية جرير، ومحمد بن سهل رواية الكميت، والسائب رواية كثيرة " . وهذه النظرة تؤكد أن من نظم الشعر من العلماء الرواة كان يملك حدّا من الطبع جعلهم يقولونه على صورته التي تدينه من النظم، لكنها لا تدفع عنه صفة الطبع .

(1) الوساطة ، 18 - 19

والطبع عند الجرجاني هو الأصل في قول الشعر فيقول : " غير أنها كانت بالطبع أشد ثقة وإليه أكثر استئناساً ؛ وأنت تعلم أنّ العرب مشتركة في اللغة واللسان، وأنّها سواء في المنطق والعبارة، وإنّما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة، ثم تجد الرجل منها شاعراً مفلعاً، وابن عمّه وجار جنابه ولصيق طُنبه بكيئا مفحماً (قليل الكلام خِلقه ، ولا يقدر على قول الشعر) ؛ وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر، والخطيب أبلغ من الخطيب ؛ فهل ذلك إلاّ من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة ! " .

وقد اختلف الجرجاني مع ابن قتيبة في مذهب الجمع بين الطبع والصنعة، فقال : " وكانت العرب ومن تبعها من السلف تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجمال المنطق .. فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وإنضاف إليها التعمّل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزيلاً قوياً " [1] .

وفي مسألة اللفظ والمعنى، فإن نظرته إليهما أدنى إلى نظرة الجاحظ، منه إلى ابن قتيبة ؛ لأنّه يرى أن هناك رتباً للألفاظ والمعاني يجب أن تكون متناسبة، وهو لم يخرج عن مذهب ابن قتيبة عندما ربط بين الألفاظ وأغراض الشعر كالغزل والهجاء والفخر والمديح، ومن الأساليب التي يجب على الشاعر اتباعها. قال الجرجاني : " بل أرى لك أن تُقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك ؛ ولا هزلك بمنزلة جِدّك، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتّب كلاً مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزّلت، وتُفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرّف مواقعه " .

---

(1) الوساطة ، 24 – 25 .

والتفت الجرجاني إلى فكرة أن اللفظ أسبق إلى المتلقي من المعنى، ولذلك دعا الشاعر إلى مراعاة جمال اللفظ وجزالته، داعياً إيّاه إلى ترك التكلف ورفض التعمل . قال : " فإن روعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم، وإنما تفضي إلى المعنى عند التفتيش والكشف، وملاكَ الأمر في هذا الباب خاصة تركُ التكلف ورفض التعمل، والاسترسال للطبع، وتجنُّب الحمل عليه والعنف به ؛ ولست أعني بهذا كلَّ طبع، بل المهذّب الذي قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وأُلهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور أمثلة الحُسن والقُبح " [1]

وأما موقفه من القدامى والمحدثين، يقول الجرجاني : " أنا أقول – أيدك الله – إنْ الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدُّربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه ؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز ؛ وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان، ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمخضرم، والأعرابي والمولَّد ؛ إلاّ أرى حاجة المُحْدَث إلى الرواية أمس، وأجده إلى أكثر الحفظ أفقر " [1] موقفه يدلُّ على اقتفائه أثر ابن قتيبة، فربّما كان هذا الموقف جدى عملهما معاً في مجال القضاء .

وقد أفصح الجرجاني عن مراده ببعض المصطلحات كقوله : " محسن ومسيء، محمود ومذموم، مقتصد ومُفرط . يقول : " ودعني من قولك هل زاد على كذا ! أو قال إلاّ ما قاله فلان " [2]

---

(1) الوساطة ، 24 – 25 .

(2) الوساطة ، 15 – 16

قال الجرجاني : " وقد أحسن عبد الصمد بن المُعذَّل في قصيدته الرائية التي وصف فيها الحمّى، وقصرَّ في الضادّية وفي مقاطِع له في وصفها :

وبنت المنية تنتابني هدواً وتطرقني سحره
إذا وردت لم يدع وردها عن القلب حجبٌ ولا ستره
كأن لها ضرماً في الحشى وفي كل عضو لها جمره " [1]

فالجرجاني في نقده كان أكثر تفصيلاً في مسألة الطّبع، وأسباب اختلاف الشعر، وأشدّ شبهاً بابن قتيبة في القدامى والمحدثين، وأقرب إلى الجاحظ في مسألة اللفظ والمعنى .

---

(1) م . ن . ، 25

ابراهيم بن هلال الصابىء

قال ابن خلكان : " الصابىء صاحب الرسائل ، أبو اسحق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زَهرون ابن حيّون الحرانيّ الصابئ ، صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع ؛ كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بُويه الديلمي ، وتقلّد ديوان الرسائل سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى معز الدولة بن بويه بما يؤلمه ، فحقد عليه " [1] .

قال ياقوت : " أبو اسحق الحرّاني ، أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل ، والاشتمال على جهات الفضائل ، وكان قد خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء ، وتقلّد أعمالاً جليلة ، ومدحه الشعراء ، وعرض عليه عز الدولة بختيار بن معزّ الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم ، فآمتنع . وكان حسن العشرة للمسلمين ، عفيفاً في مذهبه ، وكان بينه وبين الصاحب بن عبّاد مراسلات ومواصلات ومتاحفات ، وكذلك بينه وبين الرَّضي أبا الحسن محمد بن الحسين الموسويّ ، مودة ومكاتبات ، مع اختلاف الملل وتباين النَحل ، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب مع تبدّد الدّين والنّسب . فأما بلاغته ، وحسن ألفاظه ، فقد أغنتنا شهرتُها عن صفتها ، وذكرتها الشعراء فقال بعضهم :

أصبحتُ مشتاقاً حليفَ صبابةٍ ... برسائلِ الصابي أبي إسحاقِ
صوبَ البلاغةِ والحلاوةِ والحجى ... ذوب البراعةِ سلوةُ العشاقِ
طوراً كما رقَّ النَّسيمُ وتارةً ... يحكي لنا الأطواق في الأعناقِ
لا يبلغُ البلغاءُ شأوَ مبرزٍ ... كتبتْ بدائعهُ على الأحداقِ [2]

---

(1) وفيات الأعيان ، 1/ 52 (2) معجم الأدباء ، 2/ 20 – 27

وقال ياقوت أيضاً : " وأخبرني ثقات منهم أبو القاسم علي بن محمد الكوفيّ ، وكان شديد الاختصاص بالصّاحب ، أنّه كثيراً ما كان يقول : " كتاب الدنيا ، وبُلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو اسحق الصابئ ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه " [1] .

قال ابن النديم : " مترسل بليغ شاعر عالم بالهندسة والغالب عليه صناعة الكتابة والبلاغة والشعر " وذكر ياقوت أن مولده في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [2] ، وأن وفاته قبل الثمانين والثلاثمائة " [3] وذكر وفاته ابن خلكان وقال : " توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ببغداد ، وذكر أن مولده ما ذكر ابن النديم نقلاً عنه " [4] .

أمّا مؤلفاته فقد ذكرها ياقوت فقال : " ولأبي اسحق من التصانيف : كتاب رسائله ، وهو مشهور ، نحو ألف ورقة ، كتاب التاجي في أخبار أهل بويه ، كتاب أخبار أهله ، كتاب اختيار شعر المهلّبي ، كتاب ديوان شعره"[5]

وعن خبر كتاب التاجي قال ياقوت : " فإن عمل كتاباً في مآثرنا وتاريخنا أطلقته ، فشرع في محبسه في كتاب التاجي في أخبار بني بويه ، وقيل إنّ بعض أصدقائه دخل عليه الحبس ، وهو في تبيض وتسويد في هذا الكتاب فسأله عما يعمله ، فقال : أباطيل أُنمقها ، وأكاذيب ألفِّقها ، فخرج الرجل ، وأنهى (أبلغ) ذلك إلى عضد الدولة ، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة ، فأكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ونصر بن هارون على

---

(1) معجم الأدباء ، 2/ 51
(2) الفهرست ، 193 – 194
(3) م . س . ، 2/ 20 – 21
(4) وفيات الأعيان ، 1/ 53
(5) م . س . ، 2/ 94

الأرض يقبّلانها ، ويشفعون إليه في أمره، حتى أمر باستحيائه (تركه حيّا)، وأخذ أمواله واستصفائه ، وتخليد

السجن بدمائه ، فبقي في السجن بضع سنين إلى أن تخلص في أيام صمصام الدّولة بن عضد الدولة " [1] .

ومن أشعار الصابئ قوله يهنّئ عضد الدولة بالأضحى :

صلِّ يا ذا العلاَ لربكَ وانحرْ ... كـــــلَّ ضدٍّ وشانئ لكَ أبترْ

أنت أعلى من أن تكون أضاحـــ ... ـيكَ قروماً من الجمالةِ تعقرْ

بل قروماً من الملوك ذوي الو ... دّ تيجانها أمامك تنثرْ

كلما خرَّ ســـــاجداً لكَ رأسٌ ... مـــنهم قال سيفك الله أكبرْ

وله يصفُ الشعر :

لقدْ شان سأن الشعرِ قومُ كلامهمْ ... إذا نظموا شعراً من الثلجِ أبردُ

فيا ربِّ لم تهدهمْ لصوا به ... فأضللهمُ عن وزن ما لم يجودوا

وقال في الشّيب :

تقولُ الناسُ لي : في الشيبْ عزٌّ ... يزيدُ بهِ جلال المرء ضعفا

ولولا أنَّه ذلٌّ وهونٌ ... لما احتكم المزينُ فيهِ نتفا

وقال في الحبس :

إذا لم يكن للمرءِ بدٌّ من الروى ... فأسهله مـــا جاء والعيش أنكدُ

وأصعبهُ ما جاء وهو رائع ... تطيفُ بهِ اللذاتُ ، والحظُّ مسعدُ

فإن أكُ شرَّ العيشتين أعيشها ... فإني إلى خـــيرِ المماتينِ أقصدُ

وسيانِ يوما شقوةٍ وسعادةٍ ... إذا كان غباً واحداً لهما الغدُ [2]

---

(1) معجم الأدباء ، 2/ 22 – 23 (2) معجم الأدباء ، 2/ 82 – 93

وللصابئ آراء نقدية بثّها في رسالته : الفرق بين المترسّل والشّاعر : " كنت سألتني – أدام الله عزّك – عن السبب في أكثر المترسلين البلغاء لا يفلِقُون في الشعر ، وأنّ أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون في التراسُل فأجبتك بقول مُجمل ، ووعدتك بشرح له مفصّل ، وأنا فاعل ذلك بإذن الله – فأقول : " إنّ طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه ؛ لأن أفخر الترسُّل هو ما وضح معناه ، فأعطاك غرضَه في أوّل وهلةِ سماعه . وافخر الشعر ما غمض فلم يُعطيك غرضه إلاّ بعد مماطلة منه وغوص منك عليه . فلما صارت الإصابتان في الأمرين مترامِيتين عن طرفين متباينتين ، بعد على القرائح أن تجمعها ، فشرقت إلى هذه فرقة ، وغرّبت إلى ذلك أخرى ، ومال كل من الجميع إلى الجانب الموافق لطبعه ، ثم تراتبوا في المسافة بينهما ، فكان الأفضل من أهل كل مذهب مَنْ وقع في الغاية أو قريباً منها . وحصل الوسط ضيقاً لا عرض له ، فقلَّ عدد الواقعين فيه ، ووجب مع ضيق موضعهم وقلة عددهم ألا يوجد منهم الجامع من الإحسانين إلاّ على شرط يريد به الأمر تعذُّراً ، والعدُّ تنزُّراً ، وهو أن يكون طبعه طائعاً له ، ممتداً معه ، فإذا دعاه إلى التّطرف به إلى حدّ الجانبين أجابه وانقاد له ابراهيم بن العباس الصولي ، وأبي علي البصير ، ومن جرى مجراهما ، فهذا جواب مسألتك . ويبقى فيها زيادات وانفصالات لا بأس بايرادها ليكون القول قد استغرق مداه ، وتمت أولاه بأخراه ، وذلك أن للسائل أن يقول : فمن أي جهة صار الأحسن في معاني الترسُّل الوضوح ، وفي معاني الشعر الغموض ؟ فالجواب أنّ الشعر بُني على حدود مقرّرة وأوزان مقدرة ، وفصّل أبياتاً كل واحد منهما قائم بذاته وغير محتاج إلى غيره ؛ إلا ما يتفق أن يكون مضمناً بأخيه . وهو عيب ، فلما كان النّفس لا يمكن أن يمتد في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه ، وكلاهما

قليل، احتيج إلى أن يكون الفضل في المعنى ، فاعتمد فيه أن يلطف ويدق ، ليصير المفضي إليه ، والمطل عليه بمنزلة الفائز بذخيرة خافية استثارها ، والظافر بخبيّة استخرجها واستنبطها . ثم إنّ للمتأمل وقفات على إعجاز الأبيات، وقد وضعت لإدراك المعنى ، والفطنة بالمغزى . وفي مثل ذلك يحسنُ خفاء الأثر وبُعد المرمى .

والترسل مبني على مخالفة الطريق ومعاكستها إذا كان كلاماً واحداً لا يتجزأ بياتاً ، ولا يتفصّل إلاّ فصولاً طوالاً . وهو موضوع وضع ما يُهدُّ هدّاً، ويُقرأ متصلاً ، ويمرُّ على أسماع شتّى الأحوال من خاصة ورعيّة ، وذوي أفهام ذكية وغبية . فإذا كان متسهلاً متسلسلاً ساغ فيها وقُرب إذُنه على إفهامها وتساوقت الألسن في تلاوته ، والألباب في درايته . فجميع ما يستحبّ في الأول يستكره في الثاني ، وجميع ما يستحبّ في الثاني يستكره في الأول ، حتى أن ما قدّمناه من عيب التضمين في عيب أبيات الشعر هو فضيلة في فصول الرسائل . ألا ترى أن أحسنهاا ما كان متعلقاً بعضه ببعض ومقتضياً له تعطّفاً من الهوادي على التوالي ، ورداً من الأواخر على المبادئ .

فمتى خرج الشعر عن سنن الإبداع والاختراع كان ساذجاً مغسولاً ، فقائله معيب غير مصيب ، والتَرك له أدلُّ على العقل ، وأولى بذي الفضل .

فمتى خرج الترسُّل عن أن يكون جليّاً سلساً تعثر الأسماع في حزونته، وتحيرت الأفهام في مسالكه ، وأظلم مشرقُه ، وتكدّر رونقه ، وكان صاحبه مسكره الطريقة ، مستهجن الصنّاعة ، وقد بقيت في الباب زيادة أخرى ، وهي الإخبار عن قلة المترسلين وكثرة الشعراء ، وعن علّة نباهة أولئك ، وفحول هؤلاء .

والجواب على ذلك أن الشاعر إنما يصوغ قصيدته بيتاً بيتاً ، فهو يجمع قريحته وقدرته على كل بيت منها فيقهره ، ويبلغ إرادته منه ، وله من

الوزن والقافية قائد وسائق يقومان له بأكثر حدود الشعر ، فكأنّه إنما يحذوه على مثال أو يفرغه في قالب .

والمترسّل يصوغ رسالته متحدّة مجتمعة من أقطار متراخية منّسقة ، وربما أسهب حتى يستغرق بالواحدة من رسائله أقدار الرسائل الطّوال الكثيرة، هذا إلى ما يتعاطاه من فخامة الألفاظ اللائقة التي يصدر مثلها عن السلطان وإليه، والتصرف فيما على ضروب ما تتصرّف عليه أطوال الزّمان، وعوارض الحدثان ؛ فلذلك صار وجود المضطلعين بجودة النثر أعزّ، وعددهم أقلّ .

فأما ارتفاع طبقتهم عن تلك الطبقة ، فإنّ المترسّلين ، إنّما يترسلون في جباية خراجٍ ، أو لسدِّ ثغر ، أو عمارة بلاد ، أو اصلاح فساد ، أو دعاء إلى أُلفة، أو نهي عن فرقة ، أو تهنئة بعطية ، أو تعزية عن رؤية ، أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب ، ومعاظم الشؤون التي يحتاجون فيها إلى أن يكونوا فيها ذوي أدوات كثيرة ، أو معرفة مفتنة . وقد وسمتهم الكتابة بشرفها ، وبوأتهم رياستها ، وأخطارهم عالية بحسب ما يفمون فيه ، ويذهبون إليه .

والشعراء إنّما أغراضهم التي يرومون نحوها ، وغاياتهم التي يجرون إليها، وصف الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء والأوطان ، والتشبيب بالنساء، والطلب والاجتداء ، والمديح والهجاء، فليس يجرون مع أولئك في مضمار ولا يقاربونهم في الأقدار . وهذا قول كاف فيما أردناه إن شاء الله تعالى " .

فالصابئ في الإجابة عن تساؤل أحد السائلين قول ذلك السائل : " وإن أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون في التراسل ، فاستخدام فعل يجيدون بمعنى يحسنون لاتصاله بموضوع فن الرسائل ؛ ولأن المؤلف فهم هذا اللفظ فعبر عن ذلك قائلاً : " إنّ طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق

الإحسان، فيقوله هذا عن الإحسان يكون قد وافق ابن قتيبة في نظرته لمصطلح الإحسان .

وفي قوله : " أفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه وغوص منك عليه ، فكأنّه يشير إلى لطف المعنى ومشكله مما يدخل في حدود المعاني الشعرية عند ابن قتيبة . ويقول : " أن الشعر بني على حدود مقرّرة ، وأوزان مقدّرة ، وفصّل أبياتاً كل واحد منها قائم بذاته وغير محتاج إلى غيره ، إلا ما يتفق أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب " .

فالشعر يبني على حدود مقرّرة عند العلماء العارفين بالشّعر ، وأوزان مقدّرة في طباع الشعراء العرب ، وكل بيت استقل في معناه عن أخيه ، خلافاً لما ورد عند ابن قتيبة في مسألة قِران الشعراء ، ولمناسبة البيت لموضعه في القصيدة ، وأثر ذلك في كون الشعر مستحسناً أو رديئاً [1] .

وللناقدين (الصابئ وابن قتيبة) نظرة مختلفة إلى علاقة البيت بالقصيدة ، فالشعر مؤلف من وزن وقافية ، والبيت الواحد له مطلع ومقطع ومخرج ، يقول ابن هلال الصابئ : " فلما كان النَّفس لا يمكن أن يمتد في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه – وكلاهما قليل – احتيج إلى أن يكون الفضل في المعنى ، فأعتمد فيه أن يلطف ويدقُّ " . فالمعنى عند الصابئ – محكوم عليه بالانقضاء بين عروض البيت (وسطه أو مخرجه)، وضربه (مقطعه) ؛ من غير إشارة منه إلى حسن الخروج بالمعنى من صدر البيت إلى عجزه . في حين تحدّث ابن قتيبة عن حسن مطالع ألفاظ وأبيات ، ومقاطعها ومخارجها . فالنظرة مختلفة في طبيعتها وغايتها .

يقول ابن قتيبة في المخارج والمقاطع والمطالع ، أنّ هناك ضَرباً من

---

(1) قراءة جديدة لتراثنا النقدي ، 2/ 594 – 597

الشعر حسن وحَلاَ ، فإذا أنت فتَّشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، وأورد أبياتاً، قال إنّ ألفاظها أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحتها من معنى وجدته ولما قطعنا من ايام منى ، واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث ، وسارت المطيُّ في الأبطح . وهذا الصنّف في الشعر كثير .

قال الشاعر :

ولما قضينا منْ منىً كلَّ حاجةٍ ومسحَ بالأركانِ منْ هو ماسحُ

وشدت على حدبِ المهارى رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

فالألفاظ في هذا السيّاق تعني الأبيات ، فهذه الألفاظ أي الأبيات بصياغتها آخذه في الحُسن من جهة أن خروج الشاعر فيها من صدر البيت إلى عجزه خروج حسن ، وهذا يشمل مطالع الأبيات ، وقد جاءت قوافيها مطمئنة لا قلق فيها ، أما معناها فلا فائدة لها للشاعر إذا قيست صورة بلطف المعاني وخفائها ، فهي ظاهرة واضحة ، والصورة فيها من مألوف الحياة العربية . فمستويات جودة المعاني عند ابن قتيبة تتمثل في مناسبتها لمواقعها في الشعر وحلاوته في الاسماع ، وإلى مناسبته لمعناه ، ووجوب اختيار الشاعر اللفظ الذي لا يشين معناه . ولطف المعنى عند ابن قتيبة خفاؤه خفاءً لا يُشكل على مُتلقيه إذا كان عالماً بأساليب العرب وبصيراً بفهمها .

فالناقدان يقتربان أحياناً في بعض آرائهما ، ويختلفان في البعض الآخر، ومن غير الواضح أن يكون ابن هلال الصابئ قد اطلع على آثار ابن قتيبة الدّينوري .

محمد بن عمران المرزباني

قال ابن خلكان : " أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله ، الكاتب المرزباني الخراساني الأصل البغدادي المولد ، صاحب التصانيف المشهورة ، والمجاميع الغريبة ، كان راوية للأدب صاحب أخبار، وتواليفه كثيرة ، وكان ثقة في الحديث ومائلاً إلى التشيّع في المذهب ، حدّث عن عبد الله بن محمد اللغوي وأبي بكر بن أبي داوود السجستاني في آخرين. وهو أوّل من جمع ديوان يزيد بن معاوية الآمدي واعتنى به " [1] .

قال ياقوت : " كان رواية صادق اللهجة ، واسع المعرفة بالروايات كثير السماع ، روى عن البغوي وطبقته ، وأكثر روايته بالإجازة لكنّه يقول فيها أخبرنا ، وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة " [2] .

قال ابن النديم : " مولده في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، وتوفي في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة " [3]. وللمرزباني تصانيف مشهورة منها: أخبار الشعراء المشهورين والكثيرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم، أوّلهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز ، أخبار أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة ، أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم عن مدح وذمّ ، أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحاً ، أخبار عبد الصمد بن المعذّل الشاعر ، أخبار محمد بن حمزة العلاّف ، أشعار الجنّ المتمثلين فيمن تمثّل منهم بشعر ، الأنوار والثمار فيما قيل في الورد والنرجس وجميع الأنوار من الأشعار وما جاء فيها من الآثار والأخبار ، مستحسن النظم والنثر ، تلقيح العقول ، الرياض في أخبار المتمين من الشعراء الجاهليين

---

(1) وفيات الأعيان ، 4/ 354 (2) معجم الأدباء ، 18/ 268

(3) الفهرست ، 190

والمخضرمين والاسلاميين والمحدثين . شعر حاتم الطائي ، كتاب الأزمنة ، ذكر فيه أحوال الفصول الأربعة والحرّ والغيوم والبرق والرياح والأمطار ، وأوصاف الربيع والخريف وطرفاً من الفلك وأيّام العرب والعجم وسنينهم وما يلحق بذلك من الأخبار والأشعار ، كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشيء من مجالسهم ، الدّعاء ، ذم الحجاب ، ذمّ الدنيا ، الشباب وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائليه ومنشديه ، وبيان منحوله ومسروقه وغير ذلك ، كتاب الفرج ، العبادة ، المحتضرين ، المراثي، المغازي ، نسخ العهود إلى القضاة ، الهدايا ، المديح في الولائم والدعوات ، المتوّج في العدل وحسن السيرة ، المرشد في أخبار المتكلمين ، المستطرف في الحمقى والنوادر ، المشرّف في حكم النبي (صلى الله عليه وسلم) وآدابه ومواعظه ووصاياه ، المفصل في البيان والفصاحة ، المزخرف في الإخوان والأصحاب ، المعجم ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم ، المقتبس في أخبار النحويين والبصريين وأول من تكلم في النحو وأخبار القرّاء والرواة من أهل البصرة والكوفة ، الموسّع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ولحن وعيوب الشعر ، المنير في التوبة والعمل الصالح ، المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهلية والإسلام ودياناتهم ونَحلِهم ، الموثّق في أخبار الشعراء الجاهليين والمخضرميين والإسلاميين على طبقاتهم ، الواثق في وصف أحوال الغناء والمغنيين الإماء والأحرار وله غير ذلك " [1] .

من خلال المؤلفات الجمّة للمرزباني نلاحظ أنّه اهتم بالشّعراء من جوانب متعددة : أحوالهم ، طبقاتهم ، دياناتهم ، نِحلَهم ، كما اهتم بالشعر من

---

(1) معجم الشعراء ، 18/ 269 - 272

حيث محاسنه وأوزانه وعيوبه ، وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائليه ومنشديه ، وبيان منحوله ومسروقه ، فعن الشعراء مثلاً نراه قد جمع الكثير منهم في معجم أطلق عليه " معجم الشعراء " ، وربما كانت هذه الفكرة نابعة من كتاب ألفّه الآمدي " المختلف والمختلف " ، إذا كان الآمدي معاصراً له ، فأرّخ للشعراء الذين تشابهت أسمائهم وهم مختلفون . فالآمدي في تأليفه راعى ترتيب الشعراء أبجدياً ، مما حدا بالمرزباني أن يرتّب الشعراء أيضاً على حروف المعجم ، حتى يكون مرجعاً للباحثين في عصره وبعده ، قال ابن النديم واصفاً الكتاب : " وكتاب المعجم له ، وذكر فيه الشعراء على حروف المعجم ، بدأ بمن أوّل اسمه ألف إلى حرف الياء . وفيه خمسة آلاف اسم ، وفيه من شعر كل واحد منهم أبيات يسيرة من مشهور شعره ، فيه ألف ورقة " [1] .

ولكنّ الكتاب المطبوع الذي بين أيدينا يبدأ بحرف العين ، وأنه لا وجود لحروف أخرى مثل الغين واللاّم والنون والواو ، عدا عن خلوّ الكتاب من مقدمة – كعادة المؤلفين الكبار – فنراه في ترجمته للشعراء ، متسلسل بهم ، فيبدأ بالشعراء الذين تقع أسمائهم تحت حرف معيّن ، ويسمّون باسم واحد ، تسلسلاً تاريخياً ، فمثلاً الشعراء الذين سمّوا بعمرو ، فيبدأ بمن عاش في الجاهلية ثم الاسلام ثم في العصر الأموي ثم العبّاسي . فغالباً ما يذكر اسمه ونسبه وكنيته وصفاته ، ثم يذكر أهم حادثة أو موقف في حياة الشاعر، ويشير إلى أهم ما قاله الشاعر أو قاله غيره في هذه المناسبة من الشعر . وغالباً ما يجتهد المؤلف في تحديد عصر الشاعر ، إما عن طريق ذكر تاريخ ميلاده ووفاته ، كما فعل ابن الرومي . قال المرزباني : " ولد في رجب سنة

---

(1) الفهرست ، 192

إحدى وعشرين ومائتين في الجانب الغربي بالعتيقة من الجانب الغربي من مدينة السلام وتوفي في الجانب الشرقي في شارع سوق العطش في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين ودفن في مقابر باب البستان " [1] .

أو يجتهد في ذكر تاريخ الوفاة فحسب ، كما فعل مع الشاعر علي بن ابراهيم الخزاعي ، وأبي الحسن علي بن العباس النوبختي وغيرهما . قال المرزباني: " أبو الحسن علي بن العباس النوبختي أحد مشايخ الكتاب وأهل الأدب والمروءة ، توفي في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد سنّ عالية "[2] .

وإذا جهل تاريخ الشاعر يؤرخ لحياته ، ويربطه بشخصية تاريخية معروفة في عصره ، أو حادثة تاريخية مشهورة . ثم نراه في النهاية يأتي بنموذج جيد من شعر الشاعر المترجم له ، ويحرص على أن يكون الشعر المختار مرتبطاً بحادثة أو موقف معين .

والمرزباني يتحرّى رواية الشعر من أجل تمييز الشعر الأصيل من المنتحل ، وما يسرق الشعراء شعر بعضهم من بعض . والكتاب مهمّ بحيث نراه يبحث في الشعراء المغمورين ، وفي دقة نسبة الشعر إلى صاحبه . والمرزباني في نقده وروايته موصول بأحمد بن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة ، يقول : " أخبرني أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عن أبيه ، قال : سمع أعرابي رجلاً ينشد شعراً لنفسه ، فقال : كيف تراه ؟ فقال : شعراً لا حلاوة له " [3] . فالإسناد هنا إلى أعرابي . وهذا من نقد الإعراب إذ رأى أن ما عُرض عليه له صورة الشعر وليس فيه من طعمه شيء .

---

(1) المرزباني ، 128

(2) م ، ن . ، 137

(3) الموشح ، 554

نموذج من كتاب " معجم الشعراء " باب ذكر من اسمه الفرات :

فرات بن حيان كان دليل قريش في الجاهلية ، وهو ممّن هجا رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم مدحه فقبل مدحه. وله يقول حسان بن ثابت :

فإنْ نلقَ في تطوافنا وابتغائنا فراتَ بن حيان يقظ هنَ هالكِ

فأجابه فرات ويقال هي لأبي سفيان بن الحارث :

أبوكَ أبو سوءٍ وخالكَ مثلهُ ولست بخيرٍ من أبيكَ وخالكا

يصيبُ وما يدري ويخطي وما درى وكيف يكون النوكَ إلاّ كذالكا

الفرات بن أبي الخنساء الجشمي ، أحد بني جشم بن عبشمس بن سعد بن زيد بن تميم . خطب امرأة فأبت عليه وتزوّجت أباه فقال الفرات :

يا أمَّ عُلوانَ هَلا كُنْت قُلْتُ لَهُمْ إذ يقرنونك إني أبغضُ الشمطا

ما خير زوجٍ فتاة لا يداعبها وإنْ تنقط ألا يبصر النقطا

ألم ترى شيخكم شابتْ مفارقهُ واللحم عنْ عضدهِ قد خلَّ واختلطا

ولأبيه جواب عن هذه الأبيات .

الفرات السّني من شعراء خراسان سأله رجل عن يزيد بن المهلب وقتيبة بن مسلم أيهما أفضل

فقال :

سأنطق حقاً فيهما إذ سألتني وليس أخو حقٍّ كحيرانَ جاهلُ

هما البحر للعافين والمبتغي القرى وليثاً عرين عند وقع المناصلِ

هما يردان الموتَ لا يرهبانهِ إذا ضجَّ منهُ كلُّ أشوس باسلِ

حياءً وبذلاً للنفوسِ وحسبةً بكلّ سريجي وأسمر عاسلِ

وله يمدح قتيبة بن مسلم :

يرى الموت من عادى قتيبةَ مجهراً ... وليس بوقـــــــافٍ ولا بمواكلِ

ولكـــــــــــــنه سمحٌ بنفسٍ كريمةٍ ... بذولٍ لـــــها يوم التفات القنابلِ

حوى السغدَ حتى شاعَ في الناسِ ذكرهُ ... ونالَ التي أعيت على المتطاولِ

---

(1) النّوك أو النوكى : الحَمْقى .

باب ذكر من اسمه الفتح

أبو محمد الفتح بن خاقان القائد . أديب ظريف له شعر ملح وهو الغالب على المتوكل والمقتول معه وهو القائل :

بَنى الحُبَّ على الجُودِ فلو ... أنْصَفَ المَعشوقَ فيه لَسَمْحِ
ليس يستملحُ في وصف الهوى ... عاشق يحسنُ تأليفَ الحججِ

وله :

أيها العاشق المعذبُ صبراً ... فخطايا أخي الهوى مغفورةٌ
زفرة في الهوى أحط الذنب ... من غزاةٍ وحجةٍ مبرورةٍ

الفتح بن الحجاج يقول في علي بن هشام القائد يمدحه :

في كلِّ يومٍ له فتحٌ يقامُ بهِ ... على المنابرِ وتقرابهُ الكتبُ

---

(1) معجم الشعراء ، 170 - 171

الفصل الثالث

محمد بن الحسن الحاتمي

قال ياقوت : " أبو علي ذكره الخطيب في تاريخه فقال : " روى عن أبي عمرو عنه أخباراً في مجالس الأدب ، قلت أنا : وأدرك ابن دريد وأخذ عنه ، وهو من حذّاق أهل اللغة والأدب شديد العارضة ، وكان مُبغضاً إلى أهل العلم فهجاه ابن الحجاج وغيره بأهاج مُرَّة . وذكره الثعالبي فقال : " محمد بن الحسن الحاتمي حسن التصرّف في الشّعر مُوفٍ على كثير من شعراء العصر وأبوه أيضاً شاعر . وأبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم قال : وليس يحضرني من شعره إلاّ بيتان :

لي حَبِيبٌ لَوْ قِيلَ لي ما تَمنَّى ؟ ... ما تَعدَّيْتُهُ ولو بِالمَنونِ

أَشْتَهِى أَنْ أَحُلَّ في كُلِّ جِسْمٍ ... فَأَراهُ بِلَحْظِ تِلْكَ العُيونِ

قال ابن خلكان : " أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر ، الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي ، أحد الأعلام المشاهير المطلعين المكثرين ، أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد غلام ثعلب : وروى عنه أخباراً وأملاها في مجالس الأدب ، وأخذ عنه جماعة من النيلاء : منهم القاضي أبو القاسم التنوخي ، وله " الرسالة الحاتمية " التي شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره ، ولقد دلت على غزارة مادته وتوفر اطلاعه.

---

(1) معجم الأدباء ،154/18 - 155 (2) وفيات الأعيان ، 362/4 - 367

وتوفي الحاتمي يوم الأربعاء لثلاث بقي من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى " . وذكر ياقوت الحموي له مصنفات كثيرة منها : " كتاب الموّضحة في مساوئ المتنبي ، كتاب حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، الهلباجة في صنعة الشعر ، كتاب سر الصنّاعة في الشعر أيضاً ، كتاب الحالي والعاطل في الشعر ، كتاب المجاز في الشعر ، الرسالة النّاجية ، مختصر العربية ، كتاب في اللغة لم يتم ، كتاب عيون الكاتب ، الشَراب رسالة ، منتزع الأخبار ومطبوع الأشعار ، كتاب المعيار والموازنة لم يتم ، كتاب المغسّل وهي الرسالة الباهرة في خصال أبي الحسن البتي " [1] .

وعن الرسالة الحاتمية والسبب الحامل له على ذلك ، ذكر أنّه لما ورد أحمد بن الحسين مدينة السّلام منصرفاً عن مصر ومتعرضاً للوزير أبي محمد المهلبي ، بالتخييم عليه والمقام لديه ، التحف رداء الكِبر وأذال ذيول التيه ، وتأى بجانبه استكباراً ، وثنى عطفيه جبرية وازوراراً ، فكان لا يلاقي أحداً إلاّ أعرض عنه ، وزخرف القول عليه تمويهاً ، تخيل عجباً إليه أن الأدب مقصور دون من تعاطاه ، وكل مُجْرٍ في الخلاء يُسَرُّ والكل نبأ مستقرّ ، فظلّ يمرح في تثنيّة حتى إذا تخيّل أنّه القريع الذي لا يقارع ، والنزّيع الذي لا يُجارى ولا يُنازع ، وأنّه ربّ الغلب وملِك القصبَ ، وثقُلت وطأتُه على أهل الأدب بمدينة السلام ، فطأطأ كثير منهم رأسه وخفض جناحه ، وطامن على التسليم له جأشه ، وتخيّل أبو محمد المهلبي أن أحداً لا يقدر على مساجلته ومجاراته ، ولا يقوم لتتبعه بشيء من مطاعنه ... وجعل يلين في الاعتذار ليناً كاد يعطف عليه عطف صفحي عنه . ثم قلت : يا هذا، إن جاءك رجل شريف في نسبه تجاهلت نسبه ، أو عظيم في أدبه صغّرت

(1) معجم الأدباء ، 18/ 156

أدبه ، أو متقدّم عند سلطانه لم تعرف موضعه ، فهل العزُّ تـراث لـك دون غيرك ؟ كلا والله ! لكنّك مدّدت الكِبر ستراً على نقصك ، وضربته رواقـاً دون فيها . قال : وما هي ؟ قلت جبرني عن قولك :

فإنْ كانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ ففي النَّاس بُوقاتٌ لهَا وَطُبولُ

أهكذا تمدح الملوك ؟ وعن قولك :

وَلا مَنْ في جَنازتها تجارٌ يكونُ وَداعُهُمْ نَفْضَ النِّعالِ

أهكذا تؤَبِّن أخوات الملوك ؟ " والله لو كان هذا في أدنى عبيدها لكان قبيحاً " وأخبرني عن قولك :

خَفِ الله واستر ذا الجمالِ ببرقعٍ
فإن لحتَ حاضتْ في الخدورِ العواتقُ

أهكذا تنسب بالمحبوبين ؟ وعن قولك في هجاء ابن كَيغْلغ :

وإذا أشارَ محدثاً فكأنهُ قِرْدٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطمُ

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تعرّقت فيها الشعراء مندوحة عـن هـذا الكلام الرّذل الذي ينفر منه كلّ طبع ، ويمجّهُ كلُّ سمع . وعن قولك :

وضاقتِ الأرض حتى ظنَّ هاربهمْ إذا رأى غير شيءٍ ظنهُ رجلا

أفتعلم مرئياً يتناوله النّظر لا يقع عليه اسم شيء ؟ ما أدراك نظرت إلاّ إلـى قول جرير :

ما زلتَ تحسبُ كلَّ شيء بعدهمْ خيلاً تكرُّ عليهمُ ورجالا

فأحلت المعنى عن جهته ، وعبرت عنه بغير عبارته . وعن قولك :

أليسَ عجيباً أنَّ وصفكَ معجزٌ وأنَّ ظنوني في معاليكَ تظلعُ

فاستعرت الظلع لظنونك ، وهي استعارة قبيحة ، وتعجبت من غير متعجَّب ؛ لأنّ في أعجز وصفُهُ لم يُستنكر قصور الظنون وتحيُّرها في معاليه ، وإنما نقلته وأنشدته من قول أبي تمام :

ترقتْ مناهُ طودَ عزٍّ لو ارتقت به الريحُ فتراً لا نثنتْ وهي ظالعُ

وعن قولك تمدح كافوراً :

فإنْ نلتُ ما أملتُ منكَ فربما شربتُ بماءٍ يعجزُ الطيرَ وردهُ

إنها مدح أو ذم ؟ قال : مدح . قلت : إنك جعلته بخيلا لا يوصلك إلى خيره من جهته ، وشبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه منه بشُربك من ماء يُعجز الطيّر وردة لبعده وترامي موضوعه .

وأخبرني عن قولك في صفة كلب وظبي :

فصارَ ما في جلدهِ في المرجلِ فلم يضرنا معهُ فقدُ الأجدلِ

فأيّ شيء أعجبك من هذا الوصف ؟ أعذبة عبارته ؟ أم لطف معناه ؟ أما قرأت رجز ابن هانئ ، وطرد ابن المعتز ؟ [1] .

أظهرت الرسالة الحاتمية موقف الحاتمي من قضايا النقد الأدبي ، فأظهرت رأيه في حدود االشعر ، وفي الاستعارة ، وفي عيوب المبنى الشعري ، وفي السّرقة ، وفي المفاضلة أو الموازنة بين ما ابتكر من معانٍ لدى المتنبي وبين الطائيين (أبو تمام والبحتري) ، ودلّت على مدى اطّلاع الحاتمي وقدرته على الحفظ للأشعار واللغة ، واستغلال هذه الميزة في دراسة السرقات الشعرية ، ولكّن الرسالة تظهر الانفعال الواضح في أكثر مراحلها ، والتحامل البيّن الفاضح

---

(1) معجم الأدباء ، 18/ 164 – 166

تجاه عيوب المتنبي ومساوئه . ويظهر التباين الواضح بين ما وضعه من قواعد نقدية تم شرحها ، ومدى مباينة أبي الطيب في بعض شعره لها ، فحدود الشعر عند الحاتمي أربعة : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، وأن تكون ألفاظه عذبة مصطحبة ومعانيها لطيفة واستعاراته واقعة وتشبيهاته سليمة ، وأن يكون سهل العروض ، رشيق الوزن ، متخيّر القافية . رائع الابتداء ، بديع الانتهاء . فالحاتمي في قوله هذا يوافق ابن قتيبة ، فإبن قتيبة يرى في وصف الشعر أن مادّته مؤلفة من الوزن ، اللّفظ ، المعنى ، القافية ، وحسن النظم وائتلافه ، وحسن التحبير ، وأشار هنا إلى لطف المعاني وتقييد القوافي لتلك المعاني التي انتزعها العرب من حياتهم على نحو ما يوجب الأدب أو الفن الشعري ، فكان ما جاء به الحاتمي هو توضيح للمعاني التي عالجها ابن قتيبة في وصفه للشعر . ولكننا نلحظ أن الحاتمي أولى عناية لأمور قلّل ابن قتيبة من عنايته لها ، فالحاتمي بيّن واجب الشاعر نحو قصيدته قائلاً : " ومن سبيل الشاعر أن يتحرّى لقصيدته أحسن الابتداء كما يتحرّى لها أحسن الانتهاء عند بلوغ حاجته ، وأن يجعل افتتاح كلامه أحسن ما يستطيعه لفظاً ومعنى "[1] فابن قتيبة تحدّث عن الابتداء في القصائد ، ولكنه لم يتحدّث عن مسألة انتهائها .

---

(1) الرسالة الموضحة ، 16

أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري

الحسن بن عبد الله بن سعيد بن زيد بن حكيم العسكري أبو أحمد اللغوي العلاّمة ، مولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ومات سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ... كان من الأئمة المذكورين بالتّصرف في أنواع الفنون ، والتبحّر في فنون الفُهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف . ومن جملته : كتاب صناعة الشعر ، الحكم والأمثال ، راحة الأرواح ، الزّواجر والمواعظ ، تصحيح الوجوه والنظائر . وسمع من أبي القاسم البغوي ، وابن أبي داود السجستاني ، وأكثر عنهم وبالغ في الكتابة ، وبقي حتى علا به السّنّ ، واشتهر في الآفاق بالدراية والاتقان ، وانتهت إليه رياسة التحديث ، والإملاء للآداب والتدريس . وكان الصاحب بن عباد الوزير يتمنّى لقاء أبي أحمد العسكري [1] . قال ابن خلكان : " وكان الصاحب بن عباد يودّ الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلاً ، فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بُويه : إن عسكر مكرم قد اختلّت أحوالها ، وأحتاج إلى كشفها بنفسي ، فأذن في ذلك ، فلما أتاها توقّع أن يزوره أبو أحمد فلم يزره ، فكتب الصاحب إليه:

وَلمَّا أَبيتمُ أَنْ تَزوروا وَقُلْتُم ضَعُفْنا فلَم نَقْدر على الوَخَدانِ

أَتَيْناكُم مِنْ بُعدِ أرض نزوركم وكم منزل بكر لنا وعوانِ

نسائلكم هل من قِرىً لنزيلكم بملء جفون لا بملء جفانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئاً من النثر ، فجاوبه أبو أحمد عن النثر مثله ، وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور ، وهو :

أهمُّ بأمرِ الحزم لو أستطيعهُ وقد حيل بينَ العيرِ والنزوانِ

(1) معجم الأدباء ، 8/ 233 - 148

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له ، وقال: والله لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الرويّ " . وهذا البيت لصخر بن عمرو بن الشّريد أخي الخنساء ، وهو من جملة أبيات مشهورة :

أرى أم صخرٍ لا تملُّ عيادتي ... وملتْ سليمى موضعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكونَ جنازةً ... عليكَ ومن يفترَّ بالحدثانِ
لعمري لقد نبهتَ من كانَ نائماً ... وأسمعتَ من كانت له أذنانِ
وأي آمرئٍ ساوى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاشَ إلاّ في شقاً وهوانِ
أهم بأمرِ الحزمِ لو أستطيعهُ ... وقد حيل بين العير والنزوانِ
فللموت خيرٌ من حياةٍ كأنها ... معرسُ يعسوبٍ برأس سنانِ [1]

قال العسكري : " هذا الخليل بن أحمد ، وحمّاد الرواية ، وخلف ، والأصمعي ، وسائر من يقول الشعر من العلماء ، وليس شعرهم بالجيد من شعر زمانهم ، بل في عصر كل واحد منهم خلقٌ كثير ليس لجماعتهم علمُ واحد من هؤلاء ، وكلهم أجود شعراً ، فقد يقول الشعر الجيد من ليس له المعرفة بنقده ، وقد يميّزه من لا يقوله " [2] . موقف العسكري هذا يدنيه من موقف ابن قتيبة إلاّ أنه يختلف قليلاً : لأنّه لم يستثن خلفاً الأحمر من طبقة الرواة كما فعل ابن قتيبة ، عندما رأه مطبوعاً على قول الشعر ، كما لم يستثن ابن قتيبة حماداً الرواية الذي شبهه المفضل الضبي بشعراء الجاهلية لقوّة طبعه في قول الشعر .

فالاتفاق بين الناقدين ، هو في أن شعر العلماء لم ينتفع بعلم الشعر ؛ لأنّه فقد الطبع ، فالطبع جوهر الشعر وروحه فإذا فقده أصبح مادة بلا روح ولا حياة.واتفقا في نظرتهما إلى المعاني الشعرية في حدودها الفنّية . وقد

(1) وفيات الأعيان ، 2/ 83 – 84 (2) المصون في الأدب ، 14

كانت نظرة العسكري أقرب إلى رؤية المبردّ في صياغَها ، قال العسكري : " العرب تشبّه على أربعة أضرب : تشبيه مفرط ، وتشبيه معيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه " [1] .

وهذه المصطلحات (الإفراط ، الإصابة ، المقاربة ، التفسير) أمور متعلقة بالمعاني التي تؤديها وترمي إليها التشبيهات في الشعر . وهي إن دلّ على شيء فإنّما تدلُّ على عيوب الشعر ومحاسنه ؛ فمن تلك العيوب : الإفراط كالغلو والكذب إذا تعلق الأمر بالوصف ، ومنها المقاربة في التشبيه إذا كان الشاعر يصوّر – والتصوير والوصف مشتبكان – والمشكل من الشعر ما يحتاج إلى تأويل وتوضيح . فالإفراط والإشكال عيبان من عيوب الشعر " والإصابة والمقاربة يُعدّان من محاسن الشعر ، وهما من مقومات عمود الشّعر وتقاليده الموروثة .

ويتفقّان في الأخذ عن الرّواة ، واثبات مأثوراتهم النقدية ، فهذا ابن قتيبة يقول : " قال الأصمعي : ولم أسمع قطُّ ابتداء مرثّيةٍ أحسنُ من ابتداء مرثيته (يعني أوس بن حجر) :

أيتها النفسُ أجملي جزعا إنَّ الذي تحذرينَ قد وقعا [2]

وهكذا العسكري يصوغ هذا الخبر بقوله : " قال الأصمعي : أرثى بيت قيل في الجاهلية :

أيتها النفسُ أجملي جزعا إنَّ الذي تحذرينُ قد وقعا [3]

هذا وإن نقدهما متفّق على سوق أخبار الرواة ، ولكنّ الغاية تختلف باختلاف غاية الكُتّاب وطبائع المؤلفين .

---

(1) المصون في الأدب ، 57 (2) الشعر والشعراء ، 117

(3) المصون في الأدب ، 16

عثمان ابن جنّي

قال ياقوت : " عثمان بن جنّي أبو الفتح النّحوي ، من أحذق أهل الأدب وأعلم بالنحو والتّصريف ، وصنّف في ذلك كُتباً أبرَّ بها على المتقدّمين ، وأعجز المتأخرين ، ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التّصريف ، ولم يتكلّم أحدٌ في التصريف أدقّ كلاماً منه ، ومات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة في خلافة القادر ، ومولده قبل الثلاثين وثلاثمائة ، وذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي في دمية القصر فقال : " ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما لَهُ ، فقد وقع عليها من ثمرات الإعراب ولا سيّما في علم الإعراب ، ومن تأمّل مصنّفاته وقف على بعض صفاته ، فوربّي إنّه كشف الغطاء عن شعره ، وما كنت أعلم أنّه ينظم القريض أو يُسيغ ذلك الجريض حتى قرأت له مرثّية في المتنبّي أوّلها :

غَاضَ القَريضُ وَأَذْوَتْ نُضْرَةُ الأَدَبِ ... وَصَوَّحَتْ بَعْد رِيِّ دَوْحَةُ الكُتُبِ

سُلِبَتْ ثَوْبَ بَهاءٍ كُنْتَ تَلْبَسُهُ ... كَما تُخطَّفُ بالخطِّيَّةِ السَّلَبُ

ما زِلْتَ تَصْحَبُ في الجُلَّى إذا انشعَبَتْ ... قَلْباً جَميعاً وعَزْماً غَيرُ مُنْشَعِبِ

فاذهَبْ عليكَ سَلامُ المَجدِ ما قَلِقَتْ ... خُوصُ الرَّكائِبِ بالأَكوارِ والشُّعُبِ[1]

قال ابن خلكان :" أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي النحوي المشهور ؛ كان إماماً في علم العربية ، قرأ الأدب على أبي علي الفارسي ، وفارقه وقعد للإقراء بالموصل...وله أشعار حسنة ، ويقال إنّه كان أعور"[2] .

---

(1) معجم الأدباء ، 12/ 81 – 89

(2) وفيات الأعيان ، 3/ 246

وعن مؤلفاته قال ياقوت : " كتب ابن جنّي : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر – أدام الله عـزه – أن يروي عني مصنّفاتي وكتبي ممّا صحّحه وضبطه عليه أبو أحمـد عبـد السلام بن الحسين البصري – أيّد الله عزه – : عنده منها كتـابي الموسـوم بالخصائص ، وكتابي التمّام في تفسير أشعار هـذيل ، وكتـابي فـي سـر الصناعة ، وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بـن بقيـة المازني ، وكتابي شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شـعرائها ، وكتابي في شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن اسحق السّكّيت ، وكتابي في تعاقب العربية وأطرف به ، وكتابي في تفسير ديوان المتنبـي الكبيـر ، وكتابي في تفسير معاني هذا الدّيوان ، وكتابي اللّمَع في العربيـة ، وكتـابي مختصر التصريف، ومختصر العروض والقوافي ، والألفـاظ المهمـوزة ، وكتابي في اسم المفعول المعتلّ العين من الثلاثي على إعرابه في معناه وهو المقتضب ، وكتابي في المحاسن في العربية ، والنوادر المتمتعة في العربية، ... ومن كتبه ما لم تتضّمنه هذه الإجازة : كتاب المحتسب في شرح الشواذ ، تفسير أرجوزة أبي نواس ، كتاب تفسير العَلويّات وهي أربع قصائد للشريف الرّضي كل واحدة في مجلد ، ... وكتاب البُشرى والظّفر صنعه لعضد الدّولة ، وكتاب رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدّات ، كتبها المنتصف، مقدمات أبواب التصريف ، النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته، المغرب في شرح القوافي ، الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام ، الوقف والإبتداء ، كتاب الفِرق ، المعاني المجرّدة ، الفائق ، الخطيب ، الأراجيز، كتـاب ذي القدِّ في النحو ، شرح الفصيح ، شرح الكافي في القوافي ، المحتسب في علل شواذ القراءات " [1] .

---

(1) معجم الأدباء ، 12/ 109 – 113

ومن جهود ابن جنّي الإيجابية ما رآه من أنّ كثيراً من الذين يحملون على المتنبي إنّما يفعلون ذلك لأنّه يدقّ عليهم إدراك معانيه ومقاصده ، فقام بشرح ديوانه ، واستخرج أبيات المعاني منه وأفردها في كتاب ، كما كتب كتاباً وسمه بالنّقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته " . ورغم اعجابه بالمتنبي فإنّه أوضح أن في شعره صعوبتين : إحداهما تعسّف في بعض ألفاظه خرج بها عن القصد في صناعة الإعراب ، فجاء بالشاذ وحمل على النادر ، والثانية ، عمق في معانيه تتطلب إعمال الفكر وطول البحث وتكرار التأمل كونه شاعراً يخترع المعاني ويستقصيها ويغوص فيها .

وكان ابن جنّي كثير الثناء على المتنبي ، ولا يقول عنه إلاّ شاعرنا . وقد نظر إلى الشعر نظرة الفقيه اللغوي الباحث عن وظيفة اللفظ المفرد في الحياة ليدرك المعاني التي تحتشد عند تلقيها على ذهن المتلقي . أمّا ابن قتيبة فقد نظر إلى اللفظ في سياق الشعر لتحديد أبعاد معناه في السّياق نفسه ، بغض النظر عن دلالاته الحبسية بأسوار الحياة ؛ وعن ضوابط النّص الشعري وعوالمه . وهذا ما يوسع الخلاف بين الناقدين . قال ابن جنّي متعقباً ابن قتيبة : " فإن قلت : فإنا نجد من ألفاظهم ما قد نمّقوه ، وزخرفوه ، ووشّوه ، ودّبجوه ، ولسنا نجد مع ذلك تحته معنى شريفاً ، بل نجده قصداً ولا مقارباً ، ألا ترى إلى قوله :

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ ومسحَ بالأركانِ من هو ماسحُ
أخذنا بأطرافِ الأحاديث بيننا وسالت بأعناقِ المطي الأباطحِ

فقد ترى إلى علو اللفظ ومائه ، وصقاله ، وملامح أنحائه ، ومعناه مع هذا ما تحسّه وتراه : إنّما هو لمّا فزعنا من الحج ركبنا الطريق راجعين ،

وتحدثنا على ظهور الإبل ، ولهذا نظائر كثيرة ، شريفة الألفاظ رفيقها ، مشروفة المعاني خفيفتها .

قيل : هذا الموضع قد سبق إلى التعلّق به ، من لم ينعم النظر فيه (ربما قصد ابن قتيبة) ، ولا أرى ما أراه القوم منه ، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الناطق . وذلك أنّ في قوله (كلّ حاجةٍ) ما يفيد منه أهل النّسيب والرقة، وذوو الأهواء والمقة ما لا يفيده غيرهم ، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم ن ألا ترى أنّ من حوائج (منى) أشياء كثيرة ، غيرها الظاهر عليه ، والمعتاد فيه سواها لأنّ منها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، إلى غير ذلك مما هو تالٍ له ، ومعقود الكون به . وكأنه صانع عن هذا الموضع الذي أوما إليه ، وعقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت :

وَمُسِّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ ماسِحُ

أي : إنّما كانت حوائجنا التي قضيناها ، وآرابنا التي أنضيناها ، ومن هذا النحو الذي هو مسّح الأركان وما هو لاحق به ، وجار في القربة من الله مجراه، أي : لم يتعد هذا القدر المذكور إلى ما يتحمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح .

وأما البيت الثاني فإنّ فيه :

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحادِيثِ بَيْنَنا

وفي هذا ما اذكره : فتعجب ممّن عجب منه ، ووضع من معناه . وذلك أنّه لو قال : أخذنا في أحاديثنا ، ونحو ذلك لكان فيه معنى يُكبره أهل النسب : وتعنوله ميعة الماضي الصليب ... فإذا كان قدر الحديث – مرسلاً – عندهم هذا على ما ترى فكيف به إذا قيّده بقوله :

بأَطْرافِ الحَدِيثِ .

وذلك أن في قوله : (أطراف الحديث) وحياً خفياً ، ورمزاً حلواً ، ألا ترى أنه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبّون ، ويتفاوضه ذوو الصّبابة المتيمون ، من التعريض والتلويح ، والإيماء دون التصريح ... نعم ، وفي قوله :

وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِّي الأَباطِحُ

من الفصاحة مالا خفاء به ، والأمر في هذا أسير ، وأعرف ، وأشهر " [1] .

وهذا الخبر يفيد أن ابن قتيبة قد سبق مخاطبه إلى التعلق بهذا الرأي ممّا يدلُّ على وجوده قبله ، وإنّما أخذه وسلّم بصحته . ونرى ابن جنّي لا يتقيد بالنّص وإنّما يخرج به إلى ما يجده كل متلق كما لو أن اللفظ قد خرج من الشعر إلى الإلقاء ، واختبار ردود الفعل عند المتلقين . فنراه يجول حول المعاني القابعة وراء قول الشاعر . بينما ابن قتيبة القاضي لا يقبل الافتراضات الذهنيّة غير الموجودة في البناء الشعري نفسه .

ممّا يؤيد رأي ابن قتيبة أن ابن جنّي كان من العجم ن وكانت العربية لديه حبّ كأنها تبدأ بتعلمّها ، فقد رأى أن هذه المعاني شريفة بمعنى أنها لطيفة ، عُبر عنها بالصورة . في حين رأى ابن قتيبة أنّ معانيها لا تلطف لكثرة استعمالها . فما قدّمه ابن جنّي قد وافق منهجه وشرطه وكذلك ابن قتيبة، وإنّما اختلفت آراؤهما لاختلاف شروطهما .

---

(1) الخصائص ، 1/ 217

الحسن بن وكيع التنيسي

أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبّي المعروف بابن وكيع التّنيسي الشاعر المشهور ؛ أصله من بغداد ومولده بتنيس . ذكره أبو منصور الثعالبي في " يتيمة الدهر " ، وقال في حقّه : " شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أول زمانه ، فلم يتقدمّه أحد في أوانه ، وله كلّ بديعة تسحر الأوهام ، وتستبعد الأفهام " . وذكر مزدوجته المربّعة . وهي من جيد النظم وأورد له غيرها . وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يبيّن فيه سرقات أبي الطيب المتنبي سمّاهُ " المنصف "، وكان في لسان عجمه ، ويقال له العاطس .

ومن شعره :

سَلا عَنْ حُبِّكَ القَلْبُ المَشُوقُ فَما يَصْبُو إِليكَ وَلا يَتُوقُ

جَفاؤُكَ كانَ عَنْكَ لَنا عَزاءً وَقَدْ يُسْلِي عَنِ الوَلَدِ العُقوقُ

وكانت وفاة ابن وكيع سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بمدينة تنيس . ودُفن في المقبرة الكبرى في القبّة التي بنيت له بها ، رحمه الله تعالى [1] .

تحدّث ابن وكيع في السّرقات الشعرية ، وأنّ في السرقة ما يوصف بالجودة ، وما يوصف بالرداءة ، وأنها شيء عام في الشعر قديماً وحديثاً يكاد لا يسلم منها شاعر ، ولم يكن المتنبي بمنأى عن ذلك ، وكان ابن وكيع في سرقاته ينقل ما تردّد في كتب الأدب والنقد السابقة عامّة ، وعلى كتب ابن قتيبة والصولي وابن أبي طاهر خاصة .

---

(1) وفيات الأعيان ، 2/ 106

والسرقات عند ابن وكيع عشرة أقسام،وله عشرة أضداد والعشرة الحسنةهي:

1. استيفاء اللّفظ الطويل في الموجز القليل .
2. نقل اللفظ الرّذل إلى الرصين الجزل
3. نقل ما قبح مبناه دون معناه إلى حين ما حسن مبناه ومعناه
4. عكس ما يصير بالعكس ثناءً بعد أن كان هجاءً
5. استخراج معنى من معنى احتذي عليه وإن فارق ما قصد به إليه
6. توليد معان مستحسنات في ألفاظ مختلفات
7. مساواة الأخذ من المأخوذ منه في الكلام ، حتى لا يزيد نظام على نظام، وإن كان الأوّل أحقّ به لأنّه ابتدع والثاني اتبع .
8. مماثلة السارق المسروق منه بزيادة لفظه على لفظ من أخذ عنه
9. رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظه من أخذ عنه .
10. أخذ اللفظ المدعى ومعناه معاً ، وهذا من أقبح أقسام السّرقات [1] .

ولكي يكون حكم الناقد سليماً لا بد له أن يتعرف إلى فنون البديع ، حتى يستطيع الحكم على جمال الاستعارة ، وصحة المقابلة ، ويميّز الإشارة وغيرها . وغاية ابن وكيع هي كشف وإبراز سرقات المتنبي ، ويتبع في ذلك منهجاً إذ انّه لا يقف عند الأبيات الفارغة والمعاني المكررات كتشبيه الوجه بالبدر ، ونراه عند كل سرقة يحكم ان كان المتنبي قصر أو ساوى أو زاد فيها . هناك دلالات تؤكد أن علم ابن قتيبة بالشعر كان في حسبان ابن وكيع وهو يعدُّ كتابه " المنصف " ، فالأخذ عند ابن قتيبة ظاهرة حيّة في الشعر إذا أحسن الأخذ وأجاد المعنى . ونلمح أن قول ابن وكيع في الأخذ واختلاف درجاته قد كثر ، وتحوله إلى سرقة إذا لم يتبع الشاعر أساليب أسلافه في الأخذ عنهم .

(1) تاريخ النقد الأدبي ، 296

الفصل الرابع

أبو هلال العسكري

الحسن بن عبد اله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري " أبو هلال اللغوي " ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر . وله في اللغة كتاب سمّاه التلخيص، وكتاب صناعتي النّظم والنثر ، وكتاب جمهرة الأمثال ، كتاب معاني الأدب ، وكتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة ، وكتاب البصرة ، شرح الحماسة ، الدِّرهم والدينار ، المحاسن في تفسير القرآن ، العُمدة ، فضل العطاء على العُسر ، كتاب ما تلحن فيه الخاصة ، أعلام المعاني في معاني الشعر ، كتاب الأوائل ، كتاب ديوان شعره ، الفرق بين المعاني ، نوادر الواحد والجمع ، قال المؤلف : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أنّي وجدت في آخر كتاب الأوائل عن تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشرٍ خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة[1] .

وفي مقدمة كتاب الصناعتين قال أبو هلال : " إنّ أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الايجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، وضمنه من الحلاوة ، وجلّله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ... ولهذا العلم بعد ذلك فضايل مشهورة ، ومناقب معروفة منها أنّ صاحب العربية

---

(1) معجم الأدباء ، 8/ 258 – 264

إذا أخلّ بطلبه وفرط في التماسه ، فاته فضيلته . وعلقت به رذيلة فوته ، عضّ على جميع محاسنه ، وعمّى سائر فضائله ؛ لأنّه إذا لم يفرق بين كلام جيّد ، وآخر رديء ، ولفظ حسن ، وآخر قبيح ، وشعر نادر ، وآخر بارد ، بان جهله، وظهر نقصه ، وهو أيضاً إذا أراد أن يضيع قصيدة ، أو ينشئ رسالةً ، وقد فاته هذا العلم ، مزج الصفو بالكدر وخلط الضرر بالعرر (القذر) واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل ، وعبرة للعاقل ... وإذا أراد تصنيف كلام منثور ، أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذا العلم ، وساء اختياره له وقبحت آثاره فيه ، فأخذ الرديء المرذول وترك الجيد المقبول ، فدلّ على قصور فهمه ، وتأخر معرفته وعلمه [1] .

يقول العسكري : " ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدمهم والصبّ على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الأولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرفها فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها ... على أن المعاني مشتركة بين العقلاء فربّما وقع المعنى الجيّد للسّوقي والنبطي والزنجي- وإنّما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفهم ونظمها . وقد يقع للمتأخر معنىً سبقه إليه المتقدم من غير أن يلّم به ولكن كما وقع للأول وقع للآخر [2].

ففي تعليقه على بعض السّرقات نراه يستخدم بعض المصطلحات : " وإن كان أخذه من ... وممن أخفى الأخذ ... أحسن لفظاً وسبكاً ... أفخم لفظاً ... أحسن رصفاً ... وقريب منه ... " .

---

(1) الصناعتين ، 9 – 13 (2) م . ن . ، 217

قال البحتري :

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتسامِها وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الحَدِيثِ تُساقِطُهْ

أحسن لفظاً وسبكاً من قول أبي حيّة :

إِذا هُنَّ ساقَطْنَ الحَدِيثَ كَأَنَّهُ سِقاطُ حَصَى المَرْجانِ مِنْ سِلْكِ نَاظِمِ[1]

وقال العسكري إنّ المحلول من الشعر على أربعة أضرب ... ضربٌ منها يكون بإدخال لفظة بين ألفاظه ... وضرب ينحل بتأخير لفظةٍ منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم ... وضرب منه ينحل على هذا الوجه ولا يحسن ولا يستقيم ... وضرب تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك وهذا أرفع درجاتك [2] .

ولم يكتف العسكري بتناول الشعر وضروبه والسرقات ، بل غاص في شرح البديع وأبان وجوهه وحصر أبوابه وفنونه ، وذكر الاستعارة والمجاز، والتطبيق ، والتجنيس ، والمقابلة ، وصحة التقسيم ، والغلوّ ، وصحة التفسير، والإثارة وغير ذلك . قال العسكري : " فهذه أنواع البديع التي ادّعى من لا روّية له ولا رواية عنده أنّ المحدثين ابتكروها وأنّ القدماء لم يعرفوها: وذلك لمّا أراد أن يفخم أمر المحدثين ... لأنّ هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف . وبرئ من العيوب ، كان في غاية الحسن ، ونهاية الجودة ، وقد شرحت في هذا الكتاب فنونه ، وأوضحت طرقه ، وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع : التشطير، المجاورة ، التطريز ، المضاعف، الاستشهاد ، التلطف ... وشذبت على ذلك فضل تشذيب ، وهذّبته زيادة تهذيب ، وبالله أستعين " [3] .

---

(1) م . ن . ، 229 (2) الصناعتين ، 237 (3) م . ن . ، 294

وعن الكتاب يقول الدكتور إحسان عباس : " ولو كنّا نتصدى لتحقيق كتاب الصناعتين في هذا المقام لرددنا كل ما فيه إلى مصادره ، ولهذا السبب لا نرى لهذا الكتاب في تاريخ النقد أية قيمة جديدة ؛ وتنسيقها أقبح حاجة ملحة لدى طلاب النقد والبلاغة في أواخر القرن الرابع . وما أمنع أن تكون فائدته هي ترسيخ الآراء النقدية التي جاء بها نقاد القرنين الثالث والرابع في نفوس الدارسين على نحو واضح مبسوط مزوّد بكثير من الأمثلة " [1] .

ليس لأبي هلال في هذا الكتاب إلاّ تنسيق المادة وترتيبها في فصول والاستكثار من الأمثلة ، فنراه في الصفحات (104 – 122) يفضل نظرية قدامة في قيام المدح على الفضائل ونظريته في الهجاء ، فالأمثلة نفسها مستمدة من " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر . قال العسكري : " ومن عيوب المدح ... قول أيمن بن خزيم أيضاً في بشر بن مروان :

فَإنْ أَعْطَاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ رأى حقاً عليه أنْ يزيدا
وأعقب مدحتي سرجاً خلنجاً وأبيض جوزَ جانياً عنوداً
وإنا قد رأينا أم بشر كأم الأسد مذكاراً ولوداً [2]

جميع هذا الكلام جاء على غير الصواب ... إلاّ في ابتداء وصفه في التناهي في الجود ... ثم انحط إلى ما لا يقع مع الأوّل موقعاً وهو السّرج وغيره ... وأتى في البيت الثالث بما هو أقرب إلى الذّم منه إلى المدح ... وهو قوله :

وإنا قدْ رأينا أمَّ بشرٍ كأمِّ الأسدِ مذكاراً ولودا

لأنّ الناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة أعسر وأولادها أقل ... كما قال الأوّل :

بُغاثُ الطيرِ أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مقلاتٌ نزورُ [3]

---

(1) تاريخ النقد ، 357 (2) الصناعتين ، 116 (3) نقد الشعر ، 186

كما استمد كثيراً من كتاب الآمدي " الموازنة " ، مثل شرحه المعاظلة، ونقل ردّ الآمدي على قدامة بن جعفر في تحديدها ، والاستعارات الرديئة عند أبي تمام منقولة عن الموازنة . ذكرها العسكري في صفحات كتابه (334 – 337) ، وذكرها الآمدي في موازنته في الصفحات (228 – 233) . قال العسكري : " وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس اغتراراً بما سبق منه في كلام القدماء ، ممّا تقدّم ذكره فأسرف فنعى عليه ذلك وعيب به وتلك عاقبة الاسراف فمن ذلك قوله :

يا دهر قوم من أخدعيكَ فقد اضججت هذا الأنامَ من خرقكَ [1]

وقد نقل العسكري ما جاء في وساطة الجرجاني من بعيد الاستعارات في شعر أبي تمام في الصفحات (334 – 337) ، والتي جاءت عند الجرجاني في الصفحات (70 – 72) .

وقد أورد العسكري كثيراً من عيوب المعنى في صفحات كتابه الصناعتين، ممّا نقله عن ابن قتيبة في كتابه الموسوم بالشعر والشعراء ، قال العسكري : وأما قول أبي تمام [2] فله معنى خلاف ما ذكره ، وذلك أنه أراد أنك إذا أردت الزجّر والصياغة أدّرك الحمام إلى الحمام كما أن صوتها الذي يظن أنه بكاء إنما هو طرب ويؤديك إلى البكاء الحقيقي ... وهذا المعنى الصحيح . إلاّ أن المعنى إذا صار بهذه المنزلة من الدقة كان كالمعمّى ... والتعمية حيث يراد البيان عيّ ، ومن عيوب المعنى ، قول أبي نواس في صفة الأسد :

كأنّما عينه إذا نظرتْ بارزةَ الجفنِ عين مخنوقِ

(1) الصناعتين ، 334

(2) هنَّ الحمام فإن كسرت عيافة من حائهنَّ فإنهنَّ حمامُ. الصناعتين ،133.

فوصف الأسد بالجحوظ ... وهي توصف بالغؤور ... كما قال الراجز (حميد الأرقط) :

كَأَنَّما يَنْظُرُ مِنْ خَرْقِ حَجَرْ [1]

وفي حديثه عن قبح الأخذ ، قال : " وقبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كلّه أو أكثر أو تخرجه في معرض مستهجن والمعنى إنّما يحسن بالكسوة ... سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى ... فقال رجالٍ توافق على ألسنتها . قال طرفة :

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك أسيء وتجلدِ

وهو قول امرؤ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجملِ

فغير طرفة القافية . فقد نقل العسكري حديثه عن قبح الأخذ والأمثلة عن ابن قتيبة في الشعر والشعراء [3] .

---

(1) م . ن . ، 134

(2) م . ن . ، 249 . الشعر والشعراء ، 64

بديع الزمان الهمذاني

قال الثعالبي : " هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدّهر ، وغرّة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع ، وصفاء الذّهن ، وقوة النّفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته، ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسّره ، وجاء بمثل اعجازه وسحره ، فإنّه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ... وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها ، وضمنّها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ ، بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ، ثم شجر بينه وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني ، وعكّ أمره ، وقرب نجحه ، وبعُد صيته ، إذا لم يكن في الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبرى لمباراته ، ويجترئ على مجاراته ، فلما تصدى الهمذاني لمساجلته ، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومباهاة ومناظرات ومناضلات ... وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة " [1] .

قال ابن خلكان : " أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، الحافظ المعروف ببديع الزمان ، صاحب الرسائل الرائعة ، والمقامات الفائقة ، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه ، واقتض أثره ، واعترف في خطبته بفضله ، وأنه الذي أرشده إلى ملوك ذلك المنهج ، وهو أحد الفضلاء الفصحاء ، روى عن أبي الحسين أحمد بن

---

(1) اليتيمة ، 4/ 257 - 258

فارس صاحب " المجمل " في اللغة وعن غيره ، وله الرسائل البديعة والنظم المليح ، وسكن هراة من بلاد خراسان . وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسموحاً بمدينة هراة " [1] .

وقال ياقوت : " وذكره أبو اسحق الحصري في كتاب زهر الآداب ، وقد ذكر أبا الفضل الهمذاني بديع الزمان فقال : وهذا اسم وافق مسمّاه ، ولفظ طابق معناه ، كلامه غضّ المكاسر ، أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفاً ، والهوى يعشقُهُ ظَرْفاً " [2] .

وقال الدكتور شوقي ضيف : " وللبديع رسائل كثيرة ، وهي رسائل اخوانية تتناول المديح والاستعطاف والشكر والاعتذار والعزاء والأستمناح وطلب الشراب والهجاء والتقريع ، ومنها ما هو موجه إلى الأمراء أو الوزراء أو كبار الموظفين أو شيوخه أو نظرائه من الأدباء أو إلى أهله أو إلى ذوي الوجاهة واليسار " [3] .

وقد تسمّى المقامة بأسماء البلدان التي ألمّ بها الهمذاني ، أو باسم الحيوان الذي وصفه ، أو باسم الأكلة التي طعمها أبو الفتح مثل المقامة المضيرية ، وقد تسمّى باسم موضوعها مثل الوعظية نسبة إلى الوعظ والإبليسية نسبة إلى إبليس، والقريضيّة باسم موضوعها نسبة إلى ما فيها من أحكام أدبية على الشعر والشعراء ، والتي نحن بصدد الحديث عنها . فقد أودعها ما حفظه من آراء النقّاد في الشعراء بطريقة البديع ، والجناس ، والسّجع ، وفق فن المقامات ، فأخذ آراءهم في امرئ القيس ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وطرفة بن العبد ، وجرير ، والفرزدق ، وختمها برأي عام في شعر القدامى والمحدثين .

(1) وفيات الأعيان ، 1/ 127 – 129 (2) معجم الأدباء ، 2/ 169

(3) عصر الدول والامارات ، 668

فقد قال الهمذاني في امرئ القيس :" فقلنا : ما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أوّل من وقف بالدّيار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وكناتهـا ، ووصف الخيل بصفاتها ، ولم يُجد القول راغباً ، ففضّل من تفتّـق للحيلـة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه " . وقد أورد ابن قتيبة قبله ما قاله أبـو عبيـد معمّر بن المثنّى في شعر امرئ القيس فقال : " يقول من فضّله : إنّه أول من فتح الشعر واستوقف وبكى في الدمّن ، ووصف ما فيها قال : دع ذا رغبـة عن المنسبة فتبعوا أثره ، وهو أوّل من شبه الخيل بالعصا واللّقوة والـسباع والظباء والطير فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف " [1] .

ففي قوله : " واغتدى والطير في وكناتها . إشارة إلى قول الشاعر :

وقد أغتديَ الطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيدَ الأوابدِ هيكلِ [2]

وفي قوله : " ولم يُجِد القولَ راغباً " إشارة إلى قول الإمام علـي بـن أبي طالب رضي الله عنه ، عندما سئل عن أشعر الشعراء : " لو أنّ الشعراء المتقدمين ضمّهم زمان واحد ، ونصبت لهم راية ، فجروا معاً ، علمنا مـن السابق منهم ؟ وإن لم يكن فالذي لم يقل الرغبة ، ولا لرهبة ، فقيل : ومـن هو : فقال : الكندي " وقال ابن قتيبة : " وقال العتبي : أنشد مروان بن أبـي حفصة لزهير : فقال : زُهير أشعر الناس . ثم أنشد للأعشى فقال : بل هـذا أشعر الناس. ثم أنشد لامرئ القيس ، فكأنما سمع به غناءً على شراب فقال : امرؤ القيس والله أشعر الناس " [3] . وقال لبيد بن ربيعة : أشعر النـاس ذو القروح يعني امرأ القيس [4] .

---

(1) الشعر والشعراء ، 63 (2) شرح المعلقات السبع ، 43

(3) الشعر والشعراء ، 32 (4) م . ن ، . 49

قال الهمذاني في النابغة : " قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : يثلب إذا حنق، ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب ، فلا يرمي إلاّ صائباً " [1] .

فالنابغة يثلب إذا هجا ، فكأنه يذكر قوة الهجاء الذي نسب إلى النابغة في النعمان بن المنذر ، قال النابغة في هجاء النعمان :

قبحَ الله ثم ثنى بلعنٍ وارثَ الصائع الجبان الجهولا
من يضرُّ الأدنى ويعجزُ عن ضر الأقاصي ومن يخون الخليلا
يجمع الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو ثم لا يرزء العدوُّ فتيلا [2]

وقوله : يمدح إذا رغب . فكأنه يذكر ما رواه حسان بن ثابت من قدوم النابغة على النعمان ومدحه وأخذه الجائزة . قال حسان : وفدت على النعمان بن المنذر فمدحته فأجازني وأكسر مني فإني لجالس عنده ذات يوم إذا صوت من خلف قبَّته يقول :

أنام أمْ يسمع ربُّ القبةْ يا أوهبَ الناسِ لعنسٍ صلبةْ
ضرابةٍ بالمشفرِ الأذبه ذات تجاءٍ في يديها جذبة

قال : أبو ثمامة ؟ فدخل فأنشده قصيدته التي على الباء والتي على العين ، وكان يوم ترِدُ فيه النِّعم السّود ، ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلاّ له فأمر منها بمائة بعير معها رعاؤها ومظالّها وكلا بها فلم أدر على ما أحسده على جودة شعره أم على جزيل عطيته ؟ " [3] .

---

(1) شرح مقامات بديع الزمان ، 13

(2) م . س . ، 88

(3) الشعر والشعراء ، 84

وقوله : يعتذر إذا رهب ، اعتمده على ما قاله الأصمعي عن أبي طرفة : " كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب ، والنابغة إذا وهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنتره إذا كلِب " [1] .

وفي حديثه عن جرير والفرزدق يقول : " قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ أيهما أسبق ؟ فقال : جرير أرقّ شعراً وأغزر بحراً ، والفرزدق أمتنُ صخراً ، وأكثر فخراً ، وجريراً وجع هجواً ، وأشرف يوماً ، والفرزدق أكثر روماً ، وأكرم قوماً . وجرير إذا نسب أشجى ، وإذا ثلب أردى ، وإذا مدح أسنى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى ، وإذا اقتصر أزرى ، وإذا وصف أوفى " [2].

قال جرير : النّصراني (الأخطل) أنعتنا للخمر والحُمر وأمدحنا للملوك وأنا مدينة الشّعر . قال : أبو عمرو بن العلاء : " سُئل الأخطل أيُّكم أشعر ؟ قال: أنا أمدحهم للملوك ، وأنعتهم للخمر والحُمر (النّساء) ، وأما جرير فانسبنا وأشبهنا ، وأمّا الفرزدق فأفخرنا " .

وعن الأصمعي قال : سمعت الحيّ يتحدّثون أن جريراً قال : لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشببتُ تشبيباً تحنُّ منه العجوز إلى شبابها كما تحنُّ الناب إلى سَقّيها . وكان من أشد الناس هجاءً " قال ابن قتيبة : " وكان مع حسن تشبيه عفيفاً (جرير) وكان الفرزدق فاسقاً ، وكان يقول : ما أحوجه مع عفّته إلى صلابة شعري وما أحوجني إلى رقّة شعره لما ترون " [3] .

---

(1) العمدة ، 12/ 204

(2) شرح مقامات بديع الزمان ، 15

(3) م . س . ، 305 – 306

وفي مذهب الهمذاني في القدامى والمحدثين قوله : " قلنا : فما تقول في المحدثين ؟ قال : المتقدمون أشرف لفظاً ، وأكثر من المعاني خطّاً ، والمتأخّرون ألطف صنعاً ، وأرق نسجاً " [1] .

يرى ابن قتيبة أن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلّ دهر وجعل كلّ قديم حديثاً في عصره ، وكل شرف خارجيّة في أوّله. فقد كان جرير والأخطل والفرزدق وأمثالهم يقدّمون محدثين وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث حتى لقد هممتُ بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا بعيد العهد منهم ، وكذلك يكون مَنْ بعدهم كمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانئ وأشباههم فكُلُ مَنْ أتى بحَسَنٍ من قول أو فعل ذكرناه (له) وأثنينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخّر قائله أو فاعله ولا حداث سنّة ، كما أن الرّديء إذا اورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدّمهُ " [2] .

فحكم الهمذاني على القدامى والمحدثين يأباه ابن قتيبة فيما رأينا ؛ لأنّ كل قديم كان محدثاً ، وكل محدث سيصير قديماً ، فمّا سبق يتضح لنا أن بديع الزمان ربّما أخذ عن ابن قتيبة وغيره شيئاً عن نقده ؛ ولا نستطيع الجزم بذلك ؛ لأنّ سبل الرواية كثيرة ؛ وللعلماء العرب قديماً طرق في الأخذ عن الكتب ، وما أكثرها ! .

---

(1) شرح مقامات الحريري ، 15

(2) الشعر والشعراء ، 19

أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني

قال ابن خلكان : " القاضي أبو بكر محمد بن جعفر بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور ؛ كان على مذهب الشيخ أبي موسى الأشعري ، ومؤيداً اعتقاده وناصراً طريقته ، سكن بغداد ، صنّف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره ، وكان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه ، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب ، وسمع الحديث ؛ وكان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة ، وجرى يوماً بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب ، قال : اشهدوا عليّ أنّه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب ، فقال الهاروني : اشهدوا عليّ أنّه إن أعاد كلام نفسه سلّمت له ما قال .

وتوفي القاضي أبو بكر المذكور آخر يوم السبت ، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد (رحمه الله تعالى) وصلّى عليه الحسن ابنه ، ودفنه في داره بدرب المجوس ، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب . ورثاه بعض شعراء عصره بقوله :

انْظُر إلى جيلٍ تَمْشي الرِّجالُ بهِ وَانْظُر إلى القَبْرِ ما يَحْوي مِنَ الصَّلَفِ
وَانْظُر إلى صَارِمِ الإسلامِ مُغْتمداً وَانْظُر إلى دُرَّةِ الإسلامِ في الصَّدَفِ[1]

لم يحظ كتاب الجاحظ في نظم القرآن عند الباقلاني الأشعري بالقبول فقال فيه : " وقد صنّف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله

(1) وفيات الأعيان ، 4/ 269 - 270

المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى " [1] . وتبنّى الجانب الآخر من نظرية النظم عند الجاحظ ، وهو أن موطن الاعجاز في القرآن نظمه المباين للمألوف من أساليب القول عند العرب . واتجه النقاد والبلاغيون في دراسة بيان وجه الاعجاز في القرآن عن طريق الألوان البلاغية المختلفة . فقد عمل الرّماني في رسالته النكث حيث ردّ الإعجاز إلى وجوه بلاغية عشرة هي الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان . ثم مضى يتحدّث عن كل وجه من هذه الوجوه ، ويطبقه على القرآن ، ويستشهد له بالأمثلة والنصوص ، وكان الرّماني قد استفاد من جهود سبقوه كالفرّاء وأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثعلب وابن المعتز في مباحثهم التي تدور حول فنون البلاغة وألوان البديع المختلفة ، وذكر الرّماني أن اعجاز القرآن لا يكمن في وجوه البلاغة المجرّدة ، ولا أن كل لون من ألوانها هو معجز في حد ذاته ، بل أشار إلى أن اعجازها في جمالها الفنّي ، وفي مراعاة الحروف في النظم والتأليف . بينما نجد الباقلاني "يوضح إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الاعجاز من غير أن يقارنه ما يصل به من الكلام ويقضي إليه " [2] . ويقول : " إن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنّع لها ، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقه صحّ منه التعملُ له وأمكنه نظمه " [3] .

وبعد أن اطّلع الباقلاني على جهود الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز والآمدي وقدامة اتضّح لديه تعليل الاعجاز عن طريق البديع ، أو دراسة صور القرآن البديعية ، أمّا المنحى الثاني فهو مذهب القائلين بالنظم والتأليف

(1) إعجاز القرآن ، 6 (2) اعجاز القرآن ، 271

(3) م . ن . ، 107

وهي طريقة الجاحظ والآمدي . وقام الباقلاني بايجاد الرسائل التي تسعفه على اثبات فكرة الإعجاز لدى ابن قتيبة والآمدي ، بعد أن أوضح أن الجاحظ قد قصّر في استغلال طريقة حسن التأليف .

فابن قتيبة كان قد شرح فكرة التفاوت بين قصائد الشاعر الواحد ، كما شرح التفاوت بين الشعراء ، فهذا ما حدا بالباقلاني إلى القول بأن عدم التفاوت في نظم القرآن يرتفع به عن مستوى أي شعر أو نثر ؛ لأنّه لا بد من أن يخضع هذان عند البشر للتفاوت . يقول : " ان عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام ... ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور ، فمن الشعراء من يجّود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ دون التأبين ... ومتى تأمّلت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى ، فإذا جاء إلى غيره قصّر عنه ... ثم نجد من الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد أصلاً ومنهم من ينظم القصيد ... ولا ينظم الرجز ... " [1] .

وقد أعجبت الباقلاني فكرة التفاوت فجعل ضروباً جديدة ، فرأى أن كلام الفصحاء يتفاوت في الفصل والوصل والعلوم والنزول والتقريب والتبعيد ، وقد يحسن الشاعر النظم ويقصّر في ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب ، فالبليغ يتفاوت في شعره

(1) اعجاز القرآن ، 54 – 55

حسب الأحوال التي يتصرف فيها . وقد يحدث التفاوت في أبيات القصيدة الواحدة فنجد الباقلاني يقول في قصيدة امرئ القيس : " اعلم أن هذه القصيدة قد تردّدت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وأبيات وحشية غامضة مستكرهه وأبيات معدودة – بديعية – ولا سواء كلام ينحت من الصخر ويذوب تارة ويتلّون تلّون الحرباء ويختلف الأهواء ويكثر في تصرّفه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه ، وبين قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج ، وفي وصفه على حدّ ، وفي صفائه على باب، وفي بهجته ورونقه على طريق " [1] .

فنظرية النظم هي الطريق التي اختارها الباقلاني في اعجاز القرآن واثباته، وليس انعدام التفاوت هو المظهر الوحيد الدّال على اعجاز ذلك النظم، بل يشترك في ذلك عنصران ، الطول ، وخروج النظم عن كلام العرب المعروف ؛ لأن كلامهم يقع تحت النماذج الآتية :

1. أعاريض الشعر على اختلاف انواعه
2. أنواع الكلام الموزون غير المقفى
3. أصناف الكلام المعدّل المسجع
4. أصناف الكلام المعدل الموزون غير المسجع
5. أنواع الكلام المرسل

يقول الدكتور إحسان عباس : " فإذا تدبرنا نظم القرآن وجدنا أنه لا يسير واحد من هذه النماذج ، ولذلك ذهب الباقلاني ينفي أن يكون فيه شعر أو سجع ، دونما حاجة إلى نفي الإرسال ؛ لأنّ ذلك واضح في أسلوبه لا يتطلبّ نفياً " [2] .

---

(1) إعجاز القرآن ، 273 – 277

(2) تاريخ النقد ، 349

وفي بحث الباقلاني عن اعجاز القرآن الكريم ، مالَ إلى الطبع ورأى لمن أراد أن يوازن بين القرآن والشعر أن يعرف الفصل بين طبائع الشعراء من أهل الجاهلية ، والمخضرمين ، والمحدثين ، ويميزّ بين من يجري على مشاكلة طبعه وغريزة نفسه ، وبين ما يشتغل بالتكليف والتصنيع ، وبين من يصير له التكليف كالمطبوع ، وبين ما كان مطبوعه كالمتعمل المصنوع"[1] .

فمن خلت قدرته على تمييز الإعجاز والمطبوع والمصنوع ، فقد ضاع منه إدراك الاعجاز القرآني فقد انتصر الباقلاني وابن قتيبة لفكرة الطبع في الشعر ، وأثرها في اختلاف أشعار الشعراء ، وكراهيتهما لمقولة الصنعة أو التكلف في الشّعر ، وقد اتفقت رؤيتهما في معالجة أبيات " ولما قضينا من منى " فقال الباقلاني : " وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده ... هذه ألفاظ بديعة المطالع والمقالع " [2] فالباقلاني يكاد يعيد لفظ ابن قتيبة . كما تقارب الباقلاني وابن قتيبة في مسألة مناسبة اللفظ المألوف للمعاني المبتكرة . فهما متقاربان في نقدهما تقارباً شديداً . وهذا نموذج من تعليقات ونقد الباقلاني ، يقول في نقد قصيدة امرئ القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملِ
فتوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمها لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ[3]

---

(1) م :. س . ، 191

(2) اعجاز القرآن ، 338

(3) شرح المعلقات السبع ، 10 – 11

أنت تعلم أنه ليس في البيتين شيء قد سبق في ميدانه شاعراً ، ولا تقدّم بـــه صانعاً، وفي لفظه ومعناه خلل ، فأوّل ذلك : أنه استوقف من يبكـــي لـــذكر الحبيب، وذكراه لا تقتضي بكاء الخلي وإنّما يصح طلب الإبعاد في مثل هذا على أن يبكي لبكائه ويرق لصديقه في شدة برحائه ، فأما أن يبكـــي علـــى حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر مُحال ... وفسد المعنى من وجـــه آخـــر ؛ لأنّه من السخف أن لا يغار على حبيبه وأن يدعو غيره إلى التغـــازل عليـــه والتواجد معه فيه . ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتـــسمية هذه الأماكن ... وقوله " لما نسجتها ، كان ينبغي أن يقول : ولمّا نـــسجها " ولكنه تعسّف فجعل ما في تأويل تأنيث ... وقوله " لم يعف رســـمها " كـــان الأولى أن يقول : " لم يعف رسمه " لأنه ذكر المنزل ... ولو سلم من هـــذا كلّه ، ومما نكره ذكره كراهية التطويل ، لم نشك في أن شعر أهل زماننا لا يقتصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما .

أبو حيّان التوحيدي

يعدُّ أبو حيان التوحيدي أكبر أدباء العراق في القرن الرابع الهجري ، ويمتاز أدبه بتنوّع موضوعاته ، إذ يتناول كثيراً من جوانب التفلسف والفكر العميق في الالهيات والطبيعيّات والإنسان والأخلاق والنفس ، فأدبه يحمل كثيراً من المعاني كما عُني بالألفاظ عناية فائقة . وأعجب بأسلوب الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) في المزاوجة ، وتضمينه السجع أحياناً ، فأصبح هذا الأسلوب مستقراً في نفس التوحيدي ، وجزءاً لا يتجزأ من أدبه وكتاباته ، كما اتّسع أسلوبه بالترادف وما تبعه من التقطيع الصوتي ، ودليل ذلك فاتحة الرسالة التي توسّل بها إلى أبي الفتح ابن العميد . وفي هذا العصر مضت الرسائل الشخصية والسياسية تزدهر بالعراق وخاصة في القرنين الرابع والخامس للهجرة . وهما أزهى قرنين في العصر بالقياس إلى النثر وفنونه ، فقد نضج العقل العربي وبلغ ذروة في النضج ، إذ نقل المترجمون ما كان من علوم الأمم القديمة ومعارفها ، وأصبح للعرب علماؤهم وفلاسفتهم ، ولا غرو أن نجد أدباء عظاماً كأبي حيّان التوحيدي في عصر يُعدُّ من أنضر العصور في الآداب والفنون .

هو علي بن محمد بن العباس أبو حيّان التوحيدي ، شيرازي الأصل ، وقيل نيسابوري ، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطيّ ، صوفي السّمت والهيئة ، وكان يتألّه والناس على ثقة من دينه ، وسمّي بالتوحيدي نسبة إلى نوع من التمور يسمّى التوحيدي . وأخطأ من نسبه إلى التوحيد أي أهل العدل والتوحيد من المعتزلة ، فلا صحة لنسبه إليهم . وفي نسبته إلى بيع التوحيد وهو نوع من التمر بالعراق ، يقول المتنبي :

يَتَرشَّفْنَ مِنْ فَمي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنْ التَّوْحِيدِ

وعن مولده ونشأته فقد روى الحموي أنّ مولده قد يكون في العقد الثاني من القرن الرابع بين سنتي (310/ 922) و (320/ 932) . قال ياقوت : " قدم بغداد فأقام بها مدّه ومضى إلى الري فأمّا عن اتصالاته فيقول ياقوت " وصحب الصّاحب أبا القاسم اسماعيل بن عبّاد ، وقبله أبا الفضل بن العميد فلم يحمدها ، وعمل في مثالبهما كتاباً ... وحكى أبو حيّان قال : : " حضرت مائدة الصاحب بن عباد فقدمت مضيرة فأمعنت فيها، فقال لي : يا أبا حيّان ، إنّها تضرّ بالمشايخ . فقلت إن رأى الصاحب أن يدع التطبّب على طعامه فعّل ، فكأني ألقمته حجراً وخجل واستحيا ، ولم ينطق إلى أن فرغنا " [1] . وقال في كتاب أخلاق الوزيرين : " طلع ابن عباد عليّ يوماً في داره وأنا قاعد في كسر إيوان أكتب شيئاً قد كان كأدني به ، فلمّا أبصرته قمت قائماً فصاح بحلق مسقوق: " اقعد فالوراقون أخسّ من أن يقوموا لنا " . وحدث أيضاً : " قال الصاحب يوماً : " فعل وأفعال قليل ، وزعم النحويون أنه ما جاء إلاّ زند وأزناد، وفرخ وأفراخ ، وفرد وأفراد . فقلت له : أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فعل وأفعال. فقال : هاتِ يا مدّعي ، فسردت الحروف ودلّلت على مواضعها من الكتب ثم قلت : ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلاّ بعد التبحرّ والسماع الواسع " . وقال أبو حيان : " وأما حديثي معه يعني مع ابن عباد ، فإنني حين وصلت إليه قال لي : أبو من ؟ قلت : أبو حيّان " . وقال أيضاً : " وقال لي ابن عباد يوماً يا أبا حيّان من كنّاك بابي حيّان ؟ فقلت : أجل الناس في زمانه ، وأكرمهم في وقته ، قال : ومن هو ويلك ؟ قلت : أنت . قال : ومتى كان ذلك ؟ قلت : حين قلت يا أبا حيّان من كنّاك أبا حيّان " [2] . قال : وقال لي يوماً آخر

---

(1) معجم الأدباء ، 15/ 5 – 7 (2) معجم الأدباء ، 15/ 26 – 28

– وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام منهم الزعفراني ، وكان شيخاً كثير الفضل جيّد الشعر ، ممتع الحديث ، والتميمي وكان من مصر ، والأقطع وصالح الورّاق وابن ثابت وغيرهم من الكتاب النـدماء – يا أبا حيّان: هل تعرف فيمن تقدّم من يُكنى بهذه الكُنية ؟ قلت : نعم : من أقرب ذلك أبو حيّان الدارميّ .

اتصل التوحيدي بابن العميد ، قال ياقوت : " وصحب الصاحب أبا القاسم اسماعيل بن عبّاد وقبله أبا الفضل بن العميد " وعن اتصاله بابن مسكويه ، قال أبو حيان في كتاب الوزيرين : " جرى بيني وبين أبي علي مسكويه شيء " . قال شوقي ضيف : " وكان تعرّف في هذه الرحلة إلى ابن مسكويه " . أمّا اتصاله بأبي سعيد السيرافي ، فقد روى ياقوت قال : " قال أبو حيان في كتاب المحاضرات : " كنت بحضرة أبي سعيد السيرافي فوجدت بخطّه على ظهر كتاب اللُّمع " [1] . وقال أيضاً : " وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيّد العلماء " [2] . واتصل مع النُّصيبي . قال ياقوت : " ومن كتاب المحاضرات لأبي حيّان قال : قصدت أنا والنُّصيبي رجلاً من أبناء العم والموصوفين بالكرم " [3] . وذكر ياقوت أن أبا حيّان اتصل بالفليسوف أبي بكر القومسيّ . قال أبو حيّان : " وأنشدنا أبو بكر القومسيّ الفليسوف وكان بحراً عجاجاً ، وسراجاً وهاجاً ، ... فقال لي يوماً : ما ظننت أنّ الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان ما بلغ منّي، وقد اتصل ايضاً بأبي زيد المروزي قال : " وقصدت مع أبي زيد المروزي دار أبي الفتح ذي الكفايتين فمنعنا من الدخول عليه " [4] .

---

(1) م . ن . ، 15/ 8 (2) م . ن . ، 15/ 22

(3) م . ن . ، 15/ 49 (4) م . ن . ، 15/ 91

أما عن ثقافته فيقول ياقوت : " وكان متفنّنا في جميع العلوم من النحو واللغة والشّعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة ، وكان جاحظياً يسلك في تضاعيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه ، فهو شيخ في الصوفية ، وفليسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة ، ومحقّق الكلام ومتكلّم المحققيّن ، وإمام البلغاء ، وعمدة لبني ساسان ، سخيف اللّسان ، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان ، الذمّ شأنه ، والتّلّب دُكّانه ، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومُكنة ، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه ، واسع الدراية والرواية ، وكان مع ذلك محدوداً مُحارفاً يتشكّى صرف زمانه، ويبكى في تصانيفه على حرمانه " [1] . وقال السيوطي : " وذكره ابن السّبكي في الطبقات الكبرى ، وقال : " تفقّه على القاضي أبي حامد المروروذيّ ، وسمع الحديث من أبي بكر بن اليافعيّ ، وأبي سعيد السيرافي، وجعفر الخلدي ، ولعلّه أخذ عنه التّصوف . وروى عنه علي بن يوسف ، ومحمد بن منصور ابن خلكان ، ونصر بن عبد العزيز الفارسي ، ومحمد بن ابراهيم بن فارس الشيرازيّ ، وسمع منه أبو سعيد عبد الرحمن ابن ممجه الأصبهاني بشيراز في سنة أربعمائة " [2] . ويذكر أبو حيّان طائفة كبيرة من أساتذته في كتاباته ، منهم : في النحو واللغة أبو سعيد السيرافي ، وفي البلاغة والبيان علي بن عيسى الرماني . وفي الفقه أبو حامد المروروذيّ ، وفي الحديث أبو بكر الشافعيّ صاحب الفيلانيات ، وفي التصوف جعفر الخلدي تلميذ الجنُيد ، وفي الفلسفة وعلوم الأوائل يحيى بن عديّ تلميذ الفارابي ، وأبو سليمان السجناني " [3] .

---

(1) معجم الأدباء ، 15/ 5 – 6

(2) البغية ، 2/ 190 – 191

(3) عصر الدوله والامارات ، 454

وعن مؤلفاته قال السيوطي : " صنّف الردّ على ابن جنّي في شعر المتنبي، المحاضرات والمناظرات ، الإمتاع والمؤانسة ، الحنين إلى الأوطان، تقريظ الجاحظ ، ذكره ياقوت في ترجمته للجاحظ فقال : وقرأت بخطّ أبي حيان التوحيدي من كتابه الذي ألّفه في تقريظ الجاحظ " [1] . البصائر والذخائر ، الصديق والصداقة ، قال ياقوت : " وكان سبب إنشاء هذا الكتاب الرسالة في الصديق والصداقة أني ذكرت منها شيئاً لزيد بن رفاعة أبي الجبر ، فنّماه ، إلى ابن سعدان . وقال : دوّن هذا الكلام وصله بصلاته ممّا يصحّ عندك لمن تقدّم ، فإن حديث الصديق حلو ، ووصف الصاحب المساعد مطرب ، فجمعت ما في هذه الرسالة " . وكتاب المقابسات، وكتاب مثالب الوزيرَيْن " [2] . وذكر له ياقوت : كتاب الإشارات الإلهية ، الزُّلفة ، رياض العارفين ، الحج العقلي إذا ضاق الفضاء من الحجّ الشرعي ، الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة ، الرسالة البغدادية ، الرسالة في أخبار الصوفيّة ، كتاب الرسالة الصوفية " [3] .

وقيل إنه حرق كتبه في آخر عمره لقلّة جدواها ، وضنّاً بها على من لا يعرف مقدارها ، فعزله القاضي أبو سهل على ذلك ، فكتب إليه معتذراً كتاباً طويلاً . وردّ ذاكراً سبب حرقه للكتب ، قال ياقوت على لسان أبي حيّان : " فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يُقتدى بهم ، ويؤخذ بهديهم ، ويغشى إلى نارهم، منهم : أبو عمرو وبن العلاء ، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف ، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يُوجد لها أثر . وهذا داود الطائي ، وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة ، ويقال له تاج الأمة ، طرح كتبه في البحر وقال يُناجيها : نعم الدليل كُنتِ ، والوقوف

(1) معجم الأدباء ، 16/ 95 (2) م البغية ، 2/ 190

(3) م . س . ، 15/ 7 – 8

مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول ، وبلاء وخمول . وهذا يوسف بن أسباط : حَمَل كُتبه إلى غار في جبل وطرحه فيه وسدّ بابه ، فلما عوقب على ذلك قال : دلنّا العلم في الأوّل ثم كاد يُضلّنا في الثاني ، فهجرناه لوجه منْ وصلناه ، وكرهناه من أجل ما أردناه . وهذا أبو سليمان الدّارانّي جمع كتبه في تنّور وسجرها بالنّار ثم قال : والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك. وهذا سفيان الثوري : مزّق ألف جزء وطيّرها في الريح وقال : ليت يدي قُطعت من ها هنا بل من ها هنا ولم أكتب حرفاً . وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيّد العلماء قال لولده محمد : قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل ، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنّار " [1] .

وعن وفاته ذكر السيوطي أن أبا حيّان مات في حدود الثمانين والثلاثمائة [2] . وذكر ياقوت ، قال أبو حيّان : عثرت على المسوّدة وبيّضتها – مسودة كتاب الرسالة في الصديق والصداقة – وهذا دليل على بقائه إلى ما بعد الأربعمائة [3] . قال شوقي ضيف : " ويتأخر بعض مترجميه بوفاته إلى سنة (414/ 1023) [4] . وأبو حيّان يعدّ من أدباء العراق الكبار في القرن الرابع الهجري إلى القرن الثالث عشر ، ويمتاز أدبه بتنوع موضوعاته، إذ نراه يتناول كثيراً من جوانب التفلسف والفكر العميق في الإلهيات والطبيعيات والأخلاق والنفس ، فأدبه زاد من المعاني ، وقد نراه قد عني بالمعاني كما عني بالألفاظ ، وقد راعه كما يقول شوقي ضيف : " أسلوب الجاحظ وأدبه ، إذ رآه يوازن موازنة دقيقة بين الأداء الصوتي والمعاني ، مستخدماً أسلوب الازدواج الذي

---

(1) معجم الأدباء ، 15/ 21 (2) البغية ، 2/ 191

(3) م . س . ، 155/ 7 (4)عصر الدول والامارات ، 453

عُرف به ، وقد يتخلّله في الحين البعيد بعد الحين السّجع ، ولكن دون الأكثار منه ودون الالتزام " [1] .

كان التوحيدي يتخذ العلم وسيلة إلى الغنى والجاه إذ قال في وصف الغرض من كتبه : " على أني جمعت أكثرها للناس ، ولطلب المثالة منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولمد الجاه عندهم ، فحرمت ذلك كلّه " [2] .

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة : " إن كتبه تجمع إلى عمق الفكرة أناقة العبارة ، ورشاقة الأسلوب ، ومن أجل ذلك أيضاً ، فضلاً عن انتهاجه مذهب المعتزلة فإنّ بعض المؤرخين يلقبونه بالجاحظ الثاني " [3] .

في اللّيلة الأربعين من ليالي مؤلف التوحيدي الموسوم بالامتاع والمؤانسة يتحدّث عن الشعر والشعراء والنقد وعلم الكلام ، وأشتاتاً من الموضوعات على مناقشات لطيفة ، وحوار عذب " [4] .

وكان التوحيدي قد قرأ نقد الناشئ وعيار الشعر لابن طباطبا ، ونقد الشعر والكلام الخاص بالنثر في كتاب الخراج لقدامة ، وعرف الكتب التي تتصل بعض مادتها بالنقد الأدبي ككتب الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وابن المعتز . وكان يتهيّب النقد أو كما يسميه الكلام على الكلام ويحسّ بصعوبته قال : " الكلام على الكلام ... يدور على نفسه ، ويلتبس بعضه ببعض ، ولهذا شقّ النحو ما أشبه النحو من المنطق ، وكذلك النثر والشعر " [5] .

---

(1) عصر الدول والامارات ، 461 – 462

(2) النثر الفني في القرن الرابع ، 164

(3) مناهج التأليف ، 371

(4) م . ن . ، 375

(5) الإمتاع والمؤانسة ، 2/ 131

ونراه قد أرسل بعض الأحكام الموجزة حول الشعراء والكتاب المعاصرين، بحيث تناول عدداً من أدباء عصره ، فمن الشعراء السلامي والحاتمي وابن جلبات والخالع ومسكويه وابن نباته وابن حجاج ، قال : " أمّا السّلامي فهو حلو الكلام متسق النظام ، كأنما يبسم من ثغر الغمام ، خفيّ السرقة لطيف الأخذ ، واسع المذهب ، لطيف المغارس ، جميل الملابس ، لكلامه ليطة بالقلب ، وعبث بالرّوح ، وبرد على الكبد ؛ وأمّا الحاتمي فغليظ اللفظ كثير العقد، يحب أن يكون بدوياً قحّاً ، وهم لم يتم حضريّاً ، غزير المحفوظ ، جامع بين النثر والنظم ، على تشابه بينهما في الجفوة وقلة السلاسة ، والبعد عن السلوك ... وأما ابن جلبات فمجنون الشعر " [1] .

وفي مسألة النظم والنثر وأفضليتهما قال أبو حيان أن الأكثرين يقدّمون النظم على النثر ، دون أن يحتّجوا فيه بظاهر القول ، وأن الأقلين قدموا النثر وحاولوا الحجاج فيه ، أخبره صديقه مسكويه من مرتبة كلّ من النظم والنثر: " إنّ النظم يزيد على النثر بالوزن فهو أفضل من هذه الجهة ، أما إذا اعتبرت المعاني فإنها مشتركة بينهما ، وليس من هذه الجهة تميزّ أحدهما من الآخر ، بل يكون كل واحد منهما صدقاً مرّة وكذباً مرّة وصحيحاً مرّة وسقيماً أخرى " [2] .

وعن أثر اختلاف الألفاظ واتفاق المعاني في النفس ، فقد أجاب أبو بكر القومسي ، أبا حيان التوحيدي عن معنى قول بعض الحكماء – الألفاظ تقع في السمّع فكلّما اختلفت كانت أحلى ، والمعاني تقع في النفس فكلما اتفقت كانت أحلى – فكان جواب القومسي على مفهوم التبدّد (التكثر) والتوحدّ . فالحسُّ من صفاته التبدد وهو تابع للطبيعة ، فاختلاف الالفاظ يوافق خاصية

(1) الامتاع والمؤانسة ، 1/ 134 – 135

(2) الهوامل والشوامل ، 309

التكثر في الحس؛ والنفس متقبلة للعقل ، فكلما ائتلف حقائق المعـاني عنـد ورودها على العقل وافقت نزعة التوحد ، وكانت أنصع وأبهر [1] .

وعن بلاغة كل من النثر والنظم قال أبو سليمان المنطقي أحد المفكرين الذين اتصل بهم التوحيدي –: " فأمّا بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبـولاً ، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً ، واللّفظ من الغريب بريئاً ، والكناية لطيفـة والتصريح احتجاجاً ، والمؤاخاة موجودة ، والمواءمة ظـاهرة ؛ ... وأمّـا بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولاً والمعنى مشهوراً والتهـذيب مـستعملاً والتأليف سهلاً والمراد سليماً ، والروّنق عالياً والحواشي رقيقة ، والـصفائح مصقولة ، والأمثلة خفيفة المأخذ ، والهوادي متصلة والأعجاز مفصلة " [2] .

أمّا أبو حيان فيقول : " إن خير الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنّه نثر، ونثر كأنّه نظم ، يطمع مشهوده بالسّمع ، ويمتنع مقصودة على الطّبع " [3] . ولكن أبا حيان كما يقول الدكتور احسان عباس – : " لم يكـن يعنـي الاقتراب بينهما في التصوير : غير أنه وجد في القرن الرابـع مـن يعيـب الجاحظ بقلّة التشبيهات والاستعارات ، بل من يعيبه بأنّه بعيد عن " معتاص الكلام " وغريبه " [4] .

---

(1) المقابسات ، 144 – 145

(2) الامتاع والمؤانسة ، 2/ 140 – 141

(3) م . ن . ، 2/ 145

(4) تاريخ النقد ، 241

يقول الدكتور شوقي ضيف : " وحاول الدكتور عبد الرحمن بدوي في تقديمه للكتاب (الاشارات الإلهية) أن يربط بين مناجيات أبي حيان في الاشارات وبين مزامير داود وبعض آيات الأناجيل ، وأولى من ذلك في رأينا الربط بين مناجياته والمناجيات المبثوثة في عيون الأخبار لابن قتيبة ، فمصادرها عنده مصادر اسلامية لا أجنبية " [1] . قال ابن قتيبة : " بلغني عن عبد الرحمن المحابيّ عن جعفر بن بُرقان قال : بلغني عن وهب بن منبه قال : أجد في الكتاب أنّ قوماً يتدّينون لغير العبادة ، ويختلون (يخادعون) الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون مُسوك (جلود) الضأن على قلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وأنفسهم أمرُّ من الصبر ، أبي يفتّرون ؟ أمْ إيّاي يخادعون! أقسمت لأبعثنّ عليهم فتنةً يعود الحليم فيها حيران " [2] .

---

(1) عصر الدول والامارات ، 460

(2) عيون الأخبار ، 2/ 294 - 295

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث

أثر ابن قتيبة في علماء القرن الخامس الهجري

الفصل الأوّل

أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي أبو علي ، من أهل أصبهان ، كان غاية في الذكاء والفطنة ، وحسّن التّصنيف ، وإقامة الحجج ، وحسن الاختيار ، وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة . مات في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ... وكان قد قرأ كتاب سيبويه ، على أبي علي الفارسي وتتلمذ له . وله من الكتب : كتاب شرح الحماسة ، شرح المفضليّات ، شرح الفصيح ، شرح أشعار هذيل ، الأزمنة ، شرح الموجز ، شرح النحو ، قال الصاحب بن عباد : فاز بالعِلم من أصبهان ثلاثة : حائك وحلاّج وإسكاف ، فالحائك هو المرزوقي ، والحلاّج أبو منصور بن ماشِدة ، والأسكاف أبو عبد الله الخطيب بالرَّي ، صاحب التصانيف في اللّغة " [1] .

كانت القضايا التي أراد المرزوقي معالجتها واضحة تمام الوضوح ، حين كتب مقدمة على شرحه لحماسة أبي تمام ، وكان ثمة شبه كبير بين مقدمته ، ومقدمة ابن قتيبة لكتابه الشعر والشعراء ، فكلاهما بدأ مقدمته بالإفصاح عن مادة بحثه ومنهجه ، بدآ بالحديث عن مسألة الاختيار ، وعرضا لمسألة الطبع والتكلف، وما يستحسن به اللفظ ويستجاد به المعنى

---

(1) معجم الأدباء ، 5/ 34 - 35

وآيات ذلك ، وما يكون في الشعر من الضرورة ، على أن المرزوقي قد عرض لمسألة عمود الشعر ، والمفاضلة بين الشعر والنثر . وبحث عن جميع المسائل في ضوء نظرية الاختيار ، في حين بحث ابن قتيبة في هذه المسائل في ظل مقولة أسباب اختلاف الشعر .

وربما كان المرزوقي في آرائه هذه ، قد اطلّع على أراء ابن قتيبة وابن طباطبا وقدامة والجرجاني وربمّا الآمدي ، ولم يكن يأخذ من آرائهم إلاّ ما تفرضه حدود موضوعه . فالمرزوقي تعرّض لمشكلات خاض فيها من خلال مقدمته كاللفظ والمعنى ، والاختيار ، والعلاقة بين النظم والنثر . وكان أضعفها المشكلة الثالثة ؛ لأنها محاولة لتفسير ظاهرة عملية ذات ثلاثة فروع: المفاضلة بين النثر والشعر ، السبب في قلة البلغاء وكثرة المفلقين ، السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء . ففي المفاضلة بين النثر والشعر يقول : " إنّ النثر أفضل ، مستدلاً على ذلك بأن الخطابة كانت لدى الجاهليين أهمّ من الشعر ، وأنهم كانوا يأنفون من الاشتهار بالشعر ويعدّه ملوكهم دناءة ، كما أن الشعراء حطّوا من قيمة الشعر بتعرضهم للسوقة ، وأن النثر أرفع شأناً من الشعر ، ومن ثمّ تأخّرت رتبة الشعراء عن الكتاب " [1] .

ويعللّ قلة المترسلين وكثرة المفلقين بالتفريق بين المترسل ومبناه والشعر ومبناه ، فمبنى المتّرسل لا بد من تحقيقه بحيث تصبح القطعة النثرية وحدة كاملة مقبولة الأفهام على اختلافها وتباينها ، بينما الشعر فإنه لا يكلّف صاحبه جهداً ؛ لأنه يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، فلا يتّسع في التوضيح وإنما يكتفي بالاشارة واللمح في بيان المعنى .

---

(1) شرح الحماسة ، 1/ 16 – 18

وفي مسألة اللفظ والمعنى ، أوضح أن أصحاب المعاني يفضلون نقل آثارهم أكثر من اهتمامهم بالشكل ، يقول : " طلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها ، وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة ظريفة أو رائعة بارعة فاضلة كاملة لطيفة شريفة زاهرة فاخرة ، وجعلوا رسومها أن تكون قريبة التشبيه لائقة الاستعارة ، صادقة الأوصاف ، لائحة الأوضاح ، خلابة في الاستعطاف ، عطّافة لدى الاستنفار ، مستوفيه لحظوظها عند الإسهام من أبواب التصريح والتعريض والاطناب والتقصير والجدّ والهزل والخشونة والليان والإباء والاسماح ، من غير تفاوت يظهر في خلال أطباقها ولا قصور ينبع من أثناء أعماقها " [1] . فالمرزوقي يرى أنّه لا بدّ من الائتلاف بين اللفظ والمعنى ائتلافاً تاماً . ولكنّ الشعر ليس معنى ولفظاً فقط بل هو كما يرى قدامة لفظ موزون مقفى يدلّ على معنى ، ففيه عنصران يجعلان الكلف فيه أشد ولا بدّ من مراعاتهما كما نراعي جانبي اللفظ والمعنى .

وعن عمود الشعر فإنه يسارع إلى تحديده قائلاً : " ليتميّز تليد الصنّعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ... ويعلم فرق ما بين المطبوع والمصنوع " [2] . ورجع إلى أقوال الجرجاني والآمدي وهي : " شرف المعنى وصحته ، جزالة اللفظ واستقامته ، الإصابة في الوصف ، المقاربة في التشبيه " وزاد عليها : " التحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ، مناسبة المستعار منه للمستعار له ، مشاكلة اللفظ وشدّة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما " . وكانت آراؤه النقدية خلاصة ما جاء من آراء في القرن الرابع فاستخلص آراء الآمدي وقدامة و الجرجاني وابن طباطبا ، وردّد قول ابن أبي عون .

---

(1) شرح الحماسة ، 1/ 7

(2) م . ن . ، 1/ 8 – 9

وقد كان النقاد قبل المرزوقي قد انقسموا إلى فئتين : الأولى تقول إن أحسن الشعر اكذبه ، والأخرى تقول : إن أحسن الشعر أصدقه ، فزاد المرزوقي فئة ثالثة فقال : " أحسن الشعر أقصده " .

وقد عدل عن قسمة ابن قتيبة في الشعر مطبوع ومتكلف فجعله في قسمين المطبوع والمصنوع . فالمطبوع ما كان وليد جيشان في النفس ، وحركة في القريحة ، والمصنوع ما كان وليد جيشان في النفس ، وحركة في القريحة ، ففي المطبوع نقل بطبع مهذّب بالرواية مدرّب بالدراسة ، بينما المصنوع يعد طبعه المهذب بالرواية والدُّربة عن العمل واستبدل بالفكر . وأن القدامى أقرب إلى الطبع .

وفي حديثه عن مسألة الاختيار أشار إلى منزلة الشعر عند العرب بقول يشبه قول ابن قتيبة ، قال المرزوقي : " إذ كان الله – عز وجلّ – قد أقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الأمم ، فهو مستودع آدابها ، ومستحفظ لسانها ، ونظام فخارها يوم النّفار ، وديوان حجاجها عند الخصام " [1] .

فهذا كما قلنا أشبه بقول ابن قتيبة إذ قال : " وللعرب الشعر الذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها ، وجعله لعلومها مستودعاً ولآدابها حافظاً ، ولأنسابها مقيّداً ، ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر " [2] . وقوله في وصف الشعر: " الشعر معدن العرب ، ... ومستودع أيامها ... والشاهد العدل يوم النِّفار ، والحجة القاطعة عند الخصام ؛ ومن لم يقُم عندهم على شرفه وما يدّعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفَعال الحميد بيت منه ، شذّت مساعيه وإن كانت مشهورة ، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساماً ؛ ومن قيّدها بقوا في الشعر ، وأوثقها بأوزانه ، وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر ، والمعنى

---

(1) شرح ديوان الحماسة ، 1/ 3 (2) تأويل مشكل القرآن ، 18

اللطيف ، أخلدها على الدّهر ، وأخلصها من الجّحْد ، ورفع عنها كيد العدوّ ، وغضّ عين الحسود " [1] .

فالمرزوقي يشبه ابن قتيبة في ربطه الطبع بلطف المعنى ، والروايـــة والاختيار ، جاعلاً دراسته تنظر في طبيعة النّص وإلى أحوال المتلقي فـــي تلقّيه ما يبدعه الشاعر . فقد جمع المرزوقي ميـــراث المتقـــدمين النقـــدي ، وربطه بمفهوم النقد بالاختيار ، ووضع شرائطه ، وأثر كل قضية في مسألة الاختيار .

---

(1) عيون الأخبار ، 2/ 200 – 201

الشريف المرتضى

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام ، نقيب العلويّين أبو القاسم الملقّب بالمرتضى ، عَلَمُ الهدى ، السيد المشهور بالعلم ، المعروف بالفهم ، ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، ومات سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وهو أكبر من أخيه الرّضي . وقال أبو جعفر الطوسي : توحَّد المرتضى في علوم كثيرة ، مجمعٌ على فضله ، مقدَّم في العلوم مثل علم الكلام والفقه ، وأصول الفقه ، والأدب ، والنحو ، والشعر ، ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك ، وله ديوان شعر ، ... وله مصنفات منها : كتاب الشَّافي في الإمامة ، كتاب المغني لعبد الجبار بن أحمد وهو كتاب لم يُصنّف مثله في الإمامة ، كتاب الملَّخص في الأصول لم يُتّمه ، الذخيرة في الأصول تامٌّ ، كتاب جمل العلم والعمل ، كتاب الغُرر ، التَّنزيه ، كتاب المسائل الأصولية الأولى ، كتاب المسائل الأصولية الثانية ، المسائل الأصولية الثالثة ، المقنع في الغيبة ، مسائل الخلاف في الفقه ، الانتصار فيما انفردت به الإمامية ، مسائل مفردات في أصول الفقه ، المصباح في الفقه ، المسائل الطرابلسية الأولى، المسائل الطرابلسية الأخيرة، مسائل أهل مصر الأولى ، وكتاب مسائلهم الأخيرة ، المسائل الحلبية الأولى، المسائل الحلبّية الأخيرة ، المسائل الناصريّة في الفقه ، المسائل الجرجانيّة ، المسائل الطوسيّة ، البرق ، طيف الخيال ، الشّيب والشّباب ، كتاب تتبُّع أبيات المعاني للمتنبي التي تكلّم عليها ابن جنّي ، كتاب النقض على ابن جنّي في الحكاية والمحكيّ (باب من أبواب علم النحو ومسائله) ، كتاب نصّ الرّواية وإبطال القول بالعدد ، الذّريعة في أصول الفقه ، كتاب تفسير قصيدة

السّيد ، وله مسائل مفردات نحو مائة مسألة في فنون شتى ، كتاب المسائل االصَّيداوية ، وله من مرثية :

كم ذا تطيشُ سهامُ الموتِ مخطئةً عني وتصمي أخلاَّئي وإخواني
ولو فطنت وقد أردى الزمان أخي علمتَ أن الذي أصماه أصماني
سودٌ وبيض من الأيام لونهما لا يستحيل وقد بدلن ألواني
هيهات : حكمَ فينا أزلمٌ جذع يفني الورى بين جذعان وقرحانِ[1]

قال ابن خلكان : " وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر ، ... وله تصانيف على مذهب الشيعة ، ومقالة في أصول الديّن ، وله ديوان شعر كبير ، وله الكتاب الذي سمّاه " الغُرر والدُّرر " وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلّم فيها على النحو واللغة ، وهو كتاب ممتع يدلُّ على فضل كثير ، وتوسّع في الاطّلاع على العلوم . وذكره ابن بسام في كتابه الذخيرة فقال: " كان هذا الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والإتّفاق ، إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ، ممّن سارت أخباره ، وعُرفت له أشعاره،وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره،إلى تواليفه في الدّين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، ممّا يشهد أنّه فرع تلك الأصول ، ومن أهل ذلك البيت الجليل"[2] .

وإذا تطرّقنا إلى أماليه فإنها تشمل ثمانين مجلساً ، فقد كان يعدُّ نفسه لكل مجلس اعداداً جيداً ومنظّماً مغادة ما كان يفتتح مجلسه بآية كريمة مختارة ثم يفسّرها ، ويوضّحها مستفيضاً وعلى مذهب المعتزلة أو أهل العدل ، إذ إن الشريف كان معتزليّاً فكراً وعقيدة ، وغالباً ما ينتقل إلى شرح

(1) معجم الأدباء ، 13/ 146 - 151
(2) وفيات الأعيان ، 3/ 313 - 314

حديث نبوي إذا كان هناك علماء يختلفون في تأويله . وكثيراً ما أكثر من الحديث عن المفكرين من أعلام الاسلام كالحسن البصري ، وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وأبي الهذيل العلاّف ، وبشر بن المعتمر صاحب الصحيفة . قال بشر بن المعتمر: " وإيّاك والتوعر ، فإنّ التوعر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً؛ فإن حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقّهما أن تصونهما عمّا يفسدهما ويُهجنّهما " [1]

كما يعمد الشريف المرتضى إلى كشف وفضح من تآمر على الاسلام والمسلمين من زنادقة الشعراء والأدباء أمثال : الوليد بن يزيد ، حماد عجرد، وحماد بن الزّبرقان ، وابن المقفع ، وأبو العيناء ، وبشار بن برد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن الحارثي ، وصالح بن عبد القدوس ، مضمناً حديثه بعض أخبارهم ومجونهم .

وكان يهتم بالشعراء وأخبارهم وأشعارهم وما أتوا به من جديد مبتكر أو ترديد أو اتباع شعراء سبقوهم ، وقد أتى بأخبار المرموقين من شعراء الجاهلية والاسلام مسلّطاً عليهم الأضواء أمثال السّيد الحميري ، ومروان بن أبي حفصة، والحسين بن مطير ، وأبي حيّة النميري . وهو في اختياره للشعراء وأخبارهم وأشعارهم لا ينسى أن يسهم بقسط ولو قليل من شعره ، كما لم يتردد في طرق موضوعات تتعلق بالأدب المكشوف والشعر الخليع في بعض الأحيان .

ولم تخلُ أماليه من ذكر للخطباء المفوهين البلغاء ، ومن نصوص الخطب أو الأشعار التي يتخذها وسيلة لشرح معاني ما استغلق من كلمات غريبة مستطرداً إلى تناول واستعراض دروس في علوم اللّغة . وللشريف

---

(1) البيان والتبيين ، 1/ 136 – 137

المرتضى موقف نقدي من مسألة تداول المعاني بين الشعراء ، قال : " ليس ينبغي لأحد أن يُقدم على أن يقول : أخذ فلان الشاعر هذا المعنى من فلان – إنْ كان أحدهما متقدّماً والآخر متأخراً – لأنّهما ربما تواردا من غير قصدٍ ، ولا وقوف من أحدهما على ما تقدمّه الآخر إليه . وإنّما الإنصاف أن يقال : هذا المعنى نظير هذا المعنى ويشبهه ، ويوافقه فأما أخذه وسرقه فممّا لا سبيل إلى العلم به ؛ لأنّهما قد يتواردان على ما ذكرناه ، ولم يسمع أحدهما بكلام الآخر ، وربمّا سمعه فنسيه ، وذهب عنه ، ثم اتفّق له مثله ، ولا يقال سرقه إذا لم يقصد إلى ذلك " [1] .

فالشّعراء كما نعلم – كثيراً ما يروون أشعار سابقيهم ، وهذا ما حدا الشريف أن يبني قاعدة نقده على أساس النادر ؛ ولأن ابن قتيبة قد فرّق بين الأخذ – مع الإجادة أو الإحسان – والسّرقة ، فليس كل أخذ سرقة عنده . وكان الشريف حريصاً ومحترساً من ظلم الشعراء أو الحكم عليهم بشيء لم يرتكبوه ، فتوارد الخواطر لا يعطي الشاعر مبّرراً أو فضيلة السبق إلى المعنى بالصياغة الفنية إذا تقدّمه غيره – علم أم لم يعلم – : فالنقاد ينظرون إلى الفعل الواقع ولا ينظرون في نّية الشاعر أو قصده ، فالحكم النقدي للنُّقاد يكون في ما حصل وليس ما نوى الشاعر أو أضمر .

وكلا الناقدين – الشريف وابن قتيبة – قد استعملا اللفظ مقروناً بالحسن، والمعنى مقروناً بالجودة . قال الشريف : " وهذا والله أبلغ كلام وأحسنه ، وأحلاه ... وأجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى " [2] .

---

(1) الشهاب في الشيب والشباب ، 15 – 16

(2) م . ن . ، 27

قال ابن قتيبة : " تدبّرت الشعر فوجدته أربعة أضرب ، ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه " [1] .

وتحدث الشريف المرتضى عن مسألة التكلف والطبع . وجعل الألفاظ بمعنى الصيغة الفنية ، قال : " هذه الأبيات قويّة مستوية ، مطبوعة الألفاظ ، بعيدة عن التكلف " [2] . فاللفظ لا معنى له دون صياغة أو سبك أو نظم أو رصف ؛ لأنّ الشاعر لم يبتدع اللفظ ابتداء إنّما هم إتباعي لمن سبقه . فالجملة السابقة للشريف فيها إشارة إلى الطبع والتكلّف ، وهذا قريب من أقوال ومفاهيم ابن قتيبة حيث يقول : " ومن الشعراء المتكلّف والمطبوع ؛ فالمتكلّف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ونقّحه بطول التفتيش وأعاد فيه النّظر بعد النّظر كزهير والحطيئة ، وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما (من الشعراء) عبيد الشعر لأنهم نقّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين " [3] . وإن كان الأثر قد أتاه من جهة الآمدي ، وليس مستبعداً أن يكون قد سرى إليه من مراجعاته في كتب ابن قتيبة . قال الآمدي : " وأنّهما لمختلفان ؛ لأنّ البحتري أعرابي الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنّب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام ؛ فهو يقاس بأشجع السُّلمي ومنصور (النمري) وأبي يعقوب الخريمي وأمثالهم من المطبوعين أولى ؛ ولأنّ أبا تمام شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ومستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه شعر الأوائل ، ولا على طريقتهم ، لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولّدة " [4] .

---

(1) الشعر والشعراء ، 21
(2) م . س . ، 7
(3) الشعر والشعراء ، 29
(4) الموازنة ، 11

وهكذا فإن الشريف المرتضى يختلف مع ابن قتيبة في تطبيق النظـــرة النقدية ، ولا يختلف في طبيعتها ومادّتها . وكثيراً ما نراه يتصدى ويردّ على الآمدي في بعض أشعار البحتري ، فهو بذلك يتصدى لمدرسة بـــدأها أبـــو عمرو ابن العلاء ، وسار في ركبها الأصمعي ، وأجملها ابن قتيبة ، وأوضح بعض معالمها المرزوقي ، واتسع فيها الآمدي ، وجلا نظرتها عبـــد القـــاهر الجرجاني .

أبو سعد محمد بن أحمد العميدي

محمد بن أحمد بن محمد أبو سعد العميدي ، أديب نحوي لغوي مصنّف سكن مصر ، قال أبو اسحق الحبّال : أبو سعد العميدي له أدبيات ، مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وكان العميدي يتولّى ديوان الترتيب وعُزل عنه ... ثم تولّى ديوان الإنشاء بمصر أيّام المستنصر أستخدم فيه عوضاً من وليّ الدّولة ابن خَيْران الكاتب في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، ... وله كتاب تنقيح البلاغة ، كتاب الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور ، انتزاعات القرآن ، العروض ، القوافي الكبير[1] .

وأضاف القفطي كتاب " سرقات المتنبي " وهو كتاب حسن يدلُّ فيه على اطّلاع كبير [2] .

اشتهر العميدي بالنحو واللّغة ، وما قصده القفطي هو رسالته التي تسمّى " الإبانة عن سرقات المتنبي " ورسالته هذه تجري مجرى " المنصف " لابن وكيع في دواعيها وغايتها ، ولم يؤثر المنصف ولا غيره في التقليل من إعجاب المعجبين بالمتنبي ، فقد ظلّ المعجبون بالمتنبي مثار نقمة لدى خصومهم ، قال العميدي : " ولقد جرى يوماً حديث المتنبي في بعض مجالس أحد الرؤساء ، فقال أحد حاملي عرشه ؛ سبحان من ختم بهذا الفاضل الفحول من الشعراء وأكرمه ، وجمع له من المحاسن ما بعثره في كل من تقدّمه ، ولو أنصف لعلّق شعره كالسّبع المعلّقات من الكعبة ، ولقُدّم على جميع شعراء الجاهلية في الرّتبة ، ولكن حرفة الأدب لحقته ، وقلّة الإنصاف محت اسمه من جرائد المتقدمين ومحقته " [3] .

---

(1) معجم الأدباء ، 17/ 212 (2) انباه الرّواة ، 3/ 46

(3) الإبانة ، 21

ولم ينكر العميدي أن المتنبي شاعر فذّ قدير : " ولست – يعلم الله – أجحد فضل المتنبي وجودة شعره وصفاء طبعه وحلاوة كلامه وعذوبة ألفاظه ورشاقة نظمه ، ولا أنكر استكماله لشروط الأخذ إذا لحظ المعنى البديع لحظاً، واستيفاءه حدود الحذق إذا سلخ المعنى فكساه من عنده لفظاً ، ولا شكّ أنّ في معرفته بحفظ التقسيم الذي يعلق بالقلب موقعه ، وإيراد التجنيس الذي يملك النفس مسمعه ، ولحاقه في إحكام الصنعة ببعض من سبقه ، وغوصه على ما يستصفي ماءه ورونقه ، وسلامة كثير من أشعاره من الخطل والزّلل والدخل والنظام الفاحش الفاسد والكلام الجامد البارد والزحاف القبيح المستشنع ، واللحن الظاهر المستشبع ، وأشهد أنه على درجة أمثاله غير نازل ولا واقع ، وأعرف أنه مليح الشعر غير مدافع " .

فالعميدي في رأيه هنا يقترب من سابقيه في الاختيار في صفة الشعر وحدوده ، فالجودة والحسن وصفاء الطبع وعذوبة اللفظ ورشاقة النظم ، مما يميزّ شعر المتنبي ويزيد من فضله على الشعراء ، وأنّ الطّبع وصفائه يجعل للشعر رونقاً وحلاوة ، وأنّ في التكلّف والتّصنع المقت والاستكراه .

ولكنّ العميدي في كثير من الأحيان أشد سخطاً في تعليقاته على المتنبي ، وقال : " لقد تصبّب عرقاً وتقلّب أرقاً حتى استنبط هذا المعنى البديع " [1] . فما كاد يسلم له بالإجادة والفضل حتى يلدغه بلسانه قائلاً : " وهذا الكلام لا يخرج إلاّ من سوء أدب وقلة معرفة بالملوك " [2] . أو كقوله: " بُكم الخرسِ أحسن من هذا الكلام العاميّ الغث والنظام الفاسد الرّث " [3] .

---

(1) الإبانة ، 33

(2) م . ن . ، 39

(3) م . ن . ، 63

كما اتّهمه بأنه اطّلع على دواوين المكثرين فأخذ منهم ، وابتعد عن المقلين ، لأنّ أشعارهم تشتهر بسهولة لقلتها .

وقد استخدم العميدي في السرقة مصطلحات لبيان أنواعها فقال في بعضها نسخاً ، وبعضها سلخاً " ، كما اتّهم المتنبي بالضعف في اللّغة ، كما اتهمه الحاتمي وابن وكيع سابقاً . كما يتهمّه بالغموض في بعض المعاني .

قال المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أنّي بما أنا باك منه محسودُ

أمسيت أروح مثرٍ خازناً ويداً أنا الغني وأموالي المواعيدُ

جودُ الرجالِ من الأيدي وجودهم من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

وقال العميدي أنها مأخوذة من بشار بن برد في قوله :

حظِّي منَ الخيرِ منحُوسٌ وأعجبُ ما أراهُ أنيّ على الحِرمانِ محسودُ

أغدو وأمسي وآمال قطعتُ بها عمري تخيب وأموالي المواعيدُ

وأكرم النّاس من تأتي مواهبهُ من غير وعد وفيه الجودُ موجود

وقد علّق العميدي على هذه الأبيات فقال : " من قال إن هذه غير مأخوذه من كلام بشار فقد عدم الفطنة والتمييز وحرم الرّشاد والتوفيق وجهل مواضع الأخذ ، واحتاج أن يسقى شربة تشْحذُ فهمه وتجلو طبعه وتزيل العمى والغمّة عنه " [1] .

---

(1) الإبانة ، 154

الفصل الثاني

عبد الكريم النهشلي

أصبحت القيروان ملتقى المهاجرين والرّحالة والكتب المهاجرة من المشرق والأندلس ، وكانت الثقافة المشرقية قد نقلت إليهم طرقاً مختلفة في النقد، فعرفوا – كما يقول إحسان عباس : " ابن قتيبة وقدامة وابن وكيع والجرجاني والرّماني وكثيرين غيرهم ، وهكذا كانت جميع العوامل مسعفة على ظهور حركة نقدية في القيروان ؛ فكان من أعلامها أبو عبد الله القزّاز الذي ألف كتاباً في ما أخذ على أبي الطيب ، وابن ميخائيل محمد بن الحسين القرشي الذي كان شديد الانتقاد على مذهب قدامة ... وعبد الكريم بن ابراهيم النهشلي صاحب كتاب " الممتع " ، وابن رشيق مؤلف العمدة وقراضة الذهب والأنموذج في شعراء القيروان ، وابن شرف الذي هاجر إلى الأندلس بعد خراب القيروان . وهنالك كتب " رسالة الانتقاد " . ويضيف الدكتور إحسان عباس قائلاً : " ويدلّ ما تبقّى من كتاب (النهشلي) " الممتع في علم الشعر وعمله " ، على أنّ بعض أبواب العمدة (لابن رشيق) إنّما رسمت على مثاله مثل : السؤال بالشعر . في من نوّه به المدح وحطّه الهجاء ، النهي عن التعرض للشعراء ، الحديث عن أغراض الشعر من مدح وهجاء " [1] .

وعلى الرغم من أنّ النهشلي كان كاتباً للمعزّ بن باديس ، إلاّ أنّه يقف في صفّ من يؤثرون الشعر ويرونه خير بيان العرب ، ونعى على العرب قلة حفظهم النثر ووصفهم بأنهم ليسوا أهل كتابة ، لذلك فإنهم تدبروا الأوزان

---

(1) تاريخ النقد ، 44 – 441

والأعاريض فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء فجاءهم مستوياً ورأوه باقياً على مرّ الأيام فألفوا ذلك فسمّوه شعراً ، والشعر عندهم الفطنة . يقول : " وكانوا لا يكتبون فجعلوا روايته مقام الكتاب " [1] .

قال قدامة : " إنّه لما كانت فضائل الناس ، من حيث إنّهم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب ، من الاتفاق في ذلك ، إنّما هي : العقل والشجاعة والعدل والعفّة ؛ كان القاصد لمدح الرجال بهذه الفصال الأربع مصيباً،والمادح بغيرها مخطئاً"[2] .

لمح النهشلي قسَمة قدامة بن جعفر للشعر على أساس الفضيلة وضدّها فقسم الشعر في : " شعر هو خير كلّه ، وذلك ما كان في باب الزّهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثّل به بالخير وما أشبه ، وشعر هو ظرف كلّه وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتنّ به من المعاني والآداب ، وشعر هو شعر كلّه ، وذلك الهجاء وما تسرّع الشاعر به إلى أعراض الناس ، وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ويأتي إليه من جهة فهمه " وفي موضع آخر يقول في أقسام الشعر : " أصناف الشعر أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللّهو ، ثم يتفرع من كلّ صنف من ذلك فنون فيكون في المديح : المراثي والافتخار والشكر ، ثم يكون من الهجاء الذّم والعتاب والاستبطاء ، ومن الحكمة الأمثال والتّزهيد والوعظ ، ويكون من اللهو الغزل والطرب وصفة الخمر والمخمور " [3] .

---

(1) اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله ، 32

(2) نقد الشعر ، 96

(3) اختيار كتاب الممتع في علم الشعر وعمله ، 54

وفي مسألة اللفظ والمعنى التي أكثر القدامى في بحثها والقول فيها ، كان النهشلي ممّن يقدمون اللفظ على المعنى ، ويوضّح أنّ الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل .

وفي موقفه من السرقات فقد كرّر أقوال السابقين ، وأوضح أن السَّرق ما نقل معناه دون لفظه وكان مبعداً في الأخذ .

وأوضح النهشلي أن للبيئة واختلافها أثر في الشعر والذّوق ، فقد : " تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ، ويستحسن عن أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره . ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء وحدّ الاعتدال وجودة الصنعة ، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم ... والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابره على الدّهر " [1] .

وهذا الرأي له أساس عند الجاحظ الذي سبق وتحدّث عن اختلاف البيئة ، وعن تباين للهجات في الأمصار . ولكن النهشلي أكدّ على أنّ الشّعر الخالد الذي يبقى غابره على الدّهر ليس الذي – كما يقول الدكتور إحسان عباس – يتشبث بملائمة البيئة الاقليمية ، وإنما هو الذي ينبني على التجويد والتحسين ويستضيء بضوء الاحكام النقدّية العامّة " [2] .

---

(1) العمدة ، 1/ 58

(2) تاريخ النقد ، 443

المعرّي

أبو العلاء المعرّي ، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن داود بن المطّهر بن تيم الله بن أسد ، وتيم الله مجتمع تنوخ من أهل محلّة النعمان ، من بلاد الشام ، كان غزير الفضل ، شائع الذّكر ، وافر العلم ، غاية الفهم ، عالماً باللغة ، حاذقاً بالنحو ، جيّد الشعر ، جزل الكلام ، شهرته تغنى عن صفته ، وفضله ينطق بسجيته ، وُلد بمعرّة النعمان سنة (363/ 973) واعتل بالجدري التي ذهب فيها بعده . وقال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ، ودخل بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، أقام ببغداد ، ثم رجع إلى بلده ، فأقام ولزم بيته إلى أن مات يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول سنة (449/ 1057) في أيام القائم .

وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ، ويزعم أنّه أشعر المحدثين ، ويفضّله على بشار ومن بعده مثل أبي نواس وأبي تمام ، وكان المرتضى يُبغض المتنبي ويتعصب عليه ، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبي ، فتنقصه المرتضى وجعل يتبع عيوبه ، فقال المعرّي : لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلاّ قوله :

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وأمر فسُحب برجله وأُخرج من مجلسه .

ولمّا رجع إلى المعرّة لزم بيته ، فلم يخرج منه ، وسمّى نفسه رهين المحبسين ، ويعني حبس نفسه في المنزل ، وترك الخروج منه ، وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى . قال أبو منصور الثعالبي في يتيمته : وكان حدثّني أبو الحسن الدُّلفي المصيصي الشاعر ، وهو من لقيته قديماً وحديثاً في مدّة

ثلاثين سنة ، قال : لقيت بمعرّة النعمان عجباً من العجب ، رأيتُ شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنّرد ، ويدخل في كل فن من الجدّ والهزل ، يكنّى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر " [1] .

ومن مؤلفاته ما هو في الزّهد والعظات ، وتمجيد الله سبحانه وتعالى في المنظوم والمنثور ، من ذلك كتابه المعروف بالفصول والغايات ، والمراد بالغايات القوافي ، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ، ما خلا الألف، والكتاب سبعة أجزاء ، ثم كتاب الشاذن أنشأه في غريب هذا الكتاب ، وما فيه من اللغُز ، وكتاب إقليد الغايات ، مقصور على تفسير اللّغز ، كتاب الأيك والغضون ، كتاب تفسير الهمزة والرّدف ، كتاب سيف الخطبة ويشتمل على خطب السّنة ، فيه خطّبٌ للجمع العيدين ، والخسوف والكسوف ، والاستسقاء وعقد النّكاح ، كتاب دعاء وحرز الخيل ، كتاب مجد الأنصار في القوافي ، كتاب تاج الحرّة في عظات النساء خاصة ، كتاب وقفة الواعظ ، وكتاب سجع الحمائم ، كتاب لزوم ما لا يلزم وهو في المنظوم ، كتاب زجر النابح وسمّاه بحر الزّجر ، كتاب ملّقى السّبيل ، كتاب الجلّى والحُلّى ، وكتاب سَقْط الزّند وأبياته ثلاثةُ آلاف بيت ، كتاب يُعرف بجامع الأوزان فيه شعر منظوم على معنى اللُّغز، كتاب السّجع السُّلطاني ويشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء ، وغيرهم من الولاة ، وكتاب سجع الفقيه ، وسجع المضطرين ، وكتاب مختصر يُعرف بذكرى حبيب في غريب شعر أبي تمام، كتاب عبث الوليد فيما يتّصل بشعر البحتري ، وكتاب يُعرف بالرِّياش المصطفى في شرح مواضع من الحماسة الرياشيَّة ، وكتاب يُعرف بشرَف

---

(1) معجم الأدباء ، 3/ 123 – 130

السيف ، وكتاب يُعرف بتعليق الجليس ، ممّا يتصل بكتاب أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزّجاجي ، المعروف بالجمل ، وكتاب إسعاف الصَّديق ، وكتاب قاضي الحقّ ، وكتاب الحقير النافع ، مختصر في النحو ، وكتاب الطلّ الظاهريّ ، وكتاب المختصر الفتحي ، وكتاب في الرسائل الطّوال ، فيها رسالة الغفران ، كتاب خطبة الفصيح ، وكتاب رسُل الرَّاموز ، كتاب راحة اللّزوم ، وخماسيّة الرّاح في ذم الخمر ، وكتاب المواعظ الستّ ، وكتاب السجعات العشر ، وكتاب ديوان الرسائل وهو ثلاثة أقسام :

الأوّل : رسائل طوال تجرى مجرى الكتب المصنّفة مثل كتاب رسالة الملائكة ، والرسالة السِّندية ، وكتاب رسالة الغفران ، ورسالة الفرض .

والثاني : رسائل دون هذه في الطّول مثل رسالة المنيح ،ورسالة الإغريض .

والثالث : كتاب الرسائل القِصار ، كتاب خادم الرسائل ، كتاب نظم السُّور، عظات السُّور ، الراحلة ، كتاب في المنظوم ويعرف بكتاب استغفروا ستغفري ، وكتاب الرسالة الحضّية ، وكتاب رسائل المعونة ، وكتاب مثقال النّظم في العروض ، وكتاب اللامع العزيزي في تفسير شعر المتنبي ، وله بعض كتب في القروض والشعر ، بدأها ولم تتمّ ، أو تمّت وشذّ عنّا أسماؤُهما .

ومن شعره الدّال على سوء عقيدته من لزوم مالا يلزم :

ألا فانعموا واحذروا في الحيا ... ةِ ملهىً يُسمى زوال النعمْ

أتوكمْ بأقوالهمْ والحسا ... مِ يسدُ بهِ زاعم ما زعمْ

تلوا باطلا وجلوا صارماً ... وقالوا صدقنا فقلنا نعمْ

زخارف ما ثبتتْ في القلوبِ ... عمى عليكمْ بهنَّ المُعَمْ [1]

---

(1) معجم الأدباء ، 3/ 145 - 163

قال ابن خلكان : " واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسمّاه " ذكرى حبيب " ، وديوان البحتري وسمّاه " عبث الوليد " ، وديوان المتنبي وسمّاه " معجز أحمد " وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولّى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم ، والتوجيه في أماكن لخطئهم " [1] .

تبدو ملامح النقد عند أبي العلاء جلّيةً من خلال رسالة الغفران ، فقد ذكر أن الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط ، إن زاد أو نقص أبانه الحس " [3] .

فنراه قد اعتمد الغريزة (قوّة الإحساس) في نقده ، فهي تميزّ الزيادة والنقصان ، كما أنها مع توفر الوزن تتبين في تمييز أبي العلاء في الشعر ، بين ما هو نظم بسبب أنّه موزون وبين ما هو شعر حقيقي بهذا الاسم لتقبّل الغريزة له .

وأوضح أن الشعر قرآن إبليس ولا دخل للملائكة فيه ، وأن الفكرة المتداولة بين السابقين هي أن لكلّ شاعر شيطاناً ينفث على لسانه . قال أبو النجم العجلي الراجز :

إنّي وكلُّ شاعرٍ من البشرْ شيطانّه أنثى وشيطاني ذكرْ [3]

وتعرّض للرجز وعدّه أدنى مرتبةً من القصيد ، وجعله من سفساف القريض . قال لرؤبة الراجز : " ما كان أكلفك بقوافٍ ليست بالمعجبة ... لو شبك رجزك ورجز أبيك لم يخرج منه قصيدة مستحسنة ، وقد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير استحقاق " [4] .

---

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1/ 114 (2) رسالة الغفران ، 242

(3) الشعر والشعراء ، 400 (4) رسالة الغفران،367-368

وهم أبو العلاء عندما عدّ الرّجز كان أدنى مرتبة من القصيد ، وجعله للرجاز بيوتاً منخفضة ليس لها سموق أبيات الجنة . فالرجز كان في بدايته يقال منه البيت أو البيتين إذا أراد الرجل أن يفاخر أو يشتم ، ثم استقل وتطور على يد كبار الرجاز أمثال أبي النجم والعجاج والأغلّب وغيرهم ، ممّن خاضوا في موضوعات وفنون شتى ، كالمدح والهجاء والرثاء والغزل والفخر والطرد ، فقد خاض في الطرد الشمردل وأبي نخيلة – ويكفيك ما جاء به كبار الرجاز من قصائد تعد من أجود ما قيل عند العرب ، فأرجوزة أبي النجم العجلي والعجاج والأغلب عدّت من أجود أرجوزة للعرب – كما قال ابن قتيبة – والتي مطلعها :

الحمدُ للهِ الوهوبِ المجزلِ

وأرجوزة العجاج الرائية الكبرى التي قالها في مديح عمر بن عبيد الله بن معمر، ومطلعها :

قد جبر الدين الإله فجبرْ

وأرجوزة رؤبة بن العجاج القافية المعروفة ، ومطلعها :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق [1]

وحمل المعرّي على التكسب في الشعر وقال إن هذا الضرب من الشعر لا يترك للشاعر حسباً ، أما غير المتكسب فهو حسن في الصّفات والنسب . ونراه ينشغلُ كثيراً بالنواحي اللغوية والعروضية ، فقد أنكر على المتنبي ردائه زحافه في قوله : ربَّ نجيعٍ بسيفِ الدولةِ انسفكا . فقال : " لم يزاحف أبو الطيب زحافاً تنكره الغريزة إلاّ في هذا الموضع ، ولا ريب أنّه

---

(1) ديوان العجاج ، 23

حكماً في البيت لجعلته كم من " لأنّ ربّ تدل على القلّة " . والمعري وغيره من الشّراح كانوا يتناولون الشعر – كما يقول إحسان عباس – كلّ حسب ميله ونزعته ، فإذا قلنا إن المعرّي ميّال إلى التفلسف مؤمن بالجبر سيء الظن بالنّاس، فلا بد أن تنعكس هذه الخصائص في شرحه ، مثلما تتجلى فيه مقدمته اللّغوية والنحوية والعروضية . ولا نعدم أن نجد في اثناء هذا كلّه موقفاً نقدياً ضمنيّاً أو صريحاً " [1] .

وقد نجد موافقة في رأي الناقدين – أبي العلاء وابن قتيبة – واختلافاً ، فممّا اتفقا فيه ، ما جاء به أبو العلاء في رسالته مخاطباً لبيداً بقوله : أخبرني عن قولك :

ترّاك أمكنه إذا لمْ أَرْضَها أو يرتبط بعض النفوسِ حِمَامها

هل أردت ببعض معنى كل ؟ فيقول : لبيد : كلاّ ، إنما أردت نفسي ، وهذا كما تقول للرجل : إذا ذهب مالك أعطاك بعض الناس مالاً ، وأنت تعني نفسك في الحقيقة ... فيقول : أخبرني عن قولك : أو يرتبط ، هل مقصدك : إذا لم أرضها أو يرتبط فيكون لم يرتبط ؟ أم غرضك : أترك المنازل إذا لم أرضها فيكون يرتبط كالمحمول على قولك ترّاك أمكنة ؟ فيقول لبيد : الوجه الأول أردت " [2].إنه (لبيد) يشير إلى ما أورد ابن قتيبة في باب الضرورة الشعرية . قال ابن قتيبة : قد يُضطّر الشاعر فيُسكِّن ما كان ينبغي له أن يحركّه كقول لبيد :

تراك أمكنةٍ إذا لمْ أرضَها أوْ يتعلقْ بعضَ النُّفوس حمامُها

---

(1) تاريخ النقد ، 392 (2) رسالة الغفران ، 208

يريد اترك المكان الذي لا أرضاه إلى أن أموت . لا أزال أفعل ذلك . وأو ها هنا بمنزلة حتّى " [1] .

بينما يرى أبو العلاء أن المسألة لا تتصلّ بالضرورة الشعرية في قوله ((أو يرتبط)) ؛ لأن العطف ظاهر والسكون لعلّة الجزم ، وليس ما ذهب إليه ابن قتيبة بصواب عنده . فالمعرّي جعل المعنى الشعري خاضعاً للمذهب النحوي والعقلي ، وابن قتيبة قدّر أوْ بمعنى إلى أن أو حتّى .

وفي القصيدة التي اختارها الأصمعي للمرقش ، وافق فيها المعري مذهب الأصمعي ، وخالف ابن قتيبة ، قال المعري : وإن قوماً من أهل الاسلام كانوا يستزرون بقصيدتك الميميَّة التي أوّلها :

هلْ بالدِّيار أنْ تُجيب صَمَمْ لو كانَ حيّاً ناطقاً كلَّمْ

وإنها عندي لمن المفردات " [2] . أما ابن قتيبة فقال : " والعجيب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيّره وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا من الرَّدي ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى ولا أعلم فيه شيئاً يُستحسن " [3] .

وفي رسالته الغفران سأل المعري الخليل عن نسبة الأبيات إليه ، فأجاب لا أعلم [4] .

---

(1) الشعر والشعراء ، 43 44

(2) م . س . ، 348

(3) م . س . ، 26

(4) رسالة الغفران ، 271

والأبيات هي :

إنَّ الخَليطَ تَصدَّعْ فطِرْ بِدائِكَ أوْقَعْ

لَوْلاَ جَوَارٍ حِسانْ حُور المدامِعِ أَرْبَعْ

أُمُّ البَنين وَأَسما ء وَالرَّبابُ وبوزَعْ

لَقُلْتُ لِلرَّاحلِ ارحَلْ إذا بَدا لَك أوْ دَعْ

قال ابن قتيبة : " وهذا الشعر بيّن التكلّف رديء الصنعة ، وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة كشعر الأصمعي وشعر ابن المقفع وشعر الخليل خلا خلف الأحمر فإنّه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً " [1] .

وفي احتجاج المعري على ما ذكر ابن قتيبة ومن سبقه من تسمية مهلهل ابن ربيعة مهلهلاً ؛ لأنّه أوّل من رقق الشعر ، فأجابه مهلهل : إنّ الكذب لكثير [2] . قال ابن قتيبة : " وسمّي مُهلهلاً ؛ لأنّه هَلْهل الشعر أي أرقّه " [3] .

ولا ريب في أن مذهب المعري النقدي القائم على الشك هداه إلى أمور لم يتمكن ابن قتيبة من الوصول إليها ؛ لأنّ منهجه وفي الغالب – قائم على التسليم بصحة الخبر ، والاستنباط منه .

---

(1) الشعر والشعراء ، 24

(2) م . س . ، 246

(3) م . س . ، 182

ابن فورجة محمد بن حمد البرو جردي

محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورَّجة البَرُو جرديٌّ، أديب فاضل مُصنِّف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ، والتجنّي على ابن جنّي ، يردُّ على أبي الفتح بن جنّي في شرح شعر المتنبِّي ، ومولده في ذي الحجة سنة ثلاثة وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة، ومن شعره :

ايها القاتِلي بِعيْنيهِ رِفْقاً ... إنَّما يستَحِقُّ ذا مَنْ قلاكا

أكثر اللّائمونَ فيك عِتابي ... أنا وَاللائمونَ فيكَ فداكا

إنَّ لي غَيْرةً عليكَ مِنَ اسمي ... إنَّه دائماً يُقبِّلُ فاكا [1]

كان ابن فورّجة تلميذاً لأبي العلاء المعرّي وقد أفاد من آرائه وتوجيهاته في دراستهِ عامة ، وفي دراسة شعر المتنبي على وجه الخصوص، وفي الشعر له آراء نقدية ، فهو يرى أن الشعر قد يلحق به الغموض من وجهين اثنين :

1. شعر يصدّك جهل غريبه عن تصوّر غرضه .
2. شعر يعميه إعرابه لمجازفيه وحذف في اللفظ أو تقديم وتأخير بسبب الاعراب .

وقد يلحق شعر أبي الطيب الغموض ، ولكنّ محبة ابن فورجة لأبي الطيب وشعره كمحبة استاذه أبي العلاء ، فهو أميل في الدفاع عنه ، ومستنداً إلى الاحتكام إلى الروايات الصَّحيحة ، وكذلك الذّوق .

---

(1) معجم الأدباء ، 18/ 188 - 189

ولكنّ ابن فورجّة لا يغفل عن بعض سيئات المتنبي ، يقول في قصيدته العينية " ملث القطر أعطشها ربوعاً " . هذه القصيدة كلها من الشعر الــرّذل الذي لا ينتفع به ولا بتفسيره .

وكثيراً ما تعقّب ابن فورّجة ، الصاحب بن عباد بشدّة حتى قال في رسالته : " قد ارتكب فيها شيئاً من المزح عجباً ، ليس من طريقة العلم ولا ممّا أفــاد غير خيلاء الوزراء ، وبذخ الولاية ، ولعمري إنه لو لم يرد عنه هذا الكتاب لكان أجمل بمثله أو كان لم يتعدّ فيه التهزؤ الفارغ والكلام اللّغو حتى انه ما يكاد ينتقص شيئاً من الأبيات التي نقمها على أبي الطيب بما يفيد معرفــة ، مخطئاً فيه أو مصيباً ، إلاّ مواضع يسيرة كأنها عثار منه بالجــدّ لا عمــد ، فخلط فيها ودلّ على أنّه لم يفهم ما ردّه ولم يحط علماً بما كرهــه ، وهــذه الرسالة عملها في صباه ، والنزق حداه على إظهارها ، وما أجــدر مريــد الخير له بكتمانها عليه " [1] .

وهذه بعض نماذج من مناقشة ابن فورّجة للصاحب بــن عبــاد فــي رسالته ، قال الصاحب : وعن أساليبه العجيبة في التسلية عن المصيبة قوله:

لا يُحزِنُ اللهُ الأميرَ فإنني لآخذٌ من حالاتهِ بنصيبِ

ولا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ أبو الطيب بنــصيب مــن القلق ، أترى هذه التسلية أحسن عند الشعراء من قول أوس :

أيتها النَّفس أجملي جزعاً إنَّ الذي تحذرينَ قد وقعَا

ردّ ابن فورجة : أخطأ في موضعين أحدهما أنّه ظنّ أنّه يقول : كلّمــا حزن الأمير حزنت فقط فظن أن يحزن رفع لأنه إخبار ، ولو لا ظنّه ذلك

---

(1) الورقة ، 7 ب

لما استفهم فقال : لم لا يحزن الله سيف الدولة إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق ، وهذا خطأ . ويحزن جزم والنون مكسورة لالتقاء الساكنين وهو دعاء ... الثاني أنّه قال : أترى هذه التسلية أحسن أم قول أوس ، وإن هذا البيت ليسَ بتسلية وإنما هو دعاء للممدوح [1] .

قال المتنبي :

كَأَنَّكَ ناظِرٌ في كلّ قلْبٍ فما يَخْفَى عليكَ محلُّ غَاشِ

فضح الصاحب نفسه بهذا البيت في رسالته التي ذمّ فيها أبا الطيب؛ يقول : " ومن مخازيه التي خلقها خلقاً متفاوتاً تخفيفه الفاس ، وهذا ما لا أعلم سامعاً باسم الأدب يسوغه أو يفسح فيه ويحوزه ... فإن جاز هذا جاز أن يقال عباس بن عبد المطلب وشَماخ بن ضرار في قرار فلا تشددّ الميم ولا الباء ، على أن ما أورده أشنع من هذا الذي مثلناه به إذ كان لفظ فاعل بني على لفظ فعلّ مشدّداً " .

وردّ ابن فورّجة بأن أبا الطيب لم يرد غاشّاً وإنما أراد محلّ من يغشاك من صنوف الناس .

وقال الصاحب أيضاً : ومن تعقيده الذي لا يشق غباره ولا تدرك آثاره قوله:

وللترك للإحسانِ خيرٌ لمحسنِ إذا جعل الإحسانَ غيرَ ربيبِ

ولا وما أشك أن هذا البيت أوقع عند حملة عرشه من قول حبيب :

فقلتُ للحادثاتِ استنبطي نفقاً فقد أزلَّكَ إحسانُ ابنُ حسانِ

ردّ ابن فورجة : ما أدري أمن قوله تعقيده الذي لا يشق غباره أتعجب أم من تشبيه هذا البيت ببيت أبي تمام ، وكلا الأمرين عجيب . أما زعمه أنّه

---

(1) م . ن . ، 7 ب – 8 أ

قد عقد ، فوجه التعقيد ، ما لا نعلمه ، فإنّه لم يقدم لفظة ولا أخرّ أخرى عن موضعها ولا غرّب في المعنى ولا في اللفظ وإنّما قال : ترك خير لمحسن إذا لم يرب إحسانه ، ألا ترانا حين فككنا النّظم وجعلناه نثراً أتينا بمثل لفظه سواء ، من غير زيادة ولا نقصان . ولا تقديم ولا تأخير ؟ فليت شعري أين التعقيد ؟ وأما قوله ما أشك أن هذا البيت أوقع عند حمله عرشه من بيّت حبيب ، فلا أعلم ما التجاور بينهما والتشارك، ولعله رأى اشتراكهما في لفظه الإحسان تشابهاً [1].

فابن فورجة يتحدّث عن أسباب غموض الشعر فهي عنده : ما صدّك جهل غريبه عن تصور غرضه ، وما يعميّه الإعراب بسبب المجاز أو الحذف أو التأخير أو التّقديم . في حين يقول ابن قتيبة : " وقد يختار ويحفظ الشعر لأنّه غريب معناه كقول القائل في الفتى :

ليسَ الفتى بفتىً لا يستضاءُ بهِ ولا يكونَ له في الأرضِ آثارُ

ويقول أيضاً : " والمتكلّف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم لتبيُّنهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكّر وشدّة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه ، كقول الفرزدق في عمر بن هبيرة لبعض الخلفاء :

أولّيتَ العراقَ ورافديهِ فزارياً أحذ يدَ القميص

يريد أولّيتها خفيف اليد يعني في الخيانة فاضطرته القافية إلى ذكر القميص (ورافداه دجله والفرات) .

---

(1) م . ن . ، 8 ب

وكقول الفرزدق :

وعضُّ زمانٍ يا ابن مروانَ لمْ يدعْ من المالِ إلاَّ مسحتا أو مجلَّفُ

فرفع آخر البيت ضرورة وأتعب أهل الاعراب في طلب العلة فقالوا وأكثروا ولم يأتوا فيه بشيء يرضي ، ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أنّ كل ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إياه فشتمه وقال : عليَّ أن أقول وعليكم أن تحتجوا [1].

(1) الشعر والشعراء ، 34 – 37

الفصل الثالث

ابراهيم بن علي الحصرّي القيرواني

أبو اسحق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصرّي القيرواني الشاعر المشهور ، وله ديوان شعر ، وكتاب " زهر الآداب وثمر اللّباب ، جمع فيه كلّ غريبة في ثلاثة أجزاء ، وكتابه المصون في سر الهوى المكنون " في مجلد واحد فيه مُلح وآداب . ذكره ابن رشيق في كتابه " الأنموذج " ، وحكى شيئاً من أخباره وأقواله : وأنشد جملة من أشعاره ، وقال : كان شبان القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، ورأس عندهم ، وسَرُف لديهم ، وسارت تأليفاته وانثالت عليه الصلات من الجهات ، وأورد من شعره :

إني أُحبكَ حُباً ليسَ يبلغهُ فهم ، ولا ينتهي وصفي إلى صفتهِ
أقصى نهايةِ علمي فيهِ معرفتي بالعجز منّي عنْ إدراكِ معرفتهِ

توفي أبو اسحق بالقيروان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة [1] .

قال ياقوت : " وكان شاعراً ، نقّاداً ، عالماً بتنزيل الكلام ، وتفصيل النّظام، يحبُّ المجانسة والمطابقة ، ويرغب في الاستعارة ، تشبُّهاً بأبي تمام في أشعاره ، وتتبُّعاً لآثاره ، وعنده من الطبَّع ما لو أرسله على سجيَّته ، لجرى مجرى الماء ، ورقَّ رقَّة الهواء ... وله تآليف جيّدة في مُلح الشّعر والخبر . ومن تصانيفه : كتاب النورين ، قال : الصفدي : ان اسمه نور الظرف ونور الطرف ... ، وكتاب الجواهر في المُلح والنوادر ، كَتبه عبد القاهر البغدادي .

(1) وفيات الأعيان ، 1/ 54 - 55

ومن أشعاره :

إني أُحبكَ حُباً ليسَ يبلغه همي ولا ينتهي فهمي إلى صفته
أقصى نهايةِ علمي فيهِ معرفتي بالعجز منّي عنْ إدراكِ معرفتهِ[1]

أشار الحصري أنّ له كتاباً وذيلاً عليه ، يدخلان في باب كتب الاختيار، وذلك في مقدمة كتابه " زهر الآداب " ، قال : " وليس في تأليفه من الافتخار أكثر من حُسن الاختيار ؛ واختيار المرء قطعة من عقله تدلُّ على تخلُّفهِ أو فضله؛ ولا شك – إن شاء الله – في استجادة ما استجدت واستحسان ما أوردت".

فالملاحظ أن الحصري لا يكتفي بمجرد الاختيار وإنّما يستجيد ويستحسن ، وهذا من منهج ابن قتيبة في الاختيار ، ومما يوضح اتباعه ابن قتيبة محاولته الإنفلات من أمر نظريته قائلاً : " وقد رغبت في التجافي عن المشهور في جميع المذكور ، من الأسلوب الذي ذهبت إليه ... فوجدت ذلك يتّعذر " [2] . ونرى التقارب في المنهج العام والخاص إلى حد كبير عند الناقدين ، وقد صرّح أبو اسحق بذكر ابن قتيبة في كتابيه على وجوه منها :

1. أن أبا اسحق تخيّر ما قاله الحاتمي في نظم القصيدة ، وحاجة أجزائها بعضها إلى بعض ، كما التفت إلى تسويغ وصف الديار والدّمن والآثار والشكوى ومخاطبة الربع فلم يجد بُدّاً من اختيار كلام ابن قتيبة، بل ما سمعه ابن قتيبة من أحد العلماء الذين أدركهم . يقول ابن قتيبة: " وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الدّيار والدّمن والآثار

(1) معجم الأدباء ، 2/ 95 – 96
(2) زهر الآداب ، 3/ 1

فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لـذكر أهلهـا الظاعنين (عنها) " [1].

2. لم ير أن ما نسبه ابن قتيبة إلى والبة بن الحباب هوله ، وإنمـا هـو لأبي نواس نفسه ، وذلك في أشادته إلى قول ابن قتيبة : " وفيه يقول والبـة بن الحباب:

يا شقيقَ النَّفس من حكمٍ نـمتَ عنْ ليلي ولمْ أنمِ
فاسقني البكرَ التي اعتجرتْ بخمارِ الشيبِ في الرَّحمِ

هكذا قال لي الدَّعلجي رجل صحب أبا نواس وأخذ عنه على أنّ أكثر الناس ينسبون الشعر إلى أبي نواس وإنّما هو لوالبة قاله فيه " [2] .

وقد وضحّ ما جاء غامضاً عند ابن قتيبة ، في حديث جرى في مجلس عبد الملك بن مروان مع العجاج ، وهذا الحديث يبيّن لنـا مـدى اتبـاع أو افتراق الحصري لابن قتيبة ، قال : " دخل العجاج على عبـد الملـك بـن مروان، فقال له: بلغني أنك لا تحسن الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين مـن قدر على تشييد الأبنية، أمكنه تخريب الأخبية ... قال : ما يحدوك من ذلك ؟ قال : إنّ لنا عزّاً يمنعنا من أن نظلمَ ، وحلماً يمنعنا من أن نظلـم . قـال : لكلماتُك أحسن من شعرك . قال : فما العزّ الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع . قال : فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلـم ؟ قال : الأدب المستطرف ، والطّبع التالد . قال: لقد أصبحت حكيماً .قال: وما يمنعني من ذلك ، وأنا نجيُّ أمير المؤمنين ؟!

---

(1) الشعر والشعراء ، 27

(2) الشعر والشعراء ، 538

قال الحصري : وليس كما قال العجاج بل لكثير من الشعراء طباع تنبو عن الهجاء كالطائي وأضرابه ، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أهل المصنوع " [1] .

ولكنّ الحصري قد ذهب إلى أنّ العجاج من أصحاب المصنوع ، في حين جعله ابن قتيبة مطبوعاً على الإحسان في ضرب من الشعر دون سواه.

وكان مذهب العجاج صحيحاً لو لم يكن له قصائد في الهجاء . قال ابن قتيبة : " وقال سليمان بن عبد الملك للعجّاج : إنّك لا تحسن الهجاء . فقال : إن لنا اخلاقاً تمنعنا من أن نَظلم ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم ، وهل رأيت بانياً لا يحُسن أن يهدم ... وليس الأمر كما قال العجاج ، وليست الحجة التي ذكرها بحجة نافعة له في هذا الميدان [2] . وقد ردها ابن قتيبة ، فقال : " وليس هذا كما ذكر العجاج ، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل ؛ لأنّ المديح بناء والهجاء بناء ، وليس كل بانٍ بضرب بانياً بغيره . ونحن نجد هذا بعينه في أشعارهم كثيراً ... وقال قبل ذلك في هذه المسألة : " والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون ، منهم من يسهل عليه المديح ، ويعسر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المراثي ، ويتعذر عليه الغزل " . وإلى هذا المذهب ذهب الجاحظ أيضاً في البيان والتبيين حين عَرَضَ بالكلام على هذه المسألة في الشعر . ومع هذا كان العجاج يتعفف عن الهجاء والوقوع في أعراض النّاس [3] .

---

(1) زهر الآداب ، 2/ 624

(2) الشعر والشعراء ، 392

(3) ديوان العجاج ، 15

الحسن بن رشيق القيرواني

الحسن بن رشيق القيرواني مولى الأزد ، كان شاعراً ، أديباً ، نحوياً لغويّاً، حاذقاً عروضياً ، كثير التصنيف ، حسن التأليف ، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحاقدات ، وصنّف في الردّ عليه عدّة تصانيف . كان أبوه رشيق روميّاً ، ذكر ذلك هو في الردّ على ابن شرف ، بعد ذكره نسب ابن شرف : هو اسم امرأة نائحة ثم قال : وأمّا أنا – فنضرَّ الله وجه هذا الشيخ فيَّ ، وأتمّ النّعمة عليّ – فما أبغي به أباً ، ولا أرضى بمذهبه مذهباً ، رضيت به روميّاً ، لا دعيّاً ، ولا بدْعيّاً .

تأدب ابن رشيق على أبي عبد الله بن جعفر القزّاز " القيرواني النحوي اللغوي ، وغيره من أهل القيروان . ومات بالقيروان سنة (456هـ) . ذكر ابن رشيق هذا نفسه في كتابه الذي صنّفه في شعراء عصره ووسمه بالنموذج ، فقال في آخره : صاحب الكتاب هو حسن بن رشيق ، مولى من موالي الأزد ، ولد بالمحمديَّة سنة (390هـ) ، وتأدّب بها يسيراً .

ومن شعره قوله :

دمتْ لعينكِ أعينُ الغزلان ... قمرٌ أقرَّ لحسنهِ القمرانِ

ومشتْ ولا والله ما حقفُ النقا ... مما أرتكَ ولا قضيبُ البانِ

وثنُ الملاحةِ غيرْ أنَّ ديانتي ... تأبى عليَّ عبادةَ الأوثانِ [1]

قال ابن خلكان : " احد الأفاضل البلغاء ، له التصانيف المليحة منها : كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه " ، وكتاب " الأنموذج "،

---

(1) معجم الأدباء ، 8/ 110– 112

والرسائل الفائقة والنظم الجيّد ... ومن تصانيفه أيضاً : قراضة الذهب ، الشذُوذ في اللغة ، طراز الأدب ، الممادح والمذام ، متفق التصحيف ، تحرير الموازنة ، الإتصال ، المنّ والغداء ، غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون ، أرواح الكتب ، شعراء الكتاب ، " المعونة " في الرخص والضرورات ، الرياحين ، صدق المدائح ، الأسماء المعربة ، إثبات المنازعة ، معالم التاريخ ، التوسع في مضايق القول، الحيلة والاحتراس"[1] .

ارتكز ابن رشيق في كتابه " العمدة " على كثير من الكتب أهمها " كتاب العرب " لابن قتيبة . قال ابن قتيبة : " وكان حقّ الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره ، وعن منْ رفعه الله بالمديح وعمَّن وضعه بالهجاء ، وعمّا أودعته العرب من الاخبار النَّافعة ، والأنساب الصحاح ، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة والعلوم في الخيل والنجوم وأنوائها ، والإهتواء بها والرياح وما كان منها مبشراً أو جائلاً والبروق وما كان منها خلبّاً ، أو صادقاً والسحاب وما كان منها جهاماً أو ماطراً ، وعمّا يبعث منه البخيل على السماح والجبان على اللقاء والدّني على السّمو ، غير أني رأيت ما ذكرت من ذلك في كتاب العرب كثيراً كافياً فكرهت الإطالة بإعادته فمن أحب أن يعرف ذلك ليستدلّ به على حلو الشعر ومرّه وعظم نفعه وضرّه ، نظر في ذلك الكتاب إن شاء الله تعالى " [2] .

وذكر محقق كتاب العمدة أن مصادر ابن رشيق مصنفه : سيبويه وأبي عبيدة والأصمعي والجمحي وابن قتيبة ، وأن ابن رشيق قد أخذ من كتب ابن قتيبة ولم يشر إليها فقال : " ويظهر أن كتب ابن قتيبة كانت موثوقة عند أعلام مدرسة القيروان ، فنقل ابن رشيق عنها لم يشر إلى المصدر كعادته ،

---

(1) وفيات الأعيان ، 2/ 85 – 86 (2) الشعر والشعراء ، 19 – 20

عن الشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، وعن المعاني الكبير ، وعن المعارف " [1] . وأشار ابن قتيبة إلى ابن رشيق صراحة في كتبه ، واعترف أنّه لخص بعض فصوله ممّا يحفظ من كلام ابن قتيبة ، من كتبه ، فقال : " وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قلّدت فيما ركبت من هذه الطريقة " [2] . وفي باب معرفة ملوك العرب قال : " وأنا ذاكر في هذا الباب على شريطة الاختصار والتلخيص ... قال ابن قتيبة وغيره " [3] .

وكتاب العمدة أهمّ كتبه وأبعدها أثراً ، فهو كتاب جامع للكثير من الآراء النقدية التي ظهرت في المشرق حتى عصر ابن رشيق ، وفيه صهر ابن رشيق كثيراً من آراء الآخرين ، يقول على سبيل المثال : " وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ... وقد يميز الشعر من لا يقوله ، كالبزاز يميزّ من الثياب ما لم ينسجه " [4] .

والقارئ لهذه العبارة يظن أن أحكامها لابن رشيق ، ولكن إذا تصفحت مقدمة المرزوقي في شرح حماسته وجدت قوله :

1. ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس.
2. يكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله .
3. الفرق بين ما يشتهي وما يستجاد ظاهر بدلالة أن العارف بالبزّ يشتهي لبس ما ليس يستجيده " [5] .

---

(1) العمدة ، مقدمة المحقق ، 1/ 14 – 16 (2) م . ن . ، 2/ 898

(3) م . ن . ، 2/ 942 (4) م . ن . ، 1/ 75

(5) شرح الحماسة ، 1/ 13 – 14

فماذا فعل ابن رشيق ، نقض الأوّل منها ، واقتبس الثاني على حاله ، واستخرج حكماً جديداً مستمداً من القول الثالث،وجمعها معاً في نطاق واحد .

فنراه قد صهر هذه الأقوال معاً . وابن رشيق لا شك ناقد قدير ، لم تصنع شخصيته بين آراء عبد الكريم النهشلي والجمحي والمبرد والجاحظ والرماني وابن وكيع ودعبل الخزاعي والجرجاني والمرزوقي وابن قتيبة وقدامة بن جعفر، وفي مسألة النثر والشعر نراه يفاضل بينهما ، فيبيّن فضل الشعر بقوله : " وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها – فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سمّوه شعراً ، لأنهم شعروا به أي فطنوا " [1] . وهذا ليس قول ابن رشيق حقيقة وإنّما ما أخذه عن عبد الكريم النهشلي . ونراه قد حوّر معنى الكذب في الشعر . قال : " اجتمع الناس على قبح الكذب ، ولكنهم وجدوا الكذب في الشعر حسناً " . وهذه مغالطة لا تخفى ولكن الموقف الجدلي اضطر ابن رشيق إليها .

وفي حديثه عن حدّ الشعر (اللفظ والوزن والمعنى والقافية) فقد شغل بالاقتباس عن الرّماني والجرجاني وعبد الكريم وغيرهم ، فكثير من أرائه قد جمعها من سابقيه . يقول : " والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية ، قراره الطبع، وسمكه الروّاية ، ودعائمه العلم ، وبابه الدربة ، وساكنه المعنى ، ولا خير في بيت غير مسكون " [2] . وهذه الآراء قد تحدّث فيها كثير ممّن سبقه كالآمدي وابن قتيبة والجرجاني وغيرهم .

---

(1) العمدة ، 1/ 5

(2) م . ن . ، 1/ 78

ويوضح أن الشعر : " ما أطرب وهزّ النفوس وحرّك الطّباع ، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه ما سواه " [1] .

وتحدث عن مسألة اللفظ والمعنى وأو ما قاله ابن طباطبا بأن : " اللفظ جسم وروحه المعنى " . وبيّن أن الاستعداد النفسي ضروري لقول الشعر ، وهذا ما أثاره بشر بن المعتمر في صحيفته ووضحه الناقد ابن قتيبة . قال ابن رشيق : " ومما يجمع الفكرة عن طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره ؛ وعلى كل حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالأسحار عند الهبوب من النوم . لكون النفس مجتمعة لم يتفّرق حسّها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك ممّا يعيبها " [2] .

وفي مسألة القديم والحديث نراه لم يأتِ بجديد بل أورد أمثلة لمن تعصب للقديم كأبي عمرو بن العلاء وابن الاعرابي ، ومن آمن بالتسوية والحكم للجودة كابن قتيبة ، كما أورد رأي ابن وكيع التنيسي في الفرق بين القديم والمحدث وتشبيه الشاعر المحدث بالمغني ذي الصوت الجميل ، ونراه قد عرّض لرأي النهشلي في تفاوت الأزمنة والبيئات ، قال : " فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة ، ولا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه ، كالذي لفظه سائر في كل الأرض ، معروف بكل مكان " [3] .

وعرض لقضية السرقة في أحد الفصول الأخيرة من " العمدة " مورداً آراء العلماء وبعضاً من أمثلتهم ، فنراه قد بيَّن أنواع السرقة وشرحها كما فعل الحاتمي ، وأورد رأيي الجرجاني والنهشلي في السرقات ، وانتقد ابن

---

(1) العمدة ، 1/ 83

(2) م . ن . ، 1/ 139

(3) م . ن . ، 1/ 59

وكيع ، ولم يُعِر السرقة اهتماماً وذلك لاعتقاده أنها أصبحت قاعدة عامة في الحياة الشعرية لعصره . قال : " ولما كثر هذه الكثرة ، وتصرف الناس فيه هذا التصرف لم يسمّ آخذه سارقاً ؛ لأن المعنى يكون قليلاً فينحصر ويدعى صاحبه سارقاً متبدعاً، فإذا شاع وتداولته الألسن بعضها عن بعض ، تساوى فيه الشعراء إلاّ المجيد ، فإنّ له فضله ، أو المقصر ، فإن عليه درك تقصيره، إلاّ أن يزيد فيه شاعر زيادة بارعة مستحسنة يستوجبه بها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه " [1] .

وتحدثّ عمّا سمّاه التلفيق ، وهو مظهر من مظاهر السرقة ، إذ يأخذ الشاعر المعاني المتقاربة ويستخرج منها معنى مؤكداً يكون له كالاختراع ، وذكر أن ذلك يدلّ على فطنة الشاعر وحذقه ، وأوضح أن المتنبي وأبا العلاء قد بلغا في كلّ غاية . وفي رسالته قراضة الذهب " دراسة نقدية لشعر المعرّي وطريقته في تلفيق المعنى الواحد من عدّة أبيات لشعراء مختلفين . وأوضح ابن رشيق أن المعري : " شاعر العصر بلا مدافعة " [2] .

وأوضح ابن رشيق من خلال تجربته في الصنعة الشعرية ، كيفية عمل القصيدة ، فقال : " والصواب أن لا يضع الشاعر بيتاً لا يعرف قافيته ، غير أني لا أجد ذلك في طبعي جملة ولا أقدر عليه ، بل أصنع القسم الأول على ما أريده ثم ألتمس في نفسي ما يليق به من القوافي بعد ذلك فأبني عليه القسم الثاني ، أفعل ذلك فيه كما يفعل من يبني البيت كله على القافية ، ولم أرَ ذلك بمخلٍّ عليّ ولا يزيحني عن مرادي ، ولا يغيّر علي شيئاً من لفظ القسم الأول إلاّ في الندرة التي لا يعتد بها أو على جهة التنقيح المفرط " [3] .

---

(1) قراضة الذهب ، 14 (2) م . ن . ، 57

(3) العمدة ، 1/ 140

ونراه جريئاً في مواقفه النقدية إذ خالف كثيراً من الآراء المألوفة المروية عن كبار النقاد ، قال : " ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيًّا بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده ، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير إلاّ في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها ، فإنّ بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السّرد "[1]

فما أراده ابن رشيق من قوله هذا هو استقلال كل بيت مع وجود الوحدة العامّة .

ونراه في كثير من الأحيان يفضل الإطالة في الشعر على المقطعات وذلك لأنّ : " المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز " [2] . وأن التشبيه في الشعر أشد ما تكلفه الشاعر ، وهو أصعب شيء في الشعر يقول: " وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان " [3] . ويقول أيضاً : " وإنما خصصت التشبيه لأنّه أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطى ... وصفة الإنسان ما رأى يكون لا شك أصوب من صفته ما لم ير ، وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر " [4] .

---

(1) م . ن . ، 1/ 175

(2) م . ن . ، 1/ 125

(3) م . ن . ، 1/ 194

(4) م . ن . ، 2/ 183

ابن شرف القيرواني

محمد بن شرف الجُذامي القيرواني ، ولد في سنة (390هـ) ، وتوفي في سنة (460هـ) . كانت بينه وبين ابن رشيق ملاحاة ومنافسة ومهاجاة ، ثم طوّحت به الغربة بعد خراب القيروان إلى الأندلس ، فتردّد على ملوك الطوائف، إلى أن استقرّ عند المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، ثم كتب رسالته " أبكار الأفكار " لباديس بن حبوس صاحب غرناطة ، ثم طرّزها باسم عبّاد صاحب إشبيلية . والرسالة تحتوي على منثور مسجوع وقصائد ، وتشتمل على مائة نوع من مواعظ وأمثال وحكايات قصار من تأليفه .

حاول ابن شرف ابتداع أسلوب مشوّق يدعو المتلقي لمتابعة ما كتبه متبعاً بذلك ابن شهيد في توابعه وزوابعه ، وأبا العلاء المعريّ في رسالة الغفران ، وذكر أنّه إمّا يتبع سهل بن هارون في كتابه " النمر والثعلب " . وبديع الزمان الهمذاني في مقاماته . فبنى كتابه " رسائل الانتقاد أو " مسائل الانتقاد " على المحاورة التي جرت بينه وبين جنّي أسماه أبو الريّان الصّلت بن الكن بن سلامان ، لينطق على لسانه بآراء نقدية ، وغالباً ما يرى أثر ابن قتيبة في نقد ابن شرف ، وقد تعرّض بالنقد لما لا يقل عن أربعة وأربعين شاعراً – عدا شعراء الغزل العذري الذي تحدث عنهم مجتمعين – قال : " الشعراء أكثر من الإحصاء ، وأشعارهم أبعد من شقة الاستقصاء " لا أُعنتكَ بأكثر من المشهورين، ولا أذاكرك إلاّ في المذكورين " [1] . قال في الراعي: " وأما الراعي عُبيد فجبل على وصف الإبل ، وشغله هواها عن الشعر في

---

(1) رسائل الانتقاد ، 22

سواها ، سوى التعلل بالنزر القليل ، فصار بالراعي يعرف ونسي ما له من الشّرف " [1] .

وكلامه عن الشعراء إيجاز لقول ابن قتيبة في اختيار شعرائه . قال ابن قتيبة : " وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلُّ أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجلّ – وحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " [2] .

ولا شك أن ابن شرف قد عرض الشعراء لم يعرض لهم ابن قتيبة كإبن الرومي والصنوبري ، وأبي فراس الحمداني ، والمتنبي ، وغيرهم . ولم يدرس الشعراء الذين ذكرهم ابن قتيبة كلهم قال ابن شرف في نقد شعر امرئ القيس : " أمّا الضليل مؤسس الأساس ، وبنيانه عليه الناس ، كانوا يقولون : أسيلة الخد " حتى قال : " أسيلة مجرى الدّمع " ، وكانوا يقولون : " تامّة القامة " وطويلة القامة " " وبيداء " " وتامة العنق " وأشباه هذا حتى قال: " بعيدة مهوى القرط " .

وكانوا يقولون في الفرس السابق : " يلحق الغزال الظليم " وشبهه حتى قال: قيد الأوابد ومثل هذا كثير ، ولم يكن قبله من فطن لهذه الإشارات والاستعارات غيره ، فامتثلوا بعده . وكانت الأشعار قبل سواذج ، فبقيت هذه جدداً ، وتلك نواهج ، وكل شعر بعدْ ما خلاها فغير رائق النهج وإن كان النهج " [3] .

وقوله هذا جارٍ على السّجع وكأنّه اقتدى منهج بديع الزمان الهمذاني في مقامته القريضية ، وابتدأها بأمرئ القيس أيضاً ، ولكن هناك فرقاً بين

---

(1) رسائل الانتقاد ، 20 (2) الشعر والشعراء ، 17

(3) م . س . ، 23

الرأيين ، وإن اشتركا في الحديث من أوّليّة امرئ القيس الفنيّة في الشعر ، وبيان ذلك بالتطبيق شعراً ، وكلاهما (الهمذاني وابن شرف) يوجزان بعضاً مما عرفناه وأورداه كلّ من : ابن سلام الجمحي وابن قتيبة . وفي نقد ابن شرف لامرئ القيس – متناولاً عيوبه ، على عكس ما اتخذه ابن رشيق في قراضة الذهب مثلاً أعلى للشاعر المبتكر المخترع المبتدع – فهو يعتمد على النظرة الأخلاقية ، قبل كل شيء مذكراً بموقف الباقلاني منه ، أورد ابن شرف قول امرئ القيس :

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاتُ إِنْكَ مُرْجِلِي

يقول في نقده : " فما كان أغناه عن الإقرار بهذا . وما أشد غفلته عمّا أدركه من الوصمة به ، وذلك أن فيه أعداداً كثيرة من النقص والنجس : منها دخوله متطفلاً على من كره دخوله عليه ، ومنها قول عُنيزة له : لك الويلات، وهي قولة لا تقال إلاّ لخسيس ولا يُقابل بها رئيس " [1] .

وقوله :

سَمَوْتُ إِلَيْها بَعْدَ ما نَامَ أَهْلُها سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ

فَقَالَتْ لَحاكَ اللهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي

استقبلته بقولها : " لحاك الله " فهو إذن هيّن القدر عند النساء ، مطرود مكروه . وفي رأي ابن شرف فإن إخفاق امرئ القيس مع المرأة جعله يبالغ في التعبير عن الاستهتار ، وفي سبيل اشباع هذا النقص والحرمان أخذ في اختلاق القصص بحيث جعلها مكشوفة فاضحة صريحة .

---

(1) رسائل الانتقاد ، 50

وتحدثّ ابن شرف عن عيوب زهير بن أبي سلمى ، وحطّ من شاعريته ، في حين عدّه النقاد السابقون نموذجاً للشعراء المجيدين وممّن ينقحون قصائدهم ، فقد انتقده عند تعبيره عن إصابة المنية للناس بقوله : " خبط عشواء " . فقال : لسنا نطالبه هنا بحكم ديني ، بل نطالبه بحكم عقلي ، إذ لو كان ضرب المنية خبط عشواء ، لمات بعض الناس ونجا بعض ، وإنما وقع شاعرنا في الخطأ ، لأنه رأى بعض الناس يموتون في حال الهرم والآخرين في حال الشباب فدعا ذلك خبط عشواء ، ولكنّ المنيّة تصيد الجميع ولا يسلم أحد . قال : " ولو أن الرّماة تهتدي كاهتدائها لملئت أيديهم بأقصى رجائهم " [1] .

وفي قوله : " ومن يظلم الناس يُظلم " مخالفة للعادة ، فقد ينتقم الضعيف المظلوم من الظالم بالحيلة والمكر ، وقد يأتي من يغلبه في ظلمه بظلم أكبر منه ، فيكون سبباً لهلاكه .

وقد تحدثّ ابن شرف عن السرقات وأطال أمثلة ردّدها النقاد السابقون، وقد قسم السرقات إلى أنواع : سرقة ألفاظ ، وسرقة معان وقد أورد سرقة بعض المعنى أو كلّه أو سرقته باختصاره أو بزيادة فيه ، أو سرقته دون زيادة أو اقتصار . وهو في ذلك اتباعي يُعيد ما ردّده السابقون وقسمّوه .

ويرى أنّ الناقد بحاجة إلى التروي الشديد قبل إصدار حكمه ، ويبحث عن المعنى الكامن فقد يسمع شعراً يملأ لفظه سمعه فعليه بالتريّث ، وقد يسمع أبياتاً ذات ألفاظ مبتذلة فلا يعجل بالحكم عليها فكم من معنى عجيب في لفظ مبتذل ، كما على الناقد أن يتحرز من الاعجاب بالقديم دون تمييز الجيد من الرديء ، وأن يبتعد عن تحقير المعاصر ، فالتشبث بالقديم يكاد يكون

---

(1) مسائل الانتقاد ، 66

صفة ملازمة للناس. فيقول ابن شرف : " والمعاني هي الأرواح ، والألفاظ هي الأشباح " [1] .

وتحدّث ابن شرف عن ابن عبد ربه وابن هانئ وابن درّاج القسطلي وعليّ التونسي ؛ وتميّز بالوقوف عند الصنوبري ، والخبزأرزي في سياق يضمّ أبا تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي . وردّد التهمة التي وجهها ابن وكيع التّنيسي حين زعم أن المتنبي سرق معاني الخبزأرزي : " حتى أن بعض كبراء الشعراء اهدم شيئا من مبانيه ، واهتضم طرفاً من معانيه ، وهو من معاصريه ، فقلّ من فطن لمراميه " [2] .

ويظهر من حكمه على ابن هانئ وأن الأساس الديني هامّ لديه في الحكم بحيث يقول فيه : " من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد أخراه ، لرداءة عقله ورقّه دينه وضعف يقينه ، ولو عقل لم تعنق عليه معاني الشعر حتى يستعين عليها بالكفر " [3] .

ممّا سبق يتضح لنا أنّ مدرسة القيروان والتي تميّزت بحيوية ونشاط أشخاصها كالنهشلي وابن رشيق وابن شرف ، مكّنتهم من القول بأثر البيئة ، وتعليل المؤثرات النفسية .

---

(1) رسائل الانتقاد ، 45

(2) م . ن . ، 36

(3) م . ن . ، 40 – 41

الفصل الرابع

عبد القاهر الجرجاني

الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أبو بكر النحوي ، فارسيّ الأصل ، جرجاني الدَّار ، عالم بالنحو والبلاغة ، أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوراث الفارسي ، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي ، وأكثر عنه ، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء ، وتصدّر بجرجان ، وحُثَّت إليه الرِّحال وصنّف التصانيف الجليلة . ومن تصانيفه : المقتصر في شرح الإيضاح ، وله كتاب العوامل سمّاه " الجُمل " ثمَّ صنّف شرحه ، إعجاز القرآن ، دلّ على معرفته بأصول البلاغات ومجاز الايجاز ، توفي في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة[1]

وقال عنه السيوطي : " وكان من كبار أئمة العربية والبيان ، شافعيّاً ، أشعريّاً " [2] .

جعل عبد القاهر الجرجاني مسألة الإعجاز منطلقه ، بحيث أسهم في توضيح البلاغة ، فقد قررّ بداية أن القرآن الكريم معجز ، وحاول استكشاف مواطن الاعجاز فيه . وتساءل في قرارة نفسه : هل الاعجاز مردّه إلى الألفاظ ؟ فأجاب : إنّ الألفاظ موجودة ومستعملة قبل نزول القرآن ، ولا يجوز أن يتأتى ترتيب الحركات أو السكنات ، ولا بالفواصل لأنّها في الآي كالقوافي في العرب، وهذا ما عرفه العرب وخبروه وأتقنوه فلم يعد معجزاً لهم ، ثم تساءل : هل الاعجاز يتأتى من الاستعارة ؟ وهذا لا يجوز " لأنّ

---

(1) انباه الرواة ، 2/ 188 – 189 (2) بغية الوعاة ، 2/ 106

ذلك يؤدي أن يكون الاعجاز في أي معدودة في مواضع من السور الطـــوال مخصوصة " . وإذا كان ما ذكرنا بأنّ هذه الأمور مجتمعـــة أو منفـــردة لا تحقق الاعجاز ، " فلم يبق إلاّ أن يكون في النظم والتأليف " [1] .

اللفظة في حدّ ذاتها ، سواء في جرسها أو دلالتها ، ليس لها ميّـــزة أو فضل، إلاّ حين دخولها في سيّاق معين ، فهي هنا تتلاءم أو تبعد عن التلاؤم، ويؤدي السياق ما يسمّى بتناسق الدّلالة ، ويظهر المعنى بصورة يقبله العقـــل ويرتضيه ، فربط هذه الألفاظ معاً في سيّاق معين هو وليد الفكر ، فالمعـــاني هي المقصودة في إحداث النظم أو التأليف اللذان جعلهما الجرجاني مترادفين. فلا نظم ولا تأليف في الكلم حتى يتجانس بعضها ببعض ، وبذلك يكون اللفظ تابعاً للمعنى . ويخرج لنا الجرجاني بنظرية للنظم يقول فيها : " واعلـــم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها " ويؤكـــد ذلـــك بقوله : " فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه – إن كان صواباً – وخطؤه – إن كان خطأ – إلى النظم ويدخل تحت الإسم إلاّ وهو معنى من معاني النحو قد أُصيب به موضعه ووضع في حقّه أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فأزيـــل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له " [2] .

وفي نقده نجده قد حمل على المنحازين إلى اللفظ وتقديمه على المعاني ، فقد وعى أن ثنائيّة اللفظ والمعنى التي تبلورت عند ابن قتيبة قد أصبحت خطراً على النقد والبلاغة معاً ، وعاب على ابن قتيبة تقسيمه الشعر في أنواع : منه ما حسن لفظه ومعناه ، ومنه ما حسن لفظه دون معناه ، ومنه ما حسن معناه دون لفظه .

---

(1) دلائل الاعجاز ، 271 – 274

(2) دلائل الاعجاز ، 63 – 64

وقد يجد الجرجاني عذراً للقدماء في مسألة اللفظ والمعنى ، بحيث نراهم قد فخّموا اللفظ وعظموا من شأنه وتبعهم من جاء بعدهم حتى قالوا : المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ ، وحجتهم في ذلك أن المعاني تتبيّن بالألفاظ ولا سبيل لمن يرتبها إلى أن يدلنا على ما صنع في ترتيبها إلاّ بترتيب الألفاظ . لهذا تجوّز القدماء فكنّوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ نفسها ، ثم تحدّثوا عن الألفاظ حاذفين كلمة ترتيب سابغين على الألفاظ صفات كثيرة فقالوا : لفظ متمكن ولفظ قلق ، وإنما كان مقصودهم المعنى .

ولم يخطّأ من انحاز إلى اللفظ فقط بل خطأ من انحاز إلى المعنى فقال: " وأعلم أن الدّاء الدويّ والذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدّم الشعر بمعناه، وأقل الاحتفال باللفظ ، وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلاّ ما فضل عن المعنى ، يقول : ما في اللفظ لولا المعنى ؟ وهل الكلام إلاّ بمعناه ؟ فأنت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة وأدباً واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر " [1] . وكثير من البلاغيين قد عاب هذا المذهب ، فقال الجاحظ قولته الشهيرة : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيرّ اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " . فقد ظن البعض أنّه يهمل اللفظ ، والحقّ أنه عنى بالمعنى كما عني باللفظ ، وقوله : " فإنما الشعر صناعة وضرب من النَّسج وجنس من التصوير " يوضح رأيه ويظهر نزعته فهو كما يقول الدكتور أحمد مطلوب : " من أصحاب الصياغة القائمة على اللفظ والمعنى وامتزاجهما وتداخلهما " [2] .

---

(1) دلائل الاعجاز ، 256 (2) اتجاهات النقد ، 335

وقد تعرّض الجرجاني إلى مسألة السرقات الشعرية ، فقد جعل مواطن الاتفاق في ثلاثة :

1. اتفاق الشاعرين في عموم الغرض ، كأن يصف كل منهما ممدوحه بالشجاعة والسخاء وحسن الوجه والبهاء وهذا لا يدخل في الأخذ والسرقة إطلاقاً .
2. اتفاق الشاعرين في تشبيهات معروفة كتشبيه الشجاع بالأسد ، والجواد بالبحر ، وهذا اشتراك بين الناس ، وليس شيئاً خاصّاً .
3. اتفاق الشاعرين في ما لا يدرك إلاّ بالروية والاستنباط والتأمل ، وفي هذا تجوز دعوى السرقة أو الأخذ .

فابن قتيبة والجرجاني على وفاق في الأصول ، مع التنبيه على أن الجرجاني أوضح ما كان غامضاً ، وأضاف بقوة بصيرته ما يدلّ على إعجاز القرآن ، وعلى عبقريته نفسه وذكائه النقّاد ، وقريحته الوقادّة .

ابن سنان الخفاجي

ابن سنان الخفاجي هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجي الحلبي ، شاعر ، أديب ، وُلد سنة (423هـ) بقلعة عزاز من أعمال حلب ، وكان أبوه من أشراف البلدة ، أخذ العلم عن أبي العلاء المعري وغيره . وعندما اتمّ علومه وليّ على قلعة عزاز ، وسخط على أولياء الأمر في عصره ، وظهرت في نفسه نوازع الثورة ، فأعلن العصيان على الأمير محمود بن نصر ، ولكن الأمير أرسل إلى وزيره النحاس ، ليقنع ابن سنان للعودة إلى الطاعة . وكتب الوزير النحاس إلى ابن سنان يدعوه إلى العودة إلى الطاعة ، ولكنّه رمز إليه بكتابه بأنهم يريدون به شرّاً ، فاستمرّ في عصيانه ، ولكن محمود بن نصر أمر وزيره النحاس بتنفيذ مكيدة بابن سنان ، أودت بحياته ، فمات في سنة (446هـ) دون أن يحقق أي تقدّم في إصلاح مفاسد عصره التي وضعها في بعض أبياته حيث قال :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لا مَالٌ وَلا شَرَفٌ ... وَلا وفاءٌ وَلا دِيْنٌ وَلا أَنَفُ

كَأَنَّما نَحْنُ في ظَلْماءَ دَاجِيةٍ ... فَلَيْسَ تَرْفَعُ عَنْ أَبْصارِنَا السُّجُفُ

ومن المعروف أن سخط ابن سنان على عصره قد ورثه عن أستَاذه – المعريّ – وكان يميل إلى التشيع على عكس أستاذه في ذلك ، وقد كان ينتقد المعري أيضاً لما في طريقته من غموض ، وما في شعره ونثره من تكلف ، كما أشار إلى هذا في كتابه " سرّ الفصاحة " .

هذا وقد عرض الخفاجي أفكاره بأسلوب أدبي علمي رائع ، ضمّنه ذكر الأصوات والحروف وشروح حولها [1] .

فرّق ابن سنان بين الفصاحة والبلاغة فقال : " أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدلّ على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً ، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه " [2] .

وما دامت الفصاحة صفة الألفاظ ، ولذلك فهو يعطي ثمانية شروط يجب أن تتوافر في اللفظة الواحدة لتكون فصيحة ، قال : " إن الفصاحة على ما قدّمنا نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدّة ، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف ، وبوجود أضدادها تستحق الإطراح والدم وتلك الشروط تنقسم إلى قسمين : فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه ، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض " [3] .

وشروط اللفظة الواحدة لتكون فصيحة ثمانية :

1. أن يكون لتأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج .
2. أن تجد التأليف اللفظة في السّمع حسناً ومزية على غيرها ، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة .

---

(1) سر الفصاحة ، 7 – 8

(2) م . ن . ، 59

(3) م . ن . ، 63

3. أن تكون غير متوعّرة ولا وحشية كما قال الجاحظ .

4. أن تكون غير ساقطة عاميّة .

5. أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذّة .

6. ألاّ تكون قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره .

7. أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف ، فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة .

8. أن تكون الكلمة مصغّرة في موضع عبرّ بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك ، ويقول الخفاجي : " فإنّي أراها تحسن بها " [1] .

أمّا الكلام في الألفاظ المؤلّفة ، فإن كل صناعة من الصناعات – فكمالها – كما يقول الخفاجي : " بخمسة أشياء على ما ذكره الحكماء : الموضوع ... والصانع ... والصورة ... والآلة ... والغرض " . فالموضوع هو الكلام المؤلف من الأصوات ، والصانع المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض ، والصورة هي كالفصل للكاتب والبيت للشاعر ، وما جرى مجراها . وأما الآلة فأقرب ما قيل فيها إنّها طبع هذا الناظم ، والعلوم التي اكتسبها . وأمّا الغرض فهو – كما يقول الخفاجي : " فبحسب الكلام المؤلف ، فإن كان مدحاً كان الغرض به قولاً يُنبيء عن عظم حال الممدوح ، وإن كان هجواً فبالضدّ ، وعلى هذا القياس كل ما يؤلف ، وإذا تأملته وجدته كذلك " [2] .

---

(1) سر الفصاحة ، 89

(2) م . ن . ، 93 – 94

وتحدّث الخفاجي عن التناسب بين الألفاظ فذكر المجانس : " وهـو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض إن كان معناها واحداً أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفاً ، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع إختلاف المعنى ، وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلّف ولا مقصود في نفسه ، وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم ، ثم جاء المحدثون فَلَهج به منهم مسلم بن الوليد الأنصاري ، وأكثر منه ومن استعمال المطابق والمخالف وهذه الفنون المذكورة في صناعة الشعر " [1] .

وتحدّث عن المساواة بين اللفظ والمعنى فقال : " فكما وصف بعض الأدباء رجلاً فقال : كانت ألفاظه قوالب لمعانيه ، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر ، وحدّ المساواة المحمودة هو إيضاح المعنى باللفظ الذي لا يزيد عنه ولا ينقص " [2] .

وأخبر عن شروط الفصاحة والبلاغة بقوله : " ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جليّاً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمّل لفهمه ، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً " [3] .

وتحدث في مسألة القديم والمحدّث فقال : " زعمت طائفة من جهالهم (أي الرّواة) أن العلّة هي مجرد التقدم في الزّمان ، واستمروا في الترتيب فجعلوا الشعراء طبقات بحسب تواريخ أعصارهم " [4] .

---

(1) سر الفصاحة ، 193 (2) م . ن . ، 217

(3) م . ن . ، 220 (4) م .ن . ، 278

وادّعى آخرون أنّ القدماء قد سبقوا إلى المعاني كافة ، وقبل أن يـردّ على أنصار القديم يعرض لنا وجهة نظر المدرسة المنصفة التي نظرت إلى الأدب على أساس نجاح التجربة فقال : " وذهب غير هؤلاء من أهل العلـم بالشعر فقال: إن الطرق في نقد الشعر ما قدمناه من نعوت الألفاظ والمعاني ، فأمّا قائله وتقدم زمانه وتأخره فلا تأثير له في ذلك ؛ لأن القديم كان محدثاً ، والمحدث سيصير قديماً ، والتأليف على ما هـو عليـه لا يتغيّـر ، ومـن المحدثين من هو أشعر من جماعة المتقدمين ، وفي المتقدمين من هو أشـعر من جماعة من المحدثين ، وإلى هذا كان يذهب أبو عثمان الجاحظ ، وأبـو العباس المبرد ، وأبو عبادة البحتري ، وأبو العلاء بن سليمان آنفـاً ، وهـو الصحيح الذي لا يعترض العاقل فيه شك ولا شبهة " .

ثم يفنّد آراء أنصار المدرسة القديمة ، ويردّ عليهم تفضيلهم امرأ القيس وجيله في أن شعراء مثل ابن حذام وغيره قد سـبقوهم فلمـاذا لا يفـضلوا عليهم؟ قال الخفاجي : " وقد كان قبله (امرؤ القيس) جماعة من الـشعراء معروفين ، أحدهم ابن حذام الذي قبل إنّه أوّل من بكى على الدّيار " [1] .

ويرى أن الأقدمين هم قدماء على وجه العمـوم ، أمـا علـى وجـه الخصوص فهناك شاعراً أقدم من شاعر فيما بينهم ، وقد تفاوتـت أجيـالهم وأزمانهم ، فكيف نصفهم بالقدم كلهم وبينهم تفاوت في القدم قد يجعلهم أجيالاً مختلفة .

ويردّ على أنصار المدرسة القديمة من جهة كون الناقد محدثاً والشاعر قديماً ويسأل : ماذا كان يحدث لو عاصر الناقد الشاعر هل سيكون رأيه فيه هو نفسه وهو محدث آنذاك ، ولكن شعره هو هو لم يتغيرّ فلماذا كانت طبقته في عصره – وهو محدث – غير طبقته اليوم – وهو قديم . كما وضح أن

---

(1) سر الفصاحة ، 279

فضيلة الشعراء القدامى في اللغة والاسلوب لا تجعل شعرهم دائماً الأحسن .

وتحدّث عن الفرق بين المنثور والمنظوم ، فحدّ الشعر هو كما يقول الخفاجي – : " كلام موزون مقفّى يدلّ على معنى ، وقلنا : كلام ليدلّ على جنسه، وقلنا موزون لنفرق بينه وبين الكلام المنثور الذي ليس بموزون ، وقلنا : مقفى لنفرّق بينه وبين المؤلف الموزون الذي لا قوافي له . وقلنا : يدل على معنى ، لنحترز من المؤلف بالقوافي الموزون الذي لا يدل على معنى " [1] . وقوله في تعريف الشعر هذا يقترب من قول قدامة بن جعفر : " إنّه قول موزون مقفى يَدُّل على معنى " [2] .

وفي تفضيل النظم يقول : " أن الوزن يحسن بالشعر ، ويحصل للكلام به من الرّونق ما لا يكون للكلام المنثور ، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلّحين والغناء به ما لا يكون للكلام المنثور . ولهذه العلّة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور ، حتى لو اعتبرت أكثر الناس لم تجد فيهم من يحفظ فصلاً من رسالة غير القليل ولا تجد فيهم من لا يحفظ البيت أو القطعة إلا اليسير ، ولولا ما انفرد به من الوزن الذي تميل إليه النفوس بالطبع لم يكن لذلك وجه ولا سبب " .

ويرى ابن سنان أن الثقافة العامة في كل فن ضرورة للشاعر والكاتب فيقول : " وبالجملة إنّ مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم واطلع على كل صناعة لأثر في ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه ؛ لأنّه يدفع إلى أشياء يضعها، فإذا خَبِرَ كلّ شيء وتحقّقه كان وصفه له أسهل ونعته أمكن ، إلاّ أن المقصود في هذا الموضع بيان ما لا يسعه جهله دون ما إذا علمه أثّر عنده علمه ، فإن ذلك لا يقف على غاية " [3] .

---

(1) سر الفصاحة ، 286 (2) نقد الشعر ، 64

(3) م . س . ، 290

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

كان الهدف من دراستي لابن قتيبة التعرف إلى ناقد فذّ موهوب ، تأثر بمن سبقه من العلماء وأثر فيمن جاء بعده حتى أواخر القرن الخامس الهجري .

وابن قتيبة ناقد مهم قلّ نظراؤه في تاريخ النقد العربي ؛ لأنّه كان يفصل بين الشعر واعتقاد صاحبه ، كما يفصل بين المعاني الشعرية والدلالات الحية لها في حياتنا ، وصورها الذهنية . وكونه قاضياً أعطاه فرصة الحكم على الشعر ، والفصل بين عقائد الشعراء ، وأوضح أثر الطبع في اختلاف الشعر ، بحيث شهد لبعض أصحاب مدرسة البديع بالطبع ، وشهد لبعضهم الآخر بلطف المعنى .

وبرزت من خلال الدراسة مصطلحات نقدية ورثها ابن قتيبة ممّن سبقوه ، فنراه يستخدم مصطلح الجودة على طريقة عرض المعاني من الوجهة الفكرية ، ويقول بالحسّ إن أراد الطريقة الفنية .

وقد أخذ ابن قتيبة عمّن سبقه من العلماء ، ممّن تتلمذ لهم أو أدرك بعض تلاميذهم أو أخذ عن كتبهم ، وكان لآخذه طرق شتى منها ما كان رواية ، ومنها ما كان عبر التلاميذ ، ومنها ما كان من الكتب ، ومنها ما أسند إلى أصحابه ، ومنها ما أهمل اسناده .

ولا ننسى أهمية صحيفة بشر بن المعتمر في نقد ابن قتيبة ، وإن لم يذكرها صراحة ، ولا ننسى أيضاً أخذه من الأصمعي بوساطة تلاميذه ، واعجابه بابن سلام وأخذه عنه . ولم يكن ابن قتيبة الوحيد الذي أخذ عن غيره ، بل فعل ذلك الجاحظ أيضاً ، ولا نعجب أن الاثنين معاً قد أهملا الإسناد في أخذهما .

وهذا دعبل الخزاعي الذي فقدنا له مؤلفه " طبقات الشعراء " والـذي بضياعه تضيع فرصة كبيرة للكشف عن أهم مصادر نقد ابن قتيبة ، ولا شك أن لدعبل أثراً كبيراً في نقد ابن قتيبة .

إن دراسة مصادر نقده تقودنا إلى حقيقة مفادها أنّ هناك تواصلاً بـين نقاد العرب ، وأنّ ناقدنا قد اتكأ كثيراً على النص المروي . ولا فـضل لـه سوى توجيه المروي إلى غاياته النقدية ، أو إيضاحها كما جاء فـي مقدمـة كتابه الشعر والشعراء " .

وقد كان له أثر نقدي واضح فيمن جاء بعده ، وبدت لنا من خلال ذلك مواقف لهم مختلفة ، فمنهم من أخذ عنه وذكره ، ومنهم من لم يذكره ، ومنهم من ذكره أحياناً وأهمله أحياناً أخرى – كما فعل هو أيضاً – وهذا ما نهج به النقاد العرب القدامى .

وفي ختام بحثي ومحاولتي هذه أرجو من العلي القدير أن أكـون قـد وفقّت في ذلك ، وإن أخفقت فالباب مفتوح أمام الباحثين والدارسين لمواصلة الجهد . والله الموفق .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قائمة المصادر

1. الآمدي ، ابو القاسم الحسن بن بشر (370) . الموازنة بين أبي تمام والبحتري – تحق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العلمية –1944م.
2. الأخطل ، غياث بن غوث التغلبي . شعر الأخطل – صنعة السكري – تحق فخر الدين قباوة – ط2 – بيروت – دار الآفاق الجديدة – 1979م .
3. الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (356) . الأغاني – تحق ابراهيم الابياري – القاهرة – دار الشعب – 1969م .
4. الأصمعي ، عبد الملك بن قريب . (216) . فحولة الشعراء – تحق س. توريّ – بيروت – دار الكتاب الجديد – 1971م .
5. ابن الأنباري ، أبو البركات كمال الدين (577) . نزهة الألباء – تحق ابراهيم السامرائي – ط3 – الأردن – مكتبة المنار – 1985م .
6. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (681) وفيات الأعيان – تحق احسان عباس – بيروت – دار الثقافة – 1969م .
7. ابن الجراح . الورقة – القاهرة – 1953م .
8. ابن جنّي ، ابو الفتح عثمان (392) الخصائص – تحق محمد علي النجار – بيروت – دار الهدى – 1952م .
9. ابن رشيق ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (456) العمدة في محاسن الشعر وآدابه – تحق محمد قزقزان – بيروت – دار المعرفة – 1988م.

   قراضة الذهب – القاهرة – 1926م .
10. ابن سلاّم الجمحي (232) طبقات فحول الشعراء – تحق محمود محمد شاكر – مصر – دار المعارف .

11. ابن سنان ، أبو محمد عبد الله بن محمد الحلبي (466) سر الفصاحة – بيروت – دار الكتب العلمية – 1982م .
12. ابن شرف القيرواني (460) مسائل الإنتقاد – تحق الاستاذ شارل بلا – الجزائر – 1953م .
13. ابن فارس (395) مقاييس اللغة – تحق عبد السلام هارون – دار الفكر – 1979م .
14. ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276) أدب الكاتب – حققه محمد الدالي – بيروت – مؤسسة الرسالة – 1999م .
- تأويل مشكل القرآن – تحق السيد أحمد صقر – ط2 – القاهرة – دار االتراث ، 1973م
- الشعر والشعراء – حققه د. مفيد قميحة – ونعيم زرزور – بيروت – دار الكتب العلمية – 1985م .
- عيون الأخبار – تحق د. يوسف علي طويل – بيروت – دار الكتب العلمية – 1998م .
15. ابن المعتز (296) طبقات الشعراء – تحق عبد الستار فراج – مصر – دار المعارف – 1956م .
16. ابن النديم ، محمد بن اسحق . الفهرست – بيروت – دار المعرفة .
17. الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب (403) اعجاز القرآن – تحق السيد أحمد صقر – القاهرة – دار المعارف – 1954م .
18. التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد (414) – الامتاع والموآنسة . أحمد أمين وأحمد الزين القاهرة – 1939م – 1944م .
- المقابسات – تحق السندوبي – القاهرة – 1929م .
- الهوامل والشوامل – تحق أحمد أمين والسيد صقر – القاهرة – 1951م .

19. الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (429) التمثيل والمحاضرة – تحق عبد الفتاح محمد الحلو – القاهرة – دار احياء الكتب العربية – 1961م .
– خاص الخاص – قدّم له حسن الأمين – بيروت – دار مكتبة الحياة – 1966م .
– يتيمة الدهر – تحق محمد محي الدين عبد الحميد ط2 – القاهرة – 1956 .
20. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بَحر (255) البيان والتبيين – تحق عبد السلام هارون – دار الجيل بيروت – دار الفكر .
21. الجرجاني ، عبد القاهر (471) دلائل الاعجاز – مصر – مطبعة السّعادة
22. الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز (1366) الوساطة بين المتنبي وخصومه – تحق محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية .
23. الحاتمي ، أبو محمد بن الحسن (388) الرسالة الموضحة – تحق د. محمد يوسف نجم – بيروت – دار صادر – بيروت – 1965م .
24. الحصري ، ابو اسحق ابراهيم بن علي (453) زهر الآداب – تحق علي محمد البجاوي – القاهرة – دار احياء الكتب العربية – 1953م .
25. ديوان العجاج – تحق عزة حسن – بيروت – مكتبة دار الشرق – 1971م
26. الزوزني ، أبو عبد الله الحسين – شرح المعلقات السبع – القاهرة – 1963م .
27. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (911) بغية الوعاة – تحق محمد ابو الفضل ابراهيم – ط2 – دار الكتب العلمية – 1979م .

28. الشريشي ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن (619) شرح مقامات الحريري – بيروت – دار الكتب العلمية – 1979م .
29. الشريف المرتضى (436) الشهاب في الشيب والشباب – بيروت – دار الرائد العربي – 1982م .
30. الصولي ، أبو بكر محمد (335) أخبار الشعراء المحدثين – نشره ج. هيورث – بيروت – دار المسيرة – 1982م .
– أدب الكتاب – تحق محمد بهجة الأثري – بغداد – المكتبة العربية – 1922م .
31. العسكري ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله (382) المصون في الأدب – تحق عبد السلام هارون – الكويت – مطبعة حكومة الكويت – 1984م .
32. العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن عبد الله (395) الصناعتين – تحق محمد أبو الفضل ابراهيم – القاهرة – 1952م .
33. العميدي ، أبو سعيد محمد بن أحمد (433) الإبانة عن سرقات المتنبي – تحق ابراهيم الدسوقي – القاهرة – 1961م .
34. القالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم (356) الأمالي – بيروت – المكتبة التجارية – 1970م .
35. قدامة بن جعفر (327) نقد الشعر – تحق محمد عبد المنعم خفاجي – بيروت – دار الكتب العلمية .
36. القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (624) انباه الرواة – تحق محمد ابو الفضل ابراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – 1986م .
37. المرزباني ، محمد بن عمران (384) معجم الشعراء – تحق عبد الوهاب غرام وعبد الستار فرّاج – دمشق – مكتبة النوري
– الموشح – تحق علي محمد البجاوي القاهرة – دار النهضة – 1965م .

38. المرزوقي ، أحمد بن محمد (421) شرح ديوان الحماسة – تحق أحمد أمين وعبد السلام هارون – القاهرة – 1951م .
39. المعري ، أبو العلاء (449) رسالة الغفران – تحق د. بنت الشاطئ – ط2 .
40. النهشلي ، عبد الكريم (405) اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله – تحق د. منجي الكعبي – الدار العربية للكتاب (ليبيا وتونس) 1978م
41. الهمذاني ، بديع الزمان (398) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني – محمد محي الدين عبد الحميد .
42. ياقوت الحموي (626) معجم الأدباء ، تحق احياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قائمة المراجع

1. ابراهيم طه . تاريخ النقد الأدبي – ط2 – بيروت .
2. اسماعيل ، عز الدين . المصادر الأدبية واللغوية – بيروت – دار النهضة العربية – 1975م .
3. أمين أحمد . النقد الأدبي – ط2 – القاهرة – 1957م .
4. بعلبكي ، افرام . مدخل إلى تاريخ الفكر العربي – بيروت – دار الحداثة – 1984 .
5. الشكعة ، مصطفى . مناهج التأليف – ط2 – بيروت – دار العلم للملايين – 1974م .
6. الصفّار ، ابتسام مرهون . أبو العيناء الأديب البصري الظريف – جامعة الموصل – دار الكتب للطباعة والنشر – 1988م .
7. ضيف ، شوقي . العصر الاسلامي – مصر – دار المعارف – ط7 – 1977م .
   - عصر الدول والإمارات – مصر – دار المعارف
   - العصر العباسي الثاني – مصر – دار المعارف . ط2 – 1975م .
8. عباس إحسان . تاريخ النقد الأدبي – ط4 – بيروت – دار الثقافة – 1983م .
9. مبارك ، زكي . النثر الفنّي في القرن الرابع – القاهرة – 1957م .
10. مطلوب ، أحمد . اتجاهات النقد في القرن الرابع الهجري – الكويت – وكالة المطبوعات – 1973م .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتويات

ابن قتيبة الناقد بين السابقين واللاحقين

مقدمة 7

الباب الأوّل : تأثير السابقين في ابن قتيبة

الفصل الأوّل : ابن قتيبة (حياته ونتاجه) 10-17
أراؤه النقدية 18-31
الفصل الثاني : بشر بن المعتمر – الأصمعي – أبو تمام 32-44
الفصل الثالث : ابن سلاّم – دعبل الخزاعي – الجاحظ 45-80

الباب الثاني : أثره في علماء القرن الرابع الهجري

الفصل الأوّل : أبو بكر الصولي – القالي – الأصفهاني – قدامة.....81-102
الفصل الثاني : الآمدي – القاضي الجرجاني–الصابئ–المرزباني..... 103-167
الفصل الثالث : الحاتمي–أبو أحمد العسكري–ابن جنّي–ابن وكيع 168-182
الفصل الرابع : أبو هلال العسكري – بديع الزمان الهمذاني – الباقلاني – التوحيدي..... 183-210

الباب الثالث : أثره في علماء القرن الخامس الهجري

الفصل الأوّل : المرزوقي – الشريف المرتضى – العميدي 211-224
الفصل الثاني : النهشلي – المعري – ابن فورجة 225-240
الفصل الثالث : الحصري – ابن رشيق – ابن شرف القيرواني 241-256
الفصل الرابع : عبد القاهر الجرجاني – ابن سنان الخفاجي 257-261
خاتمة 267-268
المصادر والمراجع 269-274
المحتويات 275

كُتُب للمؤلِّف :

1. التَّجوال في كتب الأمثال – دار الكتب العلمية .
2. النّحو والنّحاة – المدارس والخصائص – دار عالم الكتب .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com